الحروب الصليبية

عهد الجهاد المبكر

الجزء الثاني

سالم محمد الحميدة



دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد - ١٩٩٠

طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

رئيس مجلس الادارة .
الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

الجزء الثاني

الحروب الصليبية

عهد الجهاد المبكر

تأليف: سالم محمد الحميدة

الطبعة الاولى ١٩٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

ياءَيُها الذّينَ أمنوُا هـلْ أدُلُكُمْ على تجـارةٍ تُنجيكُمْ مِنْ عَذابِ اليم ● تؤمِنُونَ بـاللهِ وَرسُولِهِ وتُجاهِدُونَ في سبيل اللهِ بأموَالِكُم وانْفُسِـكُمْ ذلِـكُمْ خـيرٌ لـكُمْ ان كُـنتُـمْ تَعلمُونَ ● يَغفرْ لكُم ذُنُوبكُمْ ويُدْخِلكُمْ جنّـاتٍ تجري من تَحتِهـا الانْهارُ وَمساكِنَ طيبةً في جَنَّاتِ عدْنٍ ذَلِكَ الفوزُ العظيمُ ● واخْرى تُحِبونهَا نصرٌ مِن اللهِ وفتحٌ قرِيبٌ وَبشّرِ المُؤمِنينَ ●

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم

عزيزي القارىء المحترم

اضع بين يديك الجزء الثاني من كتابي « الحروب الصليبية » وقد جعلت عنوانه « عهد الجهاد » وهو الجزء الخاص بالفترة التي اعقبت ثبات الغزو الصليبي في الامارات التي أسسوها شرق البحر الابيض المتوسط .

اختص هذا الجزء من الكتاب بايضاح حركة الجهاد التي تمسك بها المسلمون الذين كانوا مسؤولين عن الاوضاع في شمال العراق وبلاد الشام واتخذوا من هذا المبدأ المسلك الصحيح الذي قادهم في النهاية الى القضاء على الامارات الصليبية وطرد فلول الغزاة من البلاد العربية والقضاء على احلامهم التي جاءوا لتحقيقها على حساب الأمتين العربية والاسلامية .

لقد يسر الله للامة الاسلامية خلال هذه الفترة عدداً من القادة الذين آمنوا ايماناً مطلقاً بسوقية الجهاد وافنوا حياتهم في ميادينه فاصبحوا اعلاماً له ، وكلما انطوت راية احدهم شهيداً ارتفعت اخرى مكانها لادامة استمرار تطبيق منهج الجهاد ضد الغزاة حتى وصلت الراية الى الملك نور الدين محمود زنكي الذي اتخذ من الجهاد منهجاً اساسياً لحياته والذي اضاف الى مبدأ الجهاد مبدأ الوحدة بين امارات بلاد الشام وامارة الموصل التي كانت القاعدة الاساسية لجميع حركات الجهاد التي انطلقت نحو بلاد الشام قبل انتقال الملك نور الدين محمود الى مدينة حلب .

آمن قادة حركة الجهاد من الامراء المسلمين بان السبيل الوحيدة للقضاء على الصليبيين هي عدم القبول بفكرة وجودهم في البلاد الاسلامية وعدم التعايش معهم بسلام وان الجهاد المستمر الذي لاهوادة فيه هو الطريق الذي سيقود المسلمين في النهاية الى النصر المؤكد وان وجود بعض الامراء المسلمين خلال هذه الفترة ضعاف النفوس وممن كانوا يخشون على مناصبهم ومصالحهم الخاصة من حركة الجهاد وحركة الوحدة وقد بلغت الخسة ببعضهم ان اخذوا يمدون ايديهم الى المحتلين الغزاة ويتحالفون معهم ضد ابناء وطنهم .

والجهاد مفهوم عام يشمل جميع الاستعدادات الفكرية والمدنية والعسكرية التي من شأنها ردع الاعداء المكشوفين والمستورين اذا ما فكروا بالاعتداء على المقدسات وتلك التي تخص رد العدوان عند وقوعه ـ ان البلاد الضعيفة التي ليس لها مصادر قوة تجعلها قادرة على مواجهة العدوان وصده عند الحاجة تصبح هدفاً للطامعين ، وان احسن الامثلة لذلك قدمها لنا التاريخ العربي فيما يخص بوضع الامة العربية قبل الحروب الصليبية عام ٤٨٨ هجرية ـ ١٠٩٨ ميلادية ووضعها قبل الحرب العالمية الاولى عام ١٣٣٢ هجرية ١٩١٤ ميلادية حيث كانت امة ضعيفة لاتملك من امرها شيئاً يحكمها من لا مصلحة له الا في الحصول على المكاسب المادية والانتفاع بخيراتها ، ففقدت مصادر القوة والشعور بروح الامة العريقة فاصبحت واهنة ليس لها القدرة على حماية نفسها واوطانها فضلاً عن تناحر حكامها فيما بينهم وانشغالهم بمصالحهم الخاصة مما جعل اعداءها يطمعون بها فكان الغزو الصليبي الذي احتل نتيجته الغزاة جميع سواحل البحر الابيض المتوسط ثم اندفعوا من ناحية الشمال حتى عبروا نهر الفرات حيث اسسوا امارة الرها الصليبية التي ظلت مسلطة على امارتي حلب والجزيرة وعلى الطريق الذي يربط شمال العراق ببلاد الشام فعرقلت مسيرة النجدات التي كانت تتقدم من مدينة الموصل لفك الحصار عن مدينة انطاكية قبل سقوطها بيد الصليبيين ، كما انهم اندفعوا من ناحية الجنوب حتى وصلوا ميناء العقبة الكائن على رأس خليج العقبة المتصل بالبحر الاحمر وكان هدفهم تأسيس قاعدة بحرية لهم فيه للقيام بالتعرض على المدن المقدسة في الحجاز . وكان من نتيجة احتلالهم هذا ان تجزأت البلاد العربية الى مشرق عربي ومغرب عربي كان الاتصال بينهما طيلة الفترة التي سيطر خلالها الصليبيون على هذه المناطق شبه مقطوعة وقد جرّت هذه العملية وراءها حرباً طاحنة مع الغزاة قدم المجاهدون من ابناء الامة العربية والاسلامية مئات الالوف من الضحايا حتى تمكنوا من طرد الغزاة وتحرير البلاد من احتلالهم .

اما بالنسبة للفترة الثانية وهي الفترة التي كانت خلالها البلاد العربية جزءاً من الامبراطورية العثمانية وبعد ان دب الضعف في جسم هذه الامبراطورية عادت الاطماع الاوربية القديمة تراود حكامها فاخذت تحتل المناطق المهمة والبعيدة عن مركز الخلافة العثمانية كمصر واقطار الخليج العربي وقد اتمت احتلالها لبقية البلاد بعد الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨ ميلادية) فاصبحت البلاد العربية كلها مستعمرات

اوربيــة وتــرك الشعب العــربي وحيــدا يــواجــه هــذا المــوقف الصعب امــام اعتى الامبراطوريات الاوربية . ثم اخذت الامة العربية من موقف الضعف هذا تكافح من اجل حريتها واستقلالها وقــد زاد ضعفها بسبب مــافرضــه المستعمرون عليهــا من حدود مصطنعة بين اقطارها وتنصيب حكام من صنائعهم لينفذوا اغراضهم ، واستمر موقفها على هذه الحالة حتى الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ميلادية وبعد انتهاء هذه الحرب عام ١٩٤٥ ميلادية تغير الموقف العالمي واصبح من الصعب على الاستعمار ان يبقى كما كان قبل الحرب وذلك لتنامي الشعور القومي لدى معظم شعوب العالم وللضعف الذي اصاب المستعمرين نتيجة الحرب .

وبالنظر للمصالح الكبيرة للدول الغربية في البلاد العربية لم يعد من المعقول ان ينسحب الاستعمار منها بهذه السهولة قبل ان يخلق موقفاً يستخدمــه للضغط عــلى الحكومات العربية عند اللزوم فزرع الكيان الصهيوني في قلب البلاد العربيــة والذي اتفقت اهدافه وغاياته مع اهداف وغايات المستعمرين وقد تمكن هذا الكيان تحت حماية الدول الاستعمارية وبسبب ضعف الدول العربية من السيطرة على الاراضي الفلسطينية وهكذا استلبت اغراض الكنيسة المسيحية بفكرة الدولة اليهودية ، وما اشبه احتلال اليوم باحتلال الامس ـ نفس المنطقة المحصورة بين البحر الاحمــر وسواحــل البحر الابيض المتوسط وذلك لقطع الاتصال البحري بين اجزاء الوطن العربي فضلاً عن كثرة الحدود المصطنعة بين اجزائه .

وبالنظر للتطور الفني في البلاد العربية وتيسر الاموال الكثيرة لدى الحكام العرب فعلى هؤلاء الحكام ان يفكروا بايجاد وسيلة لربط اجزاء الوطن العربي في افريقيا باجزاء الوطن العربي في اسيا بطرق برية تمر تحت البحر الاحمر كبديل للطرق التي تمر عبر شبه جزيرة سيناء ولو بصورة موقتة .

وفي النهاية اقدم جزيل شكري لجميع الاخوان الذين ســاعدوني في اتمــام هذا الكتاب بشكله الحالي واخص بالذكر منهم اخي الاستاذ عبد الله صديق الملاح الذي كان يمد لي يد المساعدة في جميع نتاجاتي الفكرية .

ومن الله التوفيق

الفصل الاول

توطئة

لم ينته القرن الخامس الهجري حتى استقر الصليبيون في بلاد الشام واسسوا اماراتهم الصليبية فيها والتي كانت تسيطر على جميع الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط ومنطقة شمال الجزيرة وقد امتدت سيطرتهم جنوباً حتى شملت ميناء العقبة الواقع على رأس خليج العقبة من البحر الاحمر . وقد تألفت الامارات الصليبية من :-

١ ـ امارة انطاكية الصليبية وقد سيطرت على اقليم مدينة انطاكية .

٢ ـ امارة طرابلس الصليبية وقد سيطرت على اقليم مدينة طرابلس الشام .

٣ ـ امارة الرها الصليبية وقد سيطرت على اقليم مدينة الرها الواقع شرق نهر الفرات .

٤ ـ مملكة بيت المقدس الصليبية وقد سيطرت على جميع الاراضي الواقعة بين بيروت شمالاً والبحر الاحمر جنوباً وبين نهر الاردن شرقاً والبحر الابيض المتوسط غرباً ومنها امتداد يسير شرق نهر الاردن .

كانت مملكة بيت المقدس تشكل اكبر الامارات الصليبية في الشرق وكانت علاقاتها مع بقية الامارات الصليبية تتوقف على الظروف ، وبصورة عامة فقد تأسست هذه الامارات بشكل مستقل بعضها عن البعض الآخر . الا ان الحاجة كانت تدفع هذه الامارات وبصورة خاصة امارة طرابلس وامارة انطاكية للخضوع لمملكة بيت المقدس وقبول اشرافها عليها عندما تهددها اخطار الازالة من قبل القوات الاسلامية المجاورة لها ، ومن الناحية الاخرى فان الاوضاع الداخلية لهذه الامارات خلقت ظروفاً خاصة ساعدت مملكة بيت المقدس في اكثر الاحيان على فرض وصايتها على هذه الامارات دون رغبة منها .

خضعت مملكة بيت المقدس في بداية تأسيسها لحكم الامير غروفري بوايون الذي لم يرض عن تنصيبه ملكاً عليها بدافع من تقواه وتدينه حيث لم يقبل الحكم الدنيوي في مدينة المسيح واكتفى بان يكون حامي القبر المقدس حتى وافاه اجله عام ١١٠٠ ميلادية ٤٩٤ هجرية[١] . وانتهى حكم هذه الامارة الى اخيه بولدوين الذي كان في ذلك الوقت اميراً لامارة الرها الصليبية وقد ترك امارته هذه بعد ان نصب عليها قريبه الامير

بولدوين دي بورج اميراً واتجه الى بيت المقدس ليتوج بعد وصوله بفترة قصيرة ملكاً على مملكة القدس بعد مناورات سياسية قامت بين الاطراف المتنافسة في مدينة القدس .

الموقف الصليبي العام

قبل عام ١١٠٠ ميلادية ٤٩٤ هجرية

على الرغم من اتمام تأسيس الامارات الصليبية في الشرق العربي خلال هذه الفترة فقد كان موقف الصليبيين عصيباً ومشاكلهم كبيرة وكان وجودهم في الشرق مهدداً والخوف يسيطر عليهم ولم تكن اقدامهم ثابتة في المنطقة ويصعب صمودهم امام القوات الاسلامية التي هزتها صدمة الغزو والاحتلال ففاقت فاعلنت الجهاد منهجاً لها ، وان اهم المشاكل التي كانت تهدد الوجود الصليبي خلال هذه الفترة كانت تتلخص بما يأتي :-

١ ـ قلة المقاتلين الصليبيين .

ان الطريق الطويلة التي سلكتها القوات الصليبية والتي كانت تمر في جميع اقسامها عبر مناطق يسيطر عليها المسلمون والقتال الشديد التي خاضته مع القوات الاسلامية اوقع بها خسائر كبيرة ففقدت اعداداً هائلة من مقاتليها وخاصة الفرسان منهم حيث لم يبق لهم عند تقدمهم من مدينة انطاكية بعد احتلالها باتجاه بيت المقدس اكثر من الف فارس ، هذا من جهة ومن الجهة الاخرى فان قسماً كبيراً ممن بقي من الصليبيين الاوائل اعتبروا ان واجبهم المقدس قد انتهى باحتلال مدينة القدس ولذلك عادت اعداد كبيرة منهم الى اوربا بعد احتلال مدينة القدس ، وعندما اصبح بولدوين ملكاً على بيت المقدس واصبح مسؤولاً عن الدفاع عن هذه المملكة لم يكن معه سوى ثلاثمائة فارس فقط(٢). وكان ذلك عاملاً مهماً من عوامل نقص المقاتلين لدى الصليبيين .

٢ ـ تهديد طرق مواصلات الصليبيين التي تربطهم باوربا .

على الرغم من قيام الصليبيين باحتلال كثير من الاراضي والمدن الواقعة شرق

البحر الابيض المتوسط فان اوربا بقيت القاعدة الرئيسية لهم فقد كانت القارة الاوربية القاعدة التي تمدهم بعناصر بقائهم في الشرق وكان اعتمادهم عليها اساسياً ، اما الطرق التي كانت تربطهم باوربا فهي :-

آ ـ الطريق البري

وهو الطريق الذي يمر عبر اسيا الصغرى قادماً من القسطنطينية وكان التنقل عليه صعباً رغم مروره بمناطق كثيرة يسيطر عليها المسيحيون ، وقد كان هذا الطريق معرضاً في كثير من اقسامه لغارات المسلمين الذين يسكنون الامارات الاسلامية التي تقع شمال شرق اسيا الصغرى وامارة حلب وغيرها من الامارات الاسلامية الواقعة في بلاد الشام ولذلك اصبح التنقل على هذا الطريق شبه مستحيل ومحفوفاً بالمخاطر الكثيرة خاصة بعد عام ١١٠١ ميلادية .

ب ـ الطريق البحري

كان الطريق البحري الذي يمر عبر البحر الابيض المتوسط الطريق الرئيسي الذي يربط الصليبيين بقواعدهم الرئيسية في اوربا وكان هذا الطريق يعدّ اميناً وتسيطر عليه في معظم اقسامه الاساطيل الاوربية التي كانت تتعاون مع الصليبيين . غير ان هذه السيطرة لم تكن تامة في بعض اقسامه لان الاسطول الفاطمي الذي كان عاملاً في البحر الابيض المتوسط كان يشكل مصدر تهديد لكثير من الامدادات الصليبية . هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى فان سيطرة الفاطميين على معظم الموانىء الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط وعدم خضوعها للصليبيين خلال هذه الفترة حرم الاساطيل الغربية من الاستفادة منها كما انها كانت تهدد السفن التي تمر بالقرب منها .

٣ ـ مشكلة الارض

ان سعة المناطق التي احتلتها القوات الصليبية شرق البحر الابيض المتوسط كانت تشكل معضلة كبيرة لهم ، لأن القوات التي كانت متيسرة لديهم قليلة لاتتناسب

وسعة المنطقة المحتلة من قبلهم ولذلك لم تتيسر القوات الكافية لهم للدفاع عن هذه المناطق بصورة جيدة ولم تتيسر لديهم القوات الكافية لتأسيس حاميات قوية على طول حدود التماس مع الامارات الاسلامية الواقعة جنوب وشرق مناطق الصليبيين بالوقت نفسه كان يتعذر عليهم شن حرب منظمة ضد القوى الاسلامية المجاورة وبذلك اصبحت قواتهم القليلة والموزعة على شكل حاميات في المدن الرئيسية التي احتلوها كجزر منعزلة عن بعضها البعض وسط المناطق التي كان يسيطر عليها المسلمون . ان هذا الموقف كان يهدد الكيان الصليبي بالزوال لوقامت اية حركة وحدوية بين القوات الاسلامية المتناحرة فيما بينها .

الاجراءات الصليبية لمعالجة موقفهم

ان السبب الرئيسي الذي ساعد الصليبيين على البقاء في المناطق التي احتلوها يعود بالدرجة الاولى الى ضعف موقف الامارات الاسلامية التي في بلاد الشام وتفرق كلمتها وبصورة خاصة امارتي دمشق وحلب والخلافة الفاطمية في مصر . ان الخلافات العميقة فيما بين هذه الامارات وتفكك اوضاعها الداخلية واطماع امرائها الشخصية ولد عدم ثقة فيما بينها وحال دون وحدتها وجمع كلمتها ، ولو قامت خلال هذه الفترة اية فكرة وحدوية او اتفاق بين اقطار مصر وبلاد الشام والعراق لاستطاعت بسهولة القضاء على الصليبيين ولأمكن تطهير البلاد منهم قبل ان يستفحل امرهم ويزداد خطرهم .

وتحت تأثير هذه الظروف الصعبة للصليبيين وبعد ان تولى بولدوين الاول الحكم في مملكة بيت المقدس قام بدراسة الموقف الصليبي واطلع على عجزهم بالمقاتلين قدر مايلي :

١ ـ عدم تمكنه من شن حرب منظمة ضد القوى الاسلامية المجاورة له .

٢ ـ عدم تمكنه من القيام بوضع حاميات قوية على طول مناطق الحدود التي كانت بينه وبين القوى الاسلامية .

وبالنسبة لهذه الاستنتاجات وضع خطته لاستخدام قواته بالاسلوب الاتية :ـ

١ ـ القيام بوضع نقاط مراقبة صغيرة على اطراف مملكته لمراقبة تحركات القوات الاسلامية .

٢ ـ تحشيد القسم الاعظم من قواته واستخدامها بضربات قوية وسريعة على المناطق الاسلامية المجاورة لغرض ادخال الرعب في قلوب المسلمين ومنعهم من التعرض للمناطق التي يسيطر عليها الصليبيون والسيطرة على المواد التموينية للاستفادة منها في ادامة الحرب ضد المسلمين .

٣ ـ ولأجل تأمين سرعة الحركة لتنفيذ هذه الضربات اعتمد الصليبيون في قتالهم خلال هذه المرحلة على عنصر الفرسان لما يتمتع به هذا الصنف من سرعة الحركة والمرونة .

وعلى هذا الاساس قام الصليبيون بعدة ضربات سريعة وخاطفة حققت لهم بعض الانتصارات خاصة تلك التي كانت موجهة ضد الملك دقاق ملك دمشق عند نهر الكلب . ثم قامت بحركة سريعة لضرب القبائل العربية التي كانت تتعرض لمناطقهم فكان من نتائجها انها ولدت لدى المسلمين الانطباعات الاتية :ـ

١ ـ ولدت لدى المسلمين انطباعاً عكسياً عن قوة الصليبيين رغم ضعفهم وقلة قواتهم .

٢ ـ ارغمت الموانيء العربية الواقعة على ساحل البحر الابيض المتوسط ـ عسقلان وقيسارية وعكا وصور ـ والتي كانت لاتزال صامدة ضد الغزو الصليبي على ارسال مندوبين عنها عام ١١٠١ ميلادية ٤٩٥ هجرية الى الملك بولدوين تحمل اليه الهدايا والجزية وتطلب منه المهادنة لاستئناف نشاطها التجاري مع الصليبيين .

٣ ـ ارسل الملك دقاق ملك دمشق خلال هذه الفترة سفارة الى الصليبيين في بيت المقدس لفداء الاسرى الذين اسرهم الصليبيون في معركة نهر الكلب .

الا ان الموقف لم يدم طويلاً على هذا الشكل فقد رأى الملك بولودين الاول ملك بيت المقدس ان احسن وسيلة للدفاع عن مملكته خلال هذه الفترة بالذات هي اتخاذ خطة مهاجمة الحواضر العربية التي كانت لاتزال خارج سيطرة الصليبيين وبصورة خاصة الموانيء التي تقع على ساحل البحر الابيض المتوسط الشرقي ، وقد استغل وصول اسطول الى ميناء حيفا عام ١١٠١ ميلادية ثم توجه الى ميناء يافا حيث اجتمع الملك بولودوين الاول مع قادته وبعد مفاوضات بينهم لتحديد المنافع التي يرضون بها لمعاونته في تحقيق اهدافه العسكرية وبعد ان تم الاتفاق بين الطرفين وقع الاختيار على ميناء ارصوف الذي كان تابعاً من الناحية الاسمية للخلافة الفاطمية فتقدمت اليه

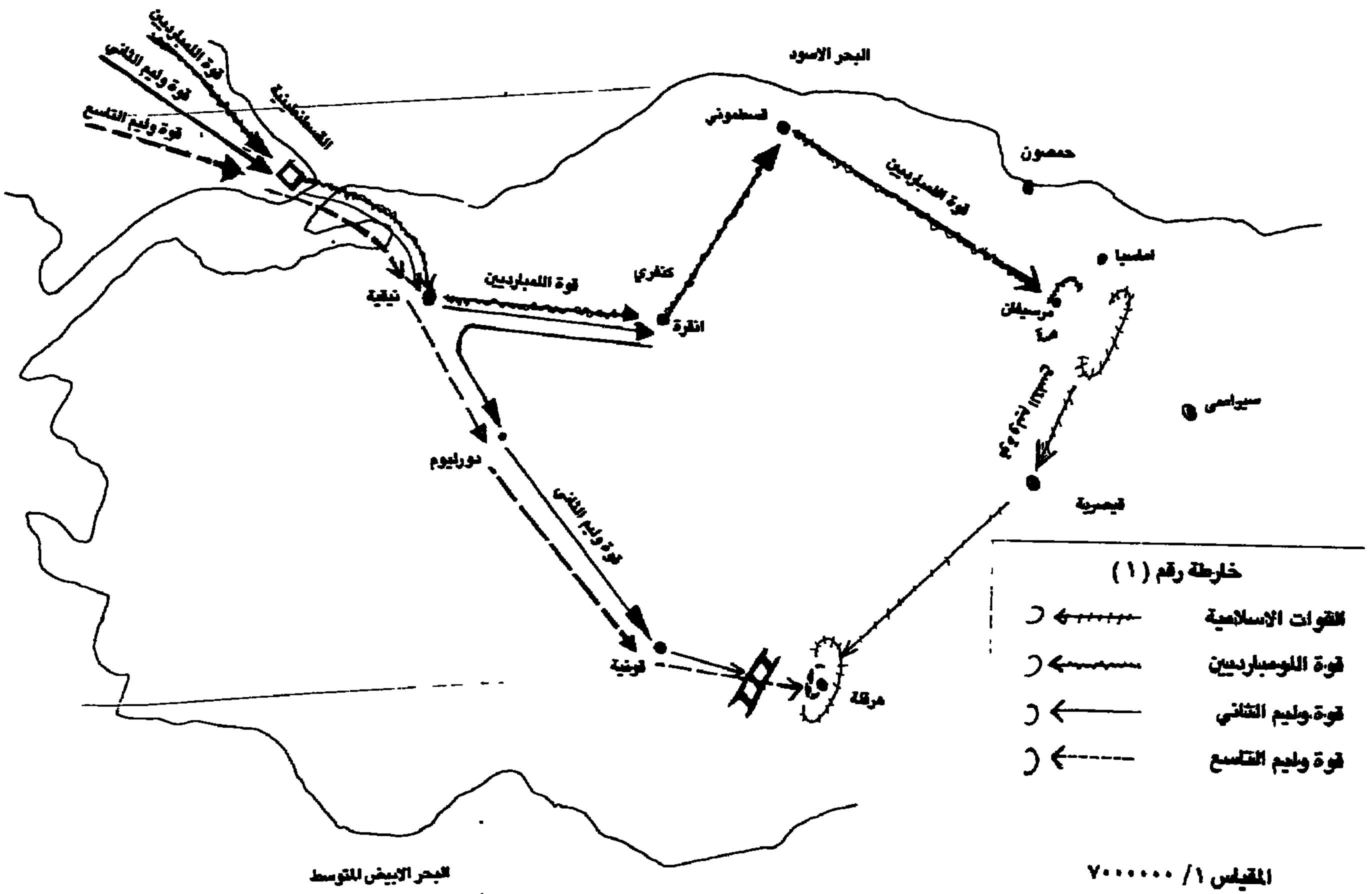
القوات الصليبية وحاصرته براً وبحراً وشددت الحصار عليه فلم يستطع الصمود امام الهجمات الصليبية فاستسلم لهم في اواخر شهر نيسان من عام ١١٠١ ميلادية ٤٩٥ هجرية وبعد ان ترك الملك بولدوين الاول حامية صغيرة في مدينة ارصوف توجه بقواته نحو ميناء قيسارية وكانت تابعاً للخلافة الفاطمية ايضاً فحاصره براً وبحراً وبعد قيام هذه القوات بعدة هجمات على الميناء تمكنت من دخوله عنوة خلال شهر مايس ١١٠١ ميلادية ٤٩٥ هجرية وقد احدثوا فيه مذبحة وحشية حيث قتلوا معظم سكانه العزل .

كان من نتائج هذه العمليات ان تعزز موقف الصليبيين من الناحيتين المعنوية التي اعطت انطباعاً لدى المسلمين بانه لايمكن قهر القوات الصليبية والمادية وذلك باحتلال هذه الموانىء وفتحها امام السفن الغربية التي تصل من اوربا والاستفادة من مواردها .

هوامش الفصل الاول

١ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٥

٢ ـ فيلدمارشال مونتجمري ـ الحرب عبر التاريخ ٢/٢٥١ .


البحر الاسود
القسطنطينية
قوة اللمبارديين
قوة وليم الثاني
قوة وليم التاسع
نيقية
قوة اللمبارديين
كنغري
انقرة
اسطموني
قوة اللمبارديين
حمصون
اماسيا
مرسيفان
قوة وليم التاسع
سيواس
قيصرية
دوريليوم
قوة وليم الثاني
قونية
هرقلة
البحر الابيض المتوسط
خارطة رقم (١)
القوات الاسلامية
قوة اللومبارديين
قوة وليم الثاني
قوة وليم التاسع
المقياس ١/ ٧٠٠٠٠٠٠

الفصل الثاني

حركات التعزيز الصليبية لعام ٤٩٥ هجرية ١١٠١ ميلادية

بعد ان وصلت اخبار نجاح الحملة الصليبية الاولى في الاستيلاء على الاراضي المقدسة والمكاسب المادية التي حصل عليها الصليبيون في الشرق الى اوربا[1] ظهرت حركة تعزيز صليبية جديدة فيها تحمس لها كثير من الامراء الذين لم يشتركوا في الحملة الصليبية الاولى وذلك للاغراض التالية :ـ

١ ـ الاغراض الشخصية

آ ـ محاولة الفوز بنصيب من الاسلاب والغنائم قبل ضياع الفرصة .

ب ـ المشاركة في الحركة الصليبية وكسب ثوابها الديني .

٢ ـ الاغراض العامة

آ ـ حاجة الصليبيين الماسة في الشرق للمعونة البشرية لسد النقص الذي حصل بين صفوفهم نتيجة الخسائر الكبيرة التي حلت بهم .

ب ـ ادامة استئناف سياسة التوسع على حساب الامارات الاسلامية المجاورة لتحقيق اهداف الصليبيين .

ج ـ حماية ما حققه الصليبيون من مكاسب ضد الهجمات الانتقامية التي سيقوم بها الجانب الاسلامي[2] .

بدأت حركة دفع الامدادات الصليبية خلال هذه المرحلة من ايطاليا عندما تألفت اول مجموعة صليبية جديدة من اللمبارديين سكان مقاطعة لمبارديا ، وقد تحركت هذه المجموعة التي كانت تضم اعداداً كبيرة من النساء والاطفال والتي تميزت بقلة عدد الفرسان والمقاتلين فيها قاصدة القسطنطينية تحت قيادة رئيس اساقفة ميلان المدعو انسلم والامراء البرت وجوبرت وهيو[3] وقد عقبت طريق الدانوب في الوصول الى القسطنطينية .

وبالنظر للاعمال المشينة التي قامت بها هذه المجموعة اثناء تقدمها وبعد وصولها القسطنطينية جعل الامبراطور الكسيوس كرفين يعمل على دفعها الى الضفة الشرقية من البسفور لحماية منطقة القسطنطينية من المشاكل التي قد تنجم عن اعمال هذه المجموعة من الغوغاء والتي كانت اعمالهم تشابه الى حد كبير اعمال صليبية العامة التي وصلت القسطنطينية في بداية الحركة الصليبية . اما قادة الحملة فقد عارضوا هذه الفكرة في بادىء الامر محتجين بضرورة انتظار اخوانهم الصليبيين الوافدين من الغرب في اعقابهم ، الّا انهم اجبروا اخيراً على العبور والانصياع لرغبة الامبراطور البزنطي فتم

عبورهم خلال شهر نيسان من عام ١١٠١ ميلادية ٤٩٥ هجرية لينتظروا بقية الصليبيين في القسم الاسيوي من اراضي الامبراطورية البزنطية وقد اختيرت منطقة مدينة نيقية لتكون منطقة تحشد للقوات الصليبية الجديدة التي اخذت جموعها تصل القسطنطينية تباعاً وتعبر البسفور الى منطقة تحشدها وقد تم تحشد قوة مؤلفة من مائتي الف صليبي في هذه الفترة قرب مدينة نيقية[٤] ، وقد تعين الكونت رايموند الذي كان موجوداً في القسطنطينية في هذا الوقت قائداً لهذه المجموعة .

التقدم الصليبي في الانضول

كان الهدف الرئيسي للصليبيين الجدد هو الوصول الى بلاد الشام لنجدة اخوانهم الصليبيين الاوائل الذين اصبحوا بحاجة ماسة للعنصر البشري للمحافظة على وجودهم في الشرق وتحقيق اهدافهم البعيدة . وكان هذا الهدف يحتم عليهم التقدم باسرع مايمكن وعلى اقصر الطرق للوصول الى بلاد الشام وكان طريق نيقية - وورليوم - قونية الذي فتحه الصليبيون الاوائل هو الطريق الامثل لتقدمهم وقد ايد هذه الفكرة قائدهم الكونت رايموند والامبراطور البزنطي[٥] إلا ان جموع اللمبارديين عارضت واصرت على التقدم نحو امارة الدانشمنديين لتخليص الامير بوهيمند من الاسر وعند عدم استطاعتهم ذلك فتخريب مدن سيواس واماسيا اهم مدن الدانشمنديين للانتقام منهم .

وعلى هذا الاساس تحركت هذه القوة من مناطق تحشدها قرب مدينة نيقية باتجاه مدينة انقرة التي كانت تابعة لسلطنة قلج ارسلان وقد وصلتها في اواخر شهر حزيران عام ١١٠١ ميلادية وتمكنت من الاستيلاء عليها بسهولة[٦] ثم اتجهت نحو الشمال الشرقي قاصدةً مدينة كنفري[٧] التي لم تتمكن من الاستيلاء عليها فتركتها واتجهت شمالاً نحو مدينة قسطموني . وهكذا انحرفت هذه الحملة عن هدفها الرئيسي واشغلت نفسها بحركات جانبية غير مهمة فدخلت مناطق جبلية وعرة تجهل طبيعتها وطرقها ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان الامير قلبح ارسلان سلطان سلاجقة الروم اتبع معهم سياسة الارض المحروقة فكان ينسحب امام التقدم الصليبي بعد اخلاء المناطق وحرق الاقوات وكل مايمكن ان يستفيد منه الصليبيون وبصورة خاصة مواد التموين والاعاشة ولم يدخل معهم بحركة حاسمة حتى ورطهم بالدخول الى اعماق بلاد الانضول فقلت الاقوات لديهم واخذ منهم التعب مأخذه نتيجة ذلك اضافة الى الهجمات الخفيفة التي كان يقوم بها الفرسان المسلمون لايقاع الخسائر بين صفوفهم . فقد كانت قوات

المسلمين سريعة الحركة تهاجم الرتل الصليبي من جوانبه وتعمل على الطرق العمودية على خط تقدم الرتل الصليبي ثم تنسحب بسرعة دون ان تتورط بقتال جدي مع الصليبيين اثناء تقدمهم موقعة بهم اكبر الخسائر ومؤثرة على معنوياتهم ، ولم تترك القوات الاسلامية مجموعة من مجموعات الصليبيين الاّ وهاجمتها متبعة اسلوب الكر والفر المعروف لدى القوات الاسلامية منذ القدم ، فاختل توازن القوات الصليبية وهي مازالت عند قسطموني . وقد اضطرت القوات الصليبية نتيجة هذه الهجمات الى التقدم على شكل كتلة متراصة لحماية بعضها البعض الآخر وقد ادى ذلك الى سهولة محاصرتها من قبل القوات الاسلامية وتضييق الخناق عليها[٨] . وعندما لم يجد الصليبيون مايعوضهم ويسد نقصهم في مدينة قسطموني التي انسحب منها قلج ارسلان نحو الشرق فقد تركوها وعقبوا القوات الاسلامية وقد اخذ التعب منهم نتيجة وعورة الطرق وطولها وقلة المواد الغذائية لديهم .

معركة مرسيفان

الموقف الاسلامي

بعد وصول القوات الصليبية الى هذا الحد اخذت القوات الاسلامية تتجمع لمواجهة القوات الصليبية بعد ان امنت مايأتي :

١ ـ غيرت اتجاه الحملة الصليبية عن هدفها الاصلي .

٢ ـ سحبت القوات الصليبية الى المناطق الداخلية الوعرة والتي يصعب التقدم عليها لقلة الطرق وعندما وصلت ارض المعركة كانت قد انهكها التعب والجوع .

٣ ـ وعندما تقابل الطرفان كان التعب من طول خطوط التقدم والجوع من شحة المواد الغذائية قد حطأ من معنويات القوات الصليبية فظهر من ذلك موقف ملائم للقوات الاسلامية تمكنت فيه من القضاء على الصليبيين بسهولة رغم تفوقهم العددي على المسلمين .

تقدير القوات الاسلامية

تألفت القوات الاسلامية من :ـ

١ ـ قوات الدانشمنديين الذين كانت امارتهم من الامارات الاسلامية الصغيرة

وكانت هذه الامارة لاتستطيع ان تجهز اكثر من خمسة الاف مقاتل كلهم من الفرسان .

٢ ـ قوات سلطنة سلاجقة الروم التي كانت قواتها قبل التقدم الصليبي في الانضول تقدر بعشرة الآف مقاتل كلهم من الفرسان الا ان فقدان هذه الامارة كثيراً من مناطقها امام تقدم الصليبيين الاوائل جعلها اقل قواتاً مما كانت عليه ويمكن تقدير قواتها بحدود سبعة الآف ـ ثمانية الآف مقاتل .

٣ ـ قوات امارة حلب التي قدمت لمساعدة القوات الاسلامية وان تقدير هذه القوة لايزيد في احسن الظروف عن ثلاثة الآف مقاتل .

وهكذا يكون تقدير القوات الاسلامية بحدود خمسة عشر الف مقاتل كلهم من الفرسان وكانت تمتاز على القوات الصليبية بمايأتي :ـ

١ ـ انها تدافع عن وجودها وعن بلادها ضد الغزاة الطامعين .

٢ ـ تعتمد بصورة خاصة على الفرسان الذين يشكلون كل القوة وهذه الخاصية اعطت القوات الاسلامية سرعة الحركة وقابلية المناورة التي امتازت وتفوقت بها على القوات الصليبية .

٣ ـ انها تقاتل في بلادها وعلى ارض تعرف مسالكها وتعتمد في ادامتها على قواعدها الكائنةوراء القطعات .

تم تحشد القوات الاسلامية وهي في موقفها هذا في منطقة تقع بين مدينتي سيواس اسيا . تقدمت القوات الصليبية من مدينة قسطموني باتجاه الشرق وبعد ان وصلت ئع الرتل الصليبي الى مدينة مرسيفان الواقعة في منتصف المسافة بين نهر هاليس ينة اماسيا وقعت مقدمة القوات الصليبية بكمين نصبته لها القوات الاسلامية فقد بتها بضعة مئات من الفرسان الالمان ثم تقدمت بعد ذلك حتى وقفت امام منطقة ند القوات الاسلامية ثم اخذت تتهيأ للدخول في معركة معها في الوقت الذي كانت ض فيه لهجمات سريعة من رماة السهام المسلمين ومن اتجاهات مختلفة حيث كان سان المسلمون يكرون على تحشدات القوات الصليبية ويرشقونها بالسهام ثم يفرون عة لعدم اعطاء الفرصة للصليبيين لمهاجمتهم ، كان الغرض من شن هذه الهجمات خلال بتوازن القوات الصليبية وتكبيدها الخسائر والحط من معنوياتها ، وقد ادت ه الهجمات الغرض منها فلم يمض طويل وقت حتى فقدت القوات الصليبية

تماسكها[٩] .

وفي اوائل شهر آب من عام ١١٠١ ميلادية ٤٩٥ هجرية تقابلت القوتان الاسلامية والصليبية وعند الهجوم الاول للقوات الاسلامية انهزم اللمبارديون من ميدان المعركة وقد حاول القادة الصليبيون وعلى رأسهم الكونت رايموند حثهم على الثبات امام القوات الاسلامية والصمود لها فلم يتمكنوا فتصدعت جبهة القوات الصليبية وحلت الكارثة بها بهزيمة منكرة ولم يلبث قائد الصليبيين نفسه ـ الكونت رايموند ـ ان فرّ هارباً الى الشمال باتجاه ساحل البحر الاسود ومن هناك ركب سفينة اقلته الى القسطنطينية وترك قواته تلاقي مصيرها وتبعه الامراء الصليبيون الآخرون وتركوا وراءهم اتباعهم ونساءهم واطفالهم ومتاعهم فاستولت عليها القوات الاسلامية[١٠] وقد قامت هذه القوات بمطاردة فلول المنهزمين فقتلوا منهم أعداداً كبيرة قدرها المؤرخون الصليبيون انفسهم بين المائة والخمسون والمائة والستون الف .[١١]

نتائج معركة مرسيفان

كان لهذه المعركة نتائج مهمة على الطرفين الاسلامي والصليبي . اما بالنسبة للصليبيين فقد زادت نتائج هذه المعركة من حدة الخلاف بينهم وبين الامبراطورية البزنطية التي اعتبروها المسؤولة عن هزيمتهم والقوا باللائمة عليها فازدادت العلاقات سوءاً بين الطرفين . واما بالنسبة للمسلمين فانها اعادت للقوات السلجوقية شهرتها واعادت للسلاجقة ثقتهم بانفسهم بعد ان اثرت عليهم انتصارات الحملة الصليبية الاولى . وبعد هذا النصر اصبح بامكان سلطان سلاجقة الروم قلج ارسلان اعادة سيطرته على اواسط الانضول ولم يلبث ان نقل عاصمته الى مدينة قونية الواقعة على الطريق الرئيسي الذي يربط القسطنطينية باقليم بلاد الشام ، كما ان الامير غازي ابن الدانشمند اتجه صوب الجنوب واخذ يهاجم اطراف اقليم امارة الرها الصليبية[١٢] .

استمرار التقدم الصليبي

بعد القضاء على الموجة الاولى من موجات التعزيز القادمة من اوربا الى الشرق الذي كان الموقف فيه بحاجة الى القوة البشرية لسد النقص بعد الخسائر الكبيرة التي حلت بالصليبيين نتيجة تقدمهم الى بيت المقدس والمعارك التي خاضوها مع القوات

الاسلامية فقد وصلت الى القسطنطينية في منتصف شهر حزيران من عام ١١٠١ ميلادية ٤٩٥ هجرية قوة تقدر بخمسة عشر الف من المقاتلين الفرسان والمشاة بقيادة المدعو وليم الثاني كونت نيفرز من فرنسا[١٣] ، وبعد ان اطلع قائد هذه الموجة على الموقف قرر التقدم فوراً واللحاق بالموجة الاولى التي سبقته فتقدمت قوته باتجاه مدينة نيقية وعندما وصلتها وجدت حملة اللمبارديين قد تحركت باتجاه مدينة انقرة فعقبت نفس الطريق حتى وصلت مدينة انقرة في نهاية شهر حزيران من عام ١١٠١ ميلادية ٤٩٥ هجرية ، وبعد ان رأى قائد هذا الرتل صعوبة التقدم بنفس الاتجاه وعدم تمكنه من اللحاق بقوات اللمبارديين وبسبب نقص مواد التموين غيرت هذه القوة خطة تقدمها فعادت من مدينة انقرة الى مدينة نيقية ومنها اتجهت الى مدينة قونية التي وصلتها بصعوبة في اوائل شهر آب من عام ١١٠١ ميلادية ٤٩٥ هجرية فوجدتها وقد اغلقت ابوابها بوجههم وكانت حاميتها متهيئة للدفاع عنها . وبالنظر لقوة تحصيناتها وضعف القوة الصليبية وسوء موقفها الاداري فقد فشلت هذه القوة في اقتحام اسوار المدينة واحتلالها وقد رأى قائدها انه ليس من الحكمة بقاؤها امام اسوار المدينة وهو يعاني من نقص مواد التموين والاعاشة فقرر التقدم شرقاً قاصداً بلاد الشام .

وخلال هذه الفترة كانت القوات الاسلامية في منطقة سيواس قد فرغت من القضاء على حملة اللمبارديين الصليبية وقد وردتها اخبار تقدم قوة وليم الثاني باتجاه مدينة قونية وقد تفرغت لمعالجتها . تقدمت القوات الاسلامية سريعة الحركة من منطقة سيواس بقيادة الامير قلج ارسلان سلطان سلاجقة الروم والامير غازي بن الدانشمند. فوصلت مدينة هرقلة قبل حركة قوة وليم الثاني من مدينة قونية فقامت بردم الابار الواقعة على الطريق بين مدينتي قونية وهرقلة واخلت المنطقة من مواد التموين والاعاشة لحرمان الصليبيين منها .

بعد قرار الكونت وليم الثاني على ترك مدينة قونية تقدمت قواته باتجاه مدينة هرقلة فازدادت مشاكلها الادارية نتيجة الاجراآت التي اتخذتها القوات الاسلامية وكان تقدمها بطيئاً وعندما وصلت على مقربة من مدينة هرقلة اشتد بها العطش والتعب والجوع فانهارت معنوياتها وفقدت السيطرة عليها عكس القوات الاسلامية التي ارتفعت معنوياتها نتيجة انتصارها في معركة مرسيفان وقد امنت التفوق العددي على قوات هذه المجموعة كما انها استغلت قابلية حركتها احسن استغلال لتهيئة الفرصة المناسبة لها

للقضاء على قوة وليم الثاني .

كانت خطة القوات الاسلامية تقضي بنصب كمين للقوة الصليبية قبل مدينة هرقلة وبعد ان وصلت هذه القوة منطقة الكمين المختارة وقد انهكتها مشاكلها الادارية وفقدت السيطرة عليها فلم تتخذ اساليب الحماية عند التقدم طوقتها القوات الاسلامية واوقعتها في الكمين الذي نصبته لها وبعد معركة لم تستمر طويلاً انهارت مقاومة القوة الصليبية فابيدت على ساحة المعركة وهكذا تمكنت القوات الاسلامية في نهاية شهر آب من عام ١١٠١ ميلادية ٤٩٥ هجرية من القضاء على هذه القوة قضاءاً تاماً ولم ينج منها غير اميرها الذي فرّ هارباً مع نفر قليل من قوته(١٤) .

وفي اوائل شهر تموز من عام ١١٠١ ميلادية وصلت القسطنطينية الدفعة الثالثة من الصليبيين الجدد وكانت تتألف من الفرنسيين والالمان وكان المدعو وليم التاسع دوق اكيتانيا يقود الفرنسيين على الطريق البري الذي يمر جنوب المانيا وهنا التحق به السير وولف دوق بفاريا مع المجموعة الالمانية التي تتألف من الفرسان والمشاة(١٥) وكانت هذه الجموع تقدر بستين الف صليبي(١٦) .

صادفت هذه القوة بعد عبورها الى الانضول متاعب كثيرة وذلك بسبب الافواه الآكلة الكثيرة وقلة مواد التموين وصعوبة التقدم على الطرق الضيقة والجبلية خاصة وان السلاجقة اتبعوا معها سياسة الارض المحروقة قبل مهاجمتها فكانوا يخلون المدن التي تقع على طريق تقدمهم بعد اخلائها من كل مايمكن ان يستفيد منه الصليبيون في تقدمهم وحرق مالم تستطع حمله من هذه المواد . وبعد عبور هذه القوة مضيق البسفور انتظرت عودة قوة الكونت نيفرز التي سبقتها بالتقدم الى مدينة انقرة مدة خمسة اسابيع وبعد ان يئست من انتظارها تقدمت ببطء باتجاه بلاد الشام على الطريق البري العام وقد زاد من مشاكلها ان قوة الكونت نيفرز التي كانت تنتظر عودتها قد سلكت نفس الطريق وقبل فترة من حركتها وكانت تستهلك كل ماتجده من مواد اعاشة وتموين في طريقها كما ان ابار المياه التي على الطريق قد طمرت من قبل القوات الاسلامية كوسيلة لزيادة مصاعب الصليبيين وخلق المشاكل الادارية لهم .

وعندما وصلت هذه الجموع مدينة قونية التي وجدتها خالية من كل شيء بعد ان تركتها الحامية السلجوقية التي قدرت عدم تمكنها من الصمود امام هذه الجموع الغفيرة بعد ان اخلت المدينة من كل ما يفيد الصليبيين الذين وصل بهم الجوع والعطش

والتعب اقصى حد واصبح مقاتلوهم منهوكي القوى . وفي هذه الاثناء كانت قوة الكونت نيفرز تتلقى مصيرها وفنائها على ايدي القوات الاسلامية على بعد مائة ميل شرق مدينة قونية .

تقدمت القوات الصليبية من مدينة قونية باتجاه مدينة هرقلة وقد انهكها الجوع والعطش فاخذت القوات الاسلامية السريعة الحركة والخفيّفة التجهيز تهاجم الرتل من جوانبه وتمطره بالسهام ثم تنسحب بسرعة مخلفة بين صفوفها الخسائر والهلع ومن ناحية فقد وضعت الرتل الصليبي تحت رقابتها فاخذت ترصد تحركات الجماعات التي تخرج من بين صفوف الرتل لغرض الاحتطاب او جمع المؤن فتقطع عليها طرق العودة وتعزلها عن الرتل الصليبي ثم تقضي عليها .

وبعد جهد جهيد وصل الرتل الصليبي مدينة هرقلة التي اخلتها القوات الاسلامية والتي انسحبت حسب خطتها الى المناطق الشرقية من مدينة هرقلة واختفت بين اشجار الغابات الواقعة على شاطىء النهر الذي يقع خلف المدينة . وعندما دخلت القوات الصليبية مدينة هرقلة ولم تجد فيها لاماء ولا طعام وقد اشتد بها العطش وبعد ان رأت مياه النهر وهي على هذه الحالة فقدت السيطرة عليها واختل نظامها واندفعت الى النهر كالجموع الهائجة ، وفي الوقت الذي اختل فيه نظامهم انقضت عليهم القوات الاسلامية التي كانت مختفية بين اشجار الغابات الواقعة على شاطىء النهر واحاطت بهم من كل ناحية ولم تترك لهم فرصة الهرب او اعادة التنظيم فانتشر الذعر بين القوات الصليبية وولت الادبار وفي هذا الوقت اخذت سيوف القوات الاسلامية السريعة الحركة تعمل فيهم قتلاً وذبحاً حتى قضت عليهم قضاءاً تاماً ولم يتمكن من النجاة من هذه الجموع إلا نفر قليل من بينهم قادة الصليبيين الذين فروا هاربين باتجاه مدينة طرسوس تاركين اتباعهم وراءهم(١٧) .

النتائج التي ترتبت على فشل حركات التعزيز لعام ١١٠١ ميلادية ٤٩٥ هجرية .

لقد ابيدت جميع القوات التي رافقت حركة التعزيز الصليبية لعام ١١٠١ ميلادية ٤٩٥ هجرية ابادة تامة من قبل القوات الاسلامية وكان للمعارك التي خاضتها القوات الاسلامية في مواجهة حركات التعزيز هذه آثار كبيرة على المسلمين وعلى الصليبيين بوقت واحد . اما اهم هذه الاثار فهي كما يلي :-

بالنسبة للمسلمين

١ ـ كان لهذه العمليات اثار كبيرة في وحدة القوى الاسلامية الموجودة في الانضول وكانت هذه الوحدة اهم سبب في جعل نتائج المعارك التي خاضتها هذه القوات لصالح المسلمين بحيث مكنتهم من ابادة الموجات الصليبية التي قدمت لتعزيز الصليبيين في الشرق ابادة تامة ولو توحدت هذه القوات منذ بداية التقدم الصليبي لامكنها منعهم من الوصول الى بلاد الشام .

٢ ـ كان لابادة هذه الموجات من قبل القوى الاسلامية اثار كبيرة على رفع معنويات المسلمين وقد محت هذه الانتصارات التي حققتها قوات السلاجقة في الانضول الآثار السيئة التي تركتها معركة دورليوم عام ١٠٩٨ ميلادية ٤٩٢ هجرية من مخيلة وتفكير القوات الاسلامية .

بالنسبة للصليبيين

١ ـ ومن اهم اثار هذه المعارك ان اقفل الطريق البري الذي يمر بالانضول بوجه القوات الصليبية مرة اخرى بعد ان تمكنت الحملة الصليبية الاولى من فتحه امام التقدم الصليبي واستمر هذا الطريق مقفلاً بوجه الصليبيين لعدة سنوات مقبلة واجبر الصليبيين على الاعتماد في تنقلهم وامداداتهم على الطريق البحري فقط .

٢ ـ ان الكارثة التي حلت بموجات الصليبيين الذين قدموا عام ١١٠١ ميلادية ٤٩٥ هجرية حرمت الصليبيين في الشرق من الآف التقويات والتي كانت الامارات الصليبية في الشرق احوج ما تكون لهم بسد نقصها وتعزيز قواتها وفي تحقيق اهدافها[١٨] .

٣ ـ ان غلق الطريق البري الذي يمر من الانضول بوجه الامدادات الصليبية جعلهم يعتمدون على الطرق البحرية فقط في سد احتياجاتهم وان سيطرة الاساطيل الايطالية على هذه الطرق جعل المدن الايطالية تتحكم في اوضاع الصليبيين في الشرق وبذلك زادت مكاسبها وتضاعفت امتيازاتها خاصة مدن البندقية وبيزا وجنوه[١٩] .

٤ ـ ومن الملاحظ ان الارمن والمسيحيين المحليين وحتى الامبراطورية البزنطية نفسها لم يتحركوا لتقديم اية مساعدة لهذه الجموع الصليبية التي كانت تباد

امام القوات الاسلامية كما فعلوا من قبل في تقديم المساعدات للصليبيين الاوائل وذلك لانهم اكتشفوا نتيجة اعمال الصليبيين الاوائل بعد تأسيس اماراتهم في الشرق وتعاملهم مع المسيحيين المحليين كان له اسوأ الاثر في نفوسهم وقد ولد حقداً لديهم على الصليبيين مما جعلهم في اغلب الاحيان يشعرون بالندم لوقوفهم مع الصليبيين الغزاة ضد ابناء وطنهم .

هوامش الفصل الثاني

١ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٣٣٦

٢ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/ ٣٨

٣ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٣٣٦

رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/ ٤٠

٤ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٣٣٦

ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٢١١ فقد اورد ان الكونت رايموند قاد قوة مؤلفة من مائة الف مقاتل ـ وعلى كل حال فان هذين الرقمين مبالغ فيهما كثيراً لان الاعمال التي انجزتها هذه القوة والنتيجة التي وصلت اليها بعد اصطدامها بالقوات الاسلامية التي لايزيد عددها على خمسة عشر الف مقاتل خير دليل على ضعف شانها وقلة عددها .

٥ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٣٣٦

٦ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/ ٤٢

٧ ـ كنفري ـ مدينة صغيرة تقع الى الشمال من مدينة انقرة

٨ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/ ٤٣

٩ ـ المرجع السابق ٢/ ٤٥

١٠ ـ المرجع السابق ٢/ ٤٥

١١ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٣٣٨

١٢ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/ ٤٧

١٣ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٣٣٩

١٤ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/ ٤٨

١٥ ـ المرجع السابق ٢/ ٥٠

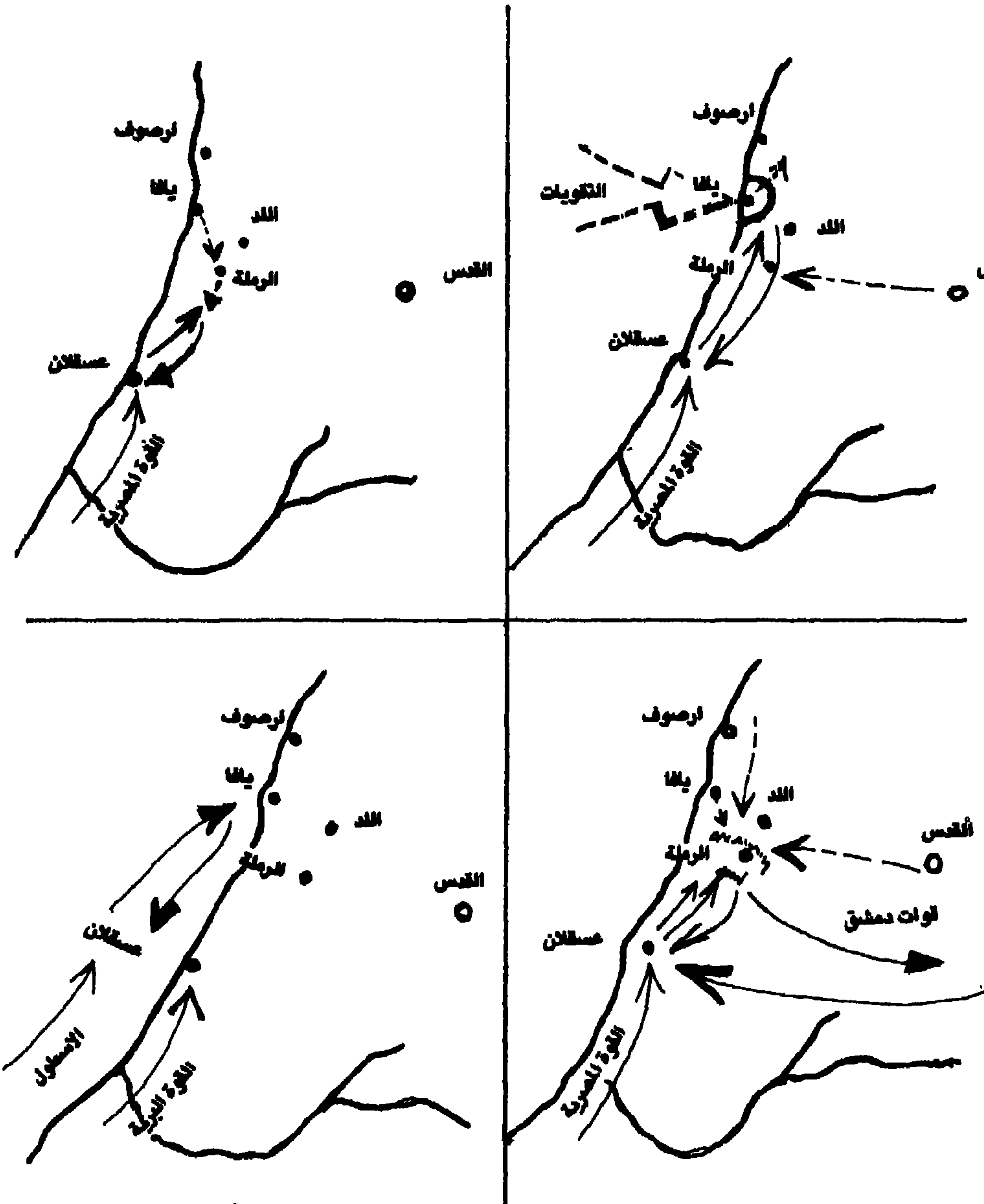
١٦ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٣٣٩ ـ لاشك ان هذا الرقم يشمل جميع من رافقوا الحملة من نساء واطفال وشيوخ بصفة حجاج

١٧ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/ ٥٢

عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٣٤٠

١٨ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/ ٥٤

١٩ ـ المرجع السابق ٢/ ٥٤



خارطة رقم (٢)

المقياس ١ / ١٤٠٠٠٠٠

القوات الاسلامية

القوات الصليبية

الفصل الثالث

ساحة الحركات الجنوبية
حركات التعرض الفاطمية

راجع خارطة رقم (٢)

بعد ان تولى الملك بولدوين الاول المسؤولية في مملكة بيت المقدس رأى بثاقب بصره وحسن تقديره ضرورة السيطرة على الشواطيء الفلسطينية المقابلة لمملكة بيت المقدس فاقتضى ذلك احتلال الموانيء الواقعة على تلك السواحل وذلك لتأمين طريق الحجاج وتسهيل استقبال السفن الغربية القادمة من اوربا لتنشيط حركة التجارة بين مملكته والدول الاوربية . وقد ساعدته الاساطيل الايطالية في انجاز هذه المهمة لتأمين مصالحها فاحتل موانيء ارصوف وقيسارية التي كانت تابعة للخلافة الفاطمية لحد الآن[١] ، كما ان معركة عسقلان التي جرت عام ٤٩٢ هجرية[٢] والتي هرب فيها الافضل بن بدر الجمالي الوزير المصري كان لها اثر كبير على موقف الخلافة الفاطمية جعلها تفكر جدياً بمواجهة القوات الصليبية فكانت مدينة عسقلان قاعدة امامية لتحشد قواتها . قرر الوزير الافضل توجيه حملة الى فلسطين عام ٤٩٦ هجرية ١١٠١ ميلادية وقد تحشدت القوات الفاطمية في مدينة عسقلان بقيادة المملوك سعد الدولة الملقب بالطواشي[٣] ثم تقدمت بعد ان اكملت تحشدها باتجاه مدينة الرملة التي عدتها هدفها المتقدم وقاعدة عملياتها المقبلة منها تتمكن من تهديد مدينة القدس وميناء يافا وبوقت واحد .

اضاعت القوات الفاطمية وقتاً ثميناً في مدينة عسقلان مما هيأ الفرصة للملك بولدوين لتجميع قواته وطلب النجدات من الامارات الصليبية الاخرى . وبعد ان اطلع على احوال الجيش المصري الذي كان متوفقاً على قطعاته تفوقاً ساحقاً حيث لم يتيسر للملك بولدوين في هذه الظروف العصيبة غير قوة مؤلفة من مائتين وستين من الفرسان وتسعمائة مقاتل مشاة[٤] اما القوات الفاطمية فكانت تقدر بخمسة الآف مقاتل على اقل تقدير[٥] .

وبعد ان قدر الملك بولدوين الموقف وموقف قواته التي كانت في ميناء يافا في هذا الوقت ورأى تفوق القوات الفاطمية الساحق على قواته ، قرر القيام بهجوم سريع ومباغت على القوات الفاطمية التي لم تتخذ تدابير الحماية اللازمة لمعسكراتها بعد ان وصلت مدينة الرملة . وقد قامت القوات الصليبية بهجوم سريع ومباغت عليها صبيحة يوم ٧ ايلول عام ١١٠١ ميلادية ـ ٤٩٦ هجرية فبوغتت القوات الفاطمية واختل نظامها فانهزمت قواتها التي لم تكن عازمة على القتال لكونها من المرتزقة عكس القوات الصليبية

التي تقدمت وهي على اشد ماتكون من العزم على الموت او النصر فكانت الغلبة لهم وقد انهزمت القوات الفاطمية باتجاه مدينة عسقلان فطاردتها القوات الصليبيـة وشددت عليها المطاردة حتى ادخلت فلولها مدينة عسقلان[٦] .

كانت هزيمة الجيش الفاطمي على الوزير الافضل كبيرة فاسرع الى اعداد حملة اخرى اكبر من الاولى بلغت قواتها عشرين الف مقاتل ، تجمعت هذه القـوة واكملت تحشدها في مدينة عسقلان في منتصف شهر مايس من عام ١١٠١ ميلادية ـ ٤٩٦ هجرية وكانت بقيادة شرف المعالي ابن الوزير الافضل[٧] تحركت هذه القوة من مدينة عسقلان باتجاه اللدوالرملة واتخذت لها موضعاً بين هاتين المدينتين ومن هذا الموضع اخذت تهدد ميناء يافا ثغر الصليبيين الرئيسي ومدينة القدس عاصمة مملكة بيت المقدس الصليبية . كان للصليبين قوة تقدر ببضعة الآف من المقاتلين في ميناء يافا ، اما الملك بولدوين فكان خلال هذه الفترة في مدينة القدس وعندما وردته انباء التقدم المصري خرج على رأس قوة تقدر بخمسمائة[٨] فارس باتجاه مدينة الرملة واراد ان يفاجىء القوات المصرية بهجوم مباغت وسريع كما فعل في المعركة السابقة الا انه فوجىء بهجوم تشنه القوات المصرية على قوته في منطقة تدعى يازوز[٩] يوم ١٧ مايس عام ١١٠٢ ميلادية فانهزمت القـوة الصليبية ، وبعد ان رأى الملك بولدوين خطورة الموقف اختفى بين الحشائش حتى ابتعد المسلمون فخرج واتجه نحو مدينة الرملة مع فلول قوته التي لم ينج منها الا القليل من الهاربين الذين وصلوا مدينة الرملة وهم بموقف سيىء[١٠] .

معركة الرملة الاولى

اتجهت القوات المصرية بعد هذه المعركة نحو مدينة الرملة الا ان وصولها كان عند غروب الشمس وقد حال ذلك دون مهاجمتها المدينة بنفس اليوم وهذا هيأ الفرصة للملك بولدوين الذي خمن خطورة الموقف في مدينة الرملة فركن الى الحيلة ليخرج منها متنكراً باتجاه مدينة يافا ، وعندما علم المصريون بفراره شكلوا قوة لمطاردته ممـا حال دون امكانه الدخول الى مدينة يافا فاتجه الى ميناء ارصوف ، وفي يوم ١٩ مايس عام ١١٠١ ميلادية ـ ٤٩٦ هجرية سقطت مدينة الرملة بيد القوات المصرية وتمكنوا من قتل واسر جميع القوة الصليبية الموجودة في داخلها[١١] .

وهنا تراخت القوات المصرية وسبب ذلك ظاهرياً ضعف قائدها شرف المعالي بن

الافضل الذي كان عديم السيطرة على قواته اضافة الى ضعف التزام هذه القوات وعدم اندفاعها في القتال الذي كانت تتصف به في جميع معاركها وهذا يعود الى كونهـا من المرتزقة ، وهنا اختلفت الاراء لدى قيادات القوات المصرية فمنهم من قال بالمسير الى ميناء يافا ومنهم من قال بالتوجه الى بيت المقدس وقد طال النقاش حول ذلك مما ادى الى ضياع وقت ثمين كان يمكنها ان تستغله وتستثمر الفوز الذي احرزته في مدينة الرملة وتستغل تفوقها على القوات الصليبية وتقوم بحركات سريعة ضد اي هدف من الاهداف التي تختارها .

كان امام القوات المصرية خلال هذه الفترة مسلكان هما :ـ

١ ـ التوجه الى بيت المقدس وتشديد الهجوم عليها واحتلالها . لهذا المسلك الفوائد التالية :

آ ـ يحرم الصليبيين من هدفهم الرئيسي وهو مدينة القدس ولما لهذه المدينة من مكانة دينية عند المسلمين والمسيحيين فستكون نتائج هذا الاحتلال كبيرة معنوياً ومادياً على الطرفين .

ب ـ ان سقوط مدينة القدس بيد المسلمين سيؤدي الى تصفية مملكة بيت المقدس الصليبية وهي اكبر الامارات الصليبية في الشرق وقد تصبح الامارات الصليبية الاخرى مهددة بالزوال لانها كانت اقل شأناً من مملكة بيت المقدس .

ولهذا المسلك محاذير مهمة هي :

آ ـ ان احتمال صمود مدينة القدس بوجه القوات المصرية سيؤدي الى تأمين الوقت اللازم للصليبيين لاغراض التحشد وجلب التقويات من الامارات الصليبية الاخرى خاصة وان الملك بولدوين الاول هو خارج مدينة القدس وان الجيش الصليبي الرئيسي لهذه المملكة موجود في هذا الوقت في مدينة يافا .

ب ـ ان سقوط مدينة القدس بيد المسلمين سيؤدي بالنتيجة الى قيام حملة صليبية جديدة تتجه الى الشرق وان وجود الموانيء التي لازالت بيد الصليبيين ستشكل قواعد نزول لهذه الحملة وقواعد انطلاق لها نحو بيت المقدس وان سقوط مدينة القدس بيد الصليبيين مرة ثانية سيكون له آثار معنوية كبيرة على المسلمين .

٢ ـ التوجه الى ميناء يافا ومهاجمتها والقضاء على القوات الصليبية الرئيسية

الموجودة فيها . لهذا المسلك الفوائد الاتية :

آ ـ ان احتلال ميناء يافا سيحرم الصليبيين من مينائهم الرئيسي الذي يعتمدون عليه بصورة خاصة في استقبال السفن القادمة الى مملكة بيت المقدس وقد قام الصليبيون بعمارة هذا الميناء ليكون مؤهلاً لذلك .

ب ـ ان الانتصار في هذه المنطقة على القوات الرئيسية الصليبية سيجعل بقية المناطق التي يسيطر عليها الصليبيون خالية من القوات وبذلك يسهل اعادة احتلالها .

ج ـ ان السيطرة على الموانىء الواقعة على ساحل البحر الابيض المتوسط سيجعل المناطق الداخلية محصورة ويسهل تحريرها من الغزاة ويحرم النجدات الصليبية من الاستفادة من هذه الموانىء .

اما بالنسبة للمحاذير فلا محذور رئيسي لهذا المسلك . وقد اختارت القيادة المصرية العمل بهذا المسلك فتقدمت قواتها الى ميناء يافا وحاصرته في الوقت الذي كانت تطارد فيه الملك بولدوين الاول الذي لم يستطع الدخول الى هذا الميناء واتجه الى ميناء ارصون وهنا بدأت عملية تحشد صليبية اخرى لمواجهة القوات المصرية[١٢] . لقد تباطأت القوات الاسلامية بالهجوم على ميناء يافا واكتفت بمحاصرتها فقط ، وقد تمكن الملك بولدوين من دخول ميناء يافا عن طريق البحر واخذت التقويات الصليبية تدخل هذا الميناء عن الطريق نفسه مخترقة حصار الاسطول المصري الذي لم تظهر له فعاليات شديدة لانجاح الحصار . وفي هذا الوقت وصل ميناء يافا اسطول مؤلف من مائتي سفينة تحمل قوة كبيرة من الجند وقد تمكن هذا الاسطول من دخول الميناء رغم وجود اسطول فاطمي وهكذا تم تحشيد قوة كبيرة من الصليبيين داخل مدينة يافا[١٣] . قامت هذه القوة بعميلة خروج ناجحة تمكنت من دحر القوات المصرية التي انسحبت هاربة نحو مدينة عسقلان يوم ٢٧ مايس ١١٠٢ ميلادية ٤٩٧ هجرية .

وعندما سمع الافضل بهزيمة القوات التي كانت تحت قيادة ابنه شرف المعالي قرر تجهيز حملتين احداهما برية كان قائدها المملوك تاج العجم وقد تألفت من اربعة الاف فارس والاخرى بحرية بقيادة القاضي ابن قادوس[١٤] . توجهت القوة

البرية الى مدينة عسقلان قاعدة الفاطميين الامامية ، اما القوة البحرية فقد توجهت الى ميناء يافا وضربت طوق الحصار البحري من حوله وفي هذا الوقت طلب قائد الاسطول ابن قادوس من تاج العجم قائد القوة البرية التقدم الى ميناء يافا براً لمهاجمة القوة الصليبية فلم يتحرك وذلك بحجة انه غير خاضع قيادياً لابن قادوس ولايمكن ان يتحرك الّا بامر من الافضل نفسه ـ وهذه هي اخطاء عدم توحيد القيادة ـ وهكذا لم تقم القوة البرية بواجبها[١٥] .

اما بالنسبة للصليبين فعندما رأى الملك بولدوين خطورة الموقف طلب نجدات سريعة من امارتي الرها وانطاكية وقد وصلته هذه النجدات التي كانت تقدر بخمسمائة فارس والف مقاتل من المشاة بعد انتهاء معركة الرملة الثانية وكان لوصول هذه النجدات اثر كبير في تعزيز موقف الصليبيين وتخاذل القوات الفاطمية[١٦] . وقد سيطر الصليبيون في هذا الوقت على المنطقة الشرقية من البحر الابيض المتوسط عدا مدينة طرابلس التي لازالت صامدة بوجه الصليبيين .

ان الخطأ الكبير الذي ارتكبته هذه الحملة هو عدم توحيد قيادتها للسيطرة على القوات البرية والبحرية وتنسيق اعمالها وكان ذلك سبباً في فشل هذه الحملة .

ظلت فكرة طرد الصليبيين من بلاد الشام تراود احلام الوزير الفاطمي الافضل رغم فشل حملاته السابقة وتكبد قطعاته خسائر كبيرة في المعارك التي خاضتها وقد رأى الافضل محاولة القيام خلال هذه الفترة بعمليات موحدة بين القوات المصرية وقوات امارة دمشق اقرب الامارات الإسلامية اليه ففاتح طفتيكن اتابك دمشق بذلك فلاقت فكرته قبولاً لدى حاكم دمشق[١٧] الذي قرر ارسال قوة بقيادة المدعو اصبهبذ صباو وقد تحركت هذه القوة فوصلت مدينة عسقلان فانضمت الى القوات المصرية .

معركة الرملة الثانية

بعد ان وردت اخبار التحشدات الاسلامية في مدينة عسقلان الى الملك بولدوين الاول قام بتقدير للموقف اختار بموجبه ان تكون منطقة مدينة الرملة هي الموضع المختار الذي سيخوض فيه معركته المقبلة مع القوات الاسلامية التي

تحشدت في مدينة عسقلان وقد تقدم على رأس قواتـه ودخلت مواضعهـا في المنطقة الكائنة بين مدينة الرملة وساحل البحر قبل يوم ٢٧ آب عـام ١١٠٥ ميلادية ـ ٤٩٨ هجرية[١٨] .

قوات الطرفين.

١ ـ القوات الاسلامية

تألفت القوات الاسلامية مما يأتي : ـ

آ ـ القوات المصرية وكان تعدادها خمسة الآف مقاتل[١٩] .

ب ـ قوات امارة دمشق وكان تعدادها الف وثلاثمائة فارس .

ج ـ متطوعين من القبائل العربية راكبين لم يعرف عددهم بالضبط[٢٠] .

وضعت هذه القوة تحت قيادة سناء الملك حسين احد ابناء الوزير الافضل وكان الاسطول المصري يساند هذه القوة عن طريق البحر .

٢ ـ القوات الصليبية

ورد للقوات الصليبية تقديران هما

آ ـ من وجهة النظر الاسلامية وكان كما يأتي :

الف وثلاثمائة فارس

ثمانية الآف مقاتل مشاة .

فيكون المجموع تسعة الآف وثلاثمائة مقاتل[٢١].

ب ـ من وجهة النظر الصليبية وكان كما يأتي : ـ

الجيش الصليبي الرئيسي كان مع الملك بولدوين في يافا وكانت قوته خمسمائة فارس

الفين مقاتل مشاة

فيكون المجموع الفان وخمسمائة مقاتل .

مائة وخمسون فارساً قدموا من مدينة القدس

قوات حاميات الجليل وحيفا وجيرون وكلها من الفرسان ولم يذكر تقدير لها الا انها على اية حال لاتقل عن الالف والالف وخمسمائة فارس[٢٢] .

فيكون المجموع العام للقوات الصليبية بموجب هذا التقدير كما يأتي :ـ

الف وخمسمائة ـ الفين فارس
الفين من المقاتلين المشاة
فيكون المجموع اربعة الا ف مقاتل

وبمقارنة قوات الطرفين نستنتج مايلي : ـ

آ ـ كانت القوتان متعادلتين بالنسبة لقوات الفرسان واذا وجد تفوق لاي طرف فهو ضئيل لايستحق الذكر .

ب ـ كان التفوق بالنسبة لقوات المشاة الى جانب القوات الاسلامية بنسبة اثنين الى واحد .

سير المعركة

تحشدت القوات الصليبية في المنطقة الكائنة بين مدينة الرملة وساحل البحر التي قدر الملك بولدوين الاول قائد القوات الصليبية ان يخوض معركته المقبلة فيها واحتلت هذه القوات مواضعها في هذه المنطقة قبل يوم ٢٧ آب عام ١١٠٥ ميلادية ـ ٤٩٨ هجرية[٢٣] . وفي صبيحة يوم ٢٧ آب ـ ذي الحجة من عام ٤٩٨ هجرية دارت المعركة بين الطرفين ، فقد قامت القوات الصليبية بمهاجمة القوات الاسلامية التي وصلت المنطقة قبل فترة قصيرة لعدم ترك المجال لها لتنظيم موقفها ـ الا انه رغم ذلك فقد قامت قوات امارة دمشق بهجوم مقابل عليها كاد يفتتها لولا ان قام الملك بولدوين بهجوم مقابل اخر على قوات دمشق استخدم فيه قواته الاحتياطية التي تمكنت من ايقاف هجوم قوات دمشق وتشتيتها ثم استمر القتال بين الطرفين طيلة النهار تمكنت القوات الصليبية في النهاية من تشتيت القوات الاسلامية فانسحبت قوات دمشق من ميدان المعركة باتجاه مدينة دمشق دون سابق انذار وقد ادى انسحابها هذا الى تخلخل الجبهة الاسلامية فلم تتمكن القوات المصرية من الصمود فانسحبت الى مدينة عسقلان .

وبالنظر لكثرة الخسائر التي وقعت بين الطرفين ـ حيث قدرها ابن الاثير بالف ومائتين قتيل من كل طرف ـ لم تتمكن القوات الصليبية من مطاردة القوات الاسلامية المنسحبة[٢٤] . وهكذا انتهت هذه المعركة دون ان تعطي نتيجة للجانب الاسلامي الا انها على كل حال تعدّ اول خطوة نحو توحيد القوات الاسلامية واول مبادرة من بوادر وحدة الجهود بين طرفي العالم الاسلامي المتناحر للوقوف بوجه العدو الصليبي والقيام بعمليات مشتركة .

هوامش الفصل الثالث

١ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/١٢١

٢ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢١٨

٣ ـ المصدر السابق ٨/٢١٨

٤ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٢٨٥

٥ ـ رنسيمان تاريخ الحروب الصليبية ٢/١٢٢ كانت تقدير رنسيمان للقوات الفاطمية مبالغاً فيه كثيراً لاعطاء اهمية للنصر الذي احرزته القوات الصليبية فقد قدرها باحد عشر الف فارس وعشرة الآف راجل

٦ ـ المرجع السابق ٢/١٢٣

٧ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢١٨

٨ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/١٢٦

٩ ـ يازوز ـ ضاحية صغيرة قريبة من مدينة الرملة باتجاه مدينة القدس .

١٠ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢١٨

١١ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/١٢٧

١٢ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٢٨٩

١٣ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢١٨

رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/١٣٠

١٤ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢١٩

١٥ ـ المصدر السابق ٨/٢١٩

١٦ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/١٣٢

١٧ ـ جب صلاح الدين الايوبي / ٣٧

د. محمد حمدي ـ الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي /٢٢٧

١٨ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢٢٩

١٩ ـ المصدر السابق ٨/٢٢٩

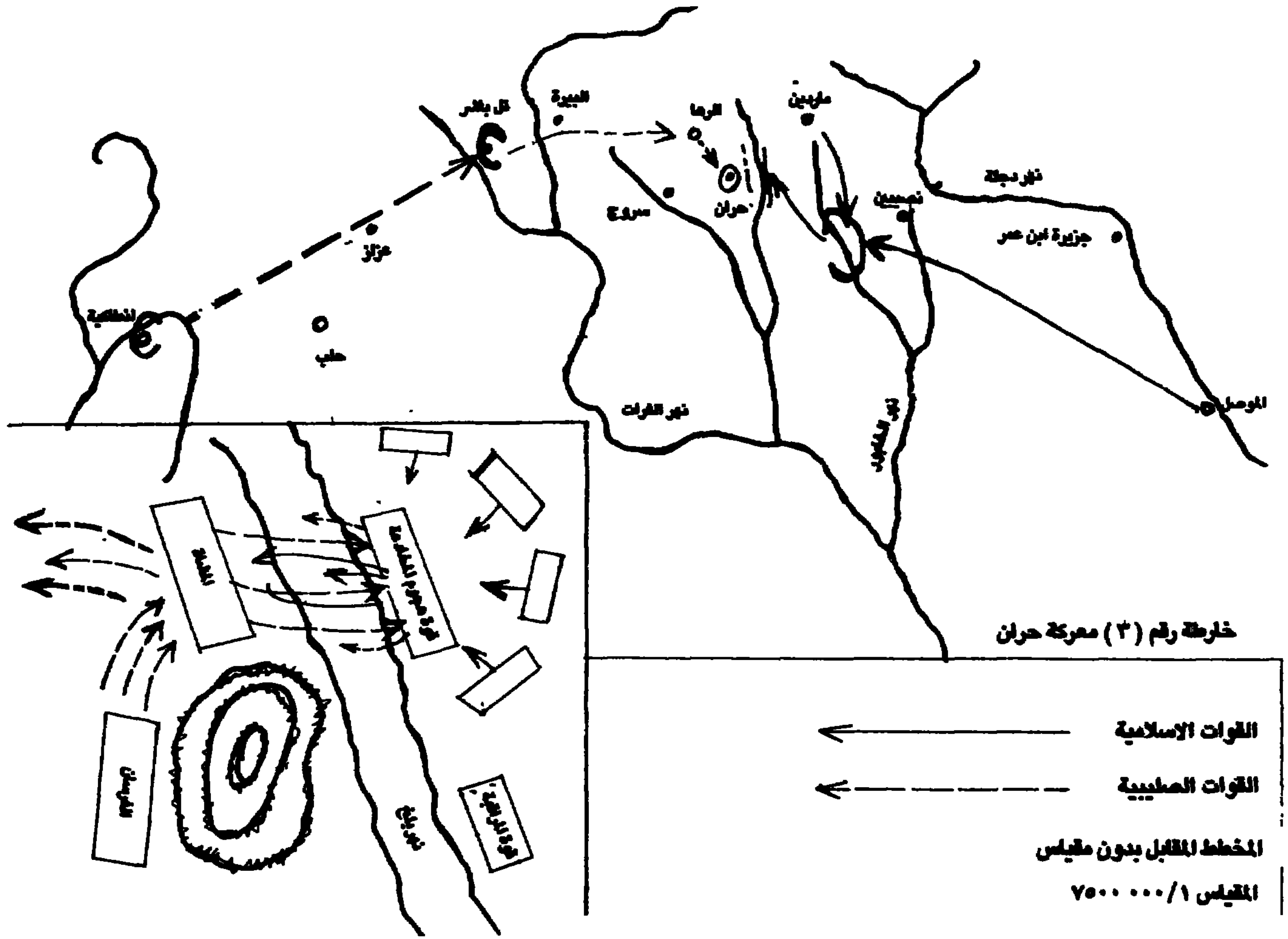
٢٠ ـ وقد قدرهم رنسيمان في تاريخه ٢/١٤٤ بخمسة الآف فارس ولاشك بانه كان مبالغاً في تقديره هذا ومن المتوقع انهم كانوا لايزيدون على الالف فارس .

٢١ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢٢٩

٢٢ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/١٤٥

٢٣ ابن الأثير ـ الكامل ٨/٢٢٩

٢٤ ـ رنسيمان ـ تأريخ الحروب الصليبية ٢/١٤٦ .


تل باشر
البيرة
الرها
ماردين
نهر دجلة
نصيبين
جزيرة ابن عمر
سروج
حران
عزاز
انطاكية
حلب
نهر الفرات
نهر الخابور
الموصل
المشاة
الفرسان
نهر بليخ
قوة المراقبة
خارطة رقم (٣) معركة حران
القوات الإسلامية
القوات الصليبية
المخطط المقابل بدون مقياس
المقياس ١/ ٧٥٠٠٠٠٠

الفصل الرابع

ساحة الحركات الشمالية

محاولة الصليبيين عزل العراق عن بلاد الشام
معركة حران وآثارها
٤٩٧ هجرية ـ ١١٠٤ ميلادية
راجع خارطة رقم (٣)

تمهيد

كان غرض الصليبيين الاوائل هو عزل بلاد الشام عن العراق باي شكل من الاشكال وذلك للانفراد بها ومحاولة ابعاد القوات العراقية من التدخل في شؤونها وان تقدمهم الى مدينة الرها وتأسيس امارة الرها الصليبية شكل المرحلة الاولى من مراحل عزل بلاد الشام عن القوى الاسلامية الموجودة في العراق والتي كانت متمثلة بقوات سلاجقة فارس والتي كانت تشكل الخطر الرئيسي على الوجود الصليبي في بلاد الشام .

كان لتأسيس امارة الرها الصليبية في المنطقة الكائنة في اعالي نهر الفرات الاثر الكبير في تعريض خطوط المواصلات الرئيسية التي تربط العراق ببلاد الشام للخطر فقد اصبحت هذه الطرق التي تخرج من مدينة الموصل وتقطع الجزيرة تحت تأثير هجمات القوات الصليبية التي كانت تنطلق من امارة الرها .

وبعد ان قدر الصليبيون موقفهم فقد استنتجوا اهمية مدينة حران لتحقيق اهدافهم المقبلة[١] وان اتخاذ هذه المدينة قاعدة امامية لقواتها سيؤمن لهم الفوائد الاتية :ـ

١ ـ ستتمكن هذه القوات من قطع الارتباط بين المسلمين في العراق والمسلمين في بلاد الشام وسوف تقطع خط المواصلات الرئيسي الذي يخرج من شمال العراق ويقطع الجزيرة حتى يصل مدينة حلب .

٢ ـ سيؤمن الاستيلاء على مدينة حران الفرصة للصليبيين لمهاجمة مدينة الموصل القاعدة الامامية لقوات السلاجقة والتي كانت تنطلق منها حملاتهم الى بلاد الشام ، وسيحقق هذا بعضاً من اهدافهم بعيدة المدى في الوصول الى بغداد عاصمة الخلافة العباسية .

٣ ـ سيؤمن الوجود الصليبي في مدينة حران العمق الكافي لمدينة الرها مركز امارة الرها الصليبية هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان هذه المدينة ستشكل قاعدة انطلاق امامية للسيطرة على اقليم الجزيرة الغني[٢] .

الموقف الصليبي

بالنظر لاهمية مدينة حران وحيوية الاهداف التي ستؤمنها للصليبيين فكر بولدوين دي بورج امير الرها باحتلالها الا ان قواته كانت غير كافية لتنفيذ الواجب ، وبالنظر لاهمية الاهداف التي سيحققها احتلالها لعامة الصليبيين في بلاد الشام جعل كلًا من امير تل باشر وامير انطاكية يقرر المساهمة بقواتهما في هذه الحركة وبذلك فقد تحشدت قوات امارات الرها وانطاكية وتل باشر بالقرب من مدينة حران[٣] .

الموقف الاسلامي

كانت مدينة حران تابعة لسلطنة سلاجقة فارس وكان يحكمها خلال هذه الفترة المدعو جاولي الذي سيطر عليها بعد حوادث جرت فيها منذ زمن المملوك قراجة وقد ادت هذه الحوادث الى اضعاف الوضع فيها فطمع بها الصليبيون فتقدمت قواتهم لاحتلالها .

كان الموقف الاسلامي في منطقة الموصل متوتراً وقد ادت الخلافات بين جركمش اتابك الموصل وسقمان الارتقي صاحب ماردين الى توتر الموقف واحتمال نشوب الحرب فيما بينهما وقد تحشدت قواتهما في الوقت الذي كان فيه الصليبيون يحاصرون مدينة حران وقد دفع ذلك كلًا من الخصمين المتنازعين بمفاتحة صاحبه والتفاهم معه لغرض مواجهة الخطر الصليبي وبذلك توحدت قواتها وقد تقدمت باتجاه رأس العين الواقعة على نهر بليخ احد روافد نهر الخابور[٤] .

تقدير القوات

كان تقدير قوات الطرفين كما يأتي : ـ

١ ـ القوات الصليبية

ثلاثة الاف فارس

تسعة الاف مقاتل مشاة حسب تقدير الجهة الغربية[٥]

الا ان ابن الاثير قدر تقديراً لخسائر الصليبيين بعد انتهاء المعركة والتي بلغت اثني عشر الف قتيل عدا الاسرى[٦] . وعلى هذا الاساس فيكون تقدير القوات التي اشتركت في المعركة لايقل عن خمسة عشر الف مقاتل .

٢ ـ القوات الاسلامية

قدرت قوات الامير سقمان الارتقي بسبعة الاف فارس من التركمان .

وقدرت قوات جركمش اتابك الموصل بثلاثة الاف فارس من الترك والعرب والاكراد[٧] وعلى هذا الاساس تكون القوات الصليبية متفوقة على القوات الاسلامية بنسبة واحد الى واحد ونصف . اما القوات الاسلامية فتمتاز على القوات الصليبية بسرعة الحركة وقابلية المناورة لكونها كلها من الفرسان .

سير المعركة

تقدمت القوات الصليبية لامارة الرها باتجاه مدينة حران وقد اجتمعت ببقية القوات القادمة من تل باشر وامارة انطاكية التي طلبت مساعدتها في الاستيلاء على مدينة حران ثم تقدمت هذه القوات التي كانت تضم :ـ

قوات امارة الرها الصليبية بقيادة بولدوين دي بورج

قوات امارة انطاكية الصليبية بقيادة اميرها بوهيمند ويعاونه الامير تانكرد

قوات امارة تل باشر بقيادة جوسلين .

قام هذا الجيش الذي قدر عدده بخمسة عشر الف مقاتل بمحاصرة مدينة حران ولم يبد اي فعالية هجومية قوية لاحتلال المدينة للاسباب الاتية :ـ

١ ـ ان ضعف الحامية الموجودة داخل المدينة جعلهم يعتقدون بانها ستستسلم لهم دون قتال عندما ترى قوة جيشهم[٨] .

٢ ـ حاذر القادة الصليبيون من تخريب تحصينات واسوار المدينة وذلك للاستفادة منها في المستقبل بعد احتلال المدينة .

الا ان هذا التراخي من قبل القوات الصليبية اعطى الفرصة للقوات الاسلامية من قوات اتابكية الموصل وقوات ماردين التي كانت بموقف مواجهة فيما بينها وجعلها بعد ان رأت خطورة الموقف فيما اذا احتلت القوات الصليبية مدينة حران ان تصفي خلافاتها وتوحد صفوفها وتتقدم لتخليص المدينة من الغزو الصليبي الذي سيهدد

مناطقهما .

وبعد ان وصلت القوات الاسلامية الى الضفة الشرقية لنهر البليخ تركت القوات الصليبية حصار مدينة حران وتقدمت نحو الشرق لمواجهة القوات الاسلامية فوصلت نهر البليخ واتخذت لها مواضع على الضفة الغربية منه واصبحت مواجهة للقوات الاسلامية .

كانت خطة القوات الصليبية تقضي بان تقسم هذه القوات الى قسمين الاول يعتمد على عنصر المشاة ويشكل الجناح الايسر للقوات الصليبية والذي سيواجه القوات الاسلامية ويشكل مصدراً للقوات الاسلامية عند هجومها اما القسم الثاني فيؤلفه جيش امارة انطاكية الذي يعتمد على الفرسان بقيادة بوهيمند ويكون واجبه الاختفاء خلف تل يقع في ميدان المعركة وعندما تصطدم القوات الاسلامية بميسرة القوات الصليبية تخرج هذه القوة بحركة التفاف مباغته للقوات الاسلامية ويضربها من الخلف[٩] .

اما بالنسبة للمسلمين فكانت خطتهم تنص على ان يقوم قسم من القوات بهجوم مخادعة على ميسرة القوات الصليبية المؤلفة من المشاة وبعد الاصطدام بها تقوم بالانسحاب سريعاً الى ضفة النهر الشرقية وبشكل يوحي للعدو بأنها انهزمت وتشكل مصداً للقوات الصليبية في الضفة الشرقية ، وبما ان القيادة الاسلامية اكتشفت قوات امارة انطاكية المتخفية وتمكنت من تقدير واجبها فقد وضعت قوة صغيرة من الفرسان لمراقبتها وترصد حركاتها واعاقة تقدمها عند قيامها بالهجوم حتى يتم القضاء على قوات المشاة الصليبية اما بقية القوات فقد اخفيت بمواضع متعددة خلف الضفة الشرقية لنهر البليخ واجبها مهاجمة قوات المشاة الصليبي بعد نجاح عملية المخادعة والقضاء عليه قبل قيام الخيالة الصليبية باي فعالية[١٠] .

بدأت المعركة يوم ٧ مايس ١١٠٤ ميلادية ـ ٩ شعبان ٤٩٧ هجرية[١١] بالهجوم التضليلي الاسلامي على ميسرة القوات الصليبية التي كانت تضم قوات امارة الرها وتل باشر ثم استدارت القوة القائمة بالهجوم وكانها مهزومة امام ميسرة الجيش الصليبي ، وبعد ان رأت القوات الصليبية ذلك قدرت ان القوات الاسلامية قد انهزمت وحصلت هي على نصر سريع وسهل فقامت بمطاردة القوات المنهزمة خلافاً لخطتها وبعد ان عبرت نهر البليخ قامت القوات الاسلامية الرئيسية والمتخفية بالهجوم المقابل المدبر عليها فتمكنت

من دحرها والقضاء عليها بحركات هجومية مباغتة وسريعة ومن اتجاهات مختلفة فارتدت فلولها هاربة وبدون انتظام وفي الوقت الذي تحركت فيه قوات الامير بوهيمند للهجوم على القوات الاسلامية قابلتها القوات المنهزمة والتي كانت سيوف المسلمين تحصد رقابها وهي هاربة فحالت دون تقدمها وعندما رأى الامير بوهيمند قائد قوة الهجوم الرئيسي الصليبي ان الموقف اصبح ميئوساً منه وان الكارثة قد حلت بالقوات الصليبية هرب بقواته[١٢] وترك بقية القوات الصليبية تحت رحمة سيوف المسلمين تقتل وتأسر فيهم وقد وقع بولدوين دي بورج امير الرها وجوسلين اميرتل با ش في الاسر . وهكذا انتهت معركة حران بهزيمة ساحقة للصليبيين وقد قدرت خسائرهم باثنى عشر الف قتيل عدا الاسرى[١٣]

آثار معركة حران

كان لمعركة حران آثار عامة واخرى خاصة اما الاثار العامة فهي :ـ

١ ـ ان اهم اثر لمعركة حران هو انها اوقفت التقدم الصليبي نحو الشرق وبذلك فانها قضت على احلام الصليبيين في التوسع شرقاً والوصول الى الموصل القاعدة المتقدمة لقوات السلاجقة ومن ثم الى بغداد عاصمة الخلافة العباسية .

٢ ـ ان المعاملة السيئة التي عامل بها الصليبيون سكان المناطق والحصون الارمنية الساكنين في منطقة قيليقية البزنطية كان لها رد فعل معاكس ادى بالنتيجة الى تعاون الارمن مع القوات البزنطية التي هاجمت القوات الصليبية التي استولت على هذه المدن وحررتها منهم بعد هزيمة حران مثل مدن طرسوس وآذنه والمصيصه[١٤] .

٣ ـ ان فشل الصليبيين وهزيمتهم في معركة حران حرمتهم من تحقيق هدفهم في عزل بلاد الشام عن القوى الاسلامية في العراق خاصة تلك القوات التي كانت تعود لاتابكية الموصل والموجودة في شرق الانضول وشمال بلاد الشام[١٥] .

٤ ـ تعتبر معركة حران مكملة للحملات الصليبية التي توجهت الى الشرق خلال عام ١١٠١ ميلادية ٤٩٦ هجرية ، وان الهزائم التي مني بها الصليبيون من خلال هذه الموجات حطمت اسطورة ـ ان الصليبيين لايقهرون ومثلما ان

القضاء على هذه الموجات حرم الصليبيين من امدادات كانوا بأمس الحاجة اليها لترصين موقفهم في الشرق فان الخسائر التي حلت بهم نتيجة معركة حران قد زادت موقفهم سوءاً[١٦] .

اما آثار معركة حران الخاصة فسنبحثها كما يأتي : ـ

١ ـ آثار معركة حران على امارة الرها الصليبية .

٢ ـ آثار معركة حران على امارة انطاكية الصليبية .

آثار معركة حران على امارة الرها الصليبية .

كان لمعركة حران آثار مهمة على امارة الرها الصليبية واهم هذه الاثار ابادة جيش هذه الامارة واسر اميرها بولدوين دي بورج ولولا بقاء حامية من قوات امارة انطاكية المهزومة من المعركة في مدينة الرها للدفاع عنها كانت بقيادة الامير تانكرد الذي اصبح وصيا على هذه الامارة لسقطت مدينة الرها بيد جكرمش اتابك الموصل الذي طارد فلول القوات الصليبية المهزومة بعد معركة حران حتى مدينة الرها التي حاصرها الا انه عاد وانسحب من حولها دون مبرر وهكذا انقذت امارة الرها من الزوال الا انه رغم ذلك فقد اصبح موقفها مزعزعاً وضعيفاً . ومن ناحية اخرى فقد تعرض حكم الصليبيين في امارة الرها بعد معركة حران الى كثير من المتاعب الداخلية بسبب انتفاض السكان المحليين من الارمن الذين عاملهم الصليبيون معاملة سيئة والذين وجدوا في هذه الهزيمة الفرصة المناسبة لاظهار تذمرهم من الحكم الصليبي المتعسف وبصورة خاصة ضد الكنيسة الارمنية ورجالها وقد حاولوا الاتصال بالمسلمين للتخلص من هذا الحكم الجائر[١٧] .

آثار معركة حران على امارة انطاكية

بعد هزيمة بوهيمند امير انطاكية في معركة حران وخسرانه اعداداً كبيرة من مقاتليه ضعفت قوته وقلت هيبته امام الامارات الاسلامية المجاورة لامارته واما الامبراطورية البزنطية ، فقد كان الملك رضوان ملك حلب قد حشد قواته قرب نهر الفرات ليراقب نتيجة المعركة وبعد ان تأكد من انتصار القوات الاسلامية وهزيمة الصليبيين قام باسترداد القلاع والحصون التي كانت قوات امارة انطاكية قد فرضت سيطرتها عليها خاصة تلك التي كانت قريبة من مدينة حلب كمعرة مصرين وسرمين وقد

قام السكان المحليون بمساعدة قوات الملك رضوان في تنفيذ ذلك ، وقد استرجعت قواته حصن ارتاج الذي زاد احتلاله من قبل قوات الملك رضوان موقف امارة انطاكية سوءًا[١٨] كما ان حاميات الصليبيين المرابطة في مدن معرة النعمان والبارة وكفرطاب عندما احسبت بضعفها وعزلتها انسحبت الى مدينة انطاكية وبذلك تقلصت حدود امارة انطاكية حتى وصلت بحيرة العمق القريبة من مدينة انطاكية[١٩] .

اما بالنسبة للامبراطورية البزنطية فقد استغل الامبراطور الكسيوس كومنين ضعف موقف امارة انطاكية وبمساعدة رعاياه من سكان قيليقية الارمن والبزنطيين فقد قام باحتلال طرسوس وآذنه والمصيصة بعد ان اعلن سكانها الثورة على القوات الصليبية وقامت الامبراطورية البزنطية بارسال اسطول الى سواحل امارة انطاكية فاحتلّ مدن اللاذقية والمراكز التابعة لهذه الامارة الواقعة بين اللاذقية.وانطرسوس[٢٠] .

وهكذا اصبح موقف بوهيمند امير انطاكية مزعزعاً مما ادى بالنتيجة الى انهاء حكمه الفعلي في امارة انطاكية حيث تركها وذهب الى اوربا ليثير الرأى العام الاوربي ضد الامبراطورية البزنطية[٢١] .

رد الفعل الصليبي

لقد تعرضت امارة انطاكية الصليبية الى نكسة كبيرة بعد معركة حران وقد وقف اميرها بوهيمند النورماني وهو يرى امارته تتعرض لهجمات القوات الاسلامية من الشرق والقوات البزنطية من الغرب وبالنظر للعلاقات السيئة التي كانت سائدة بينه وبين الامارات الصليبية الاخرى فقد وقفت هذه الامارات دون ان تمد له يد المساعدة.

لقد استنتج الامير بوهيمند من سير الاحداث ان الخطورة الرئيسية على امارته في هذا الوقت كانت تأتي من جانب الامبراطورية البزنطية وذلك لاستهانته بقوة امارة حلب وقد قدر انه لايتمكن من الصمود امام قوات الامبراطورية البزنطية تحت هذه الظروف وبالنظر لعدم مساندته من قبل الامارات الصليبية الاخرى وذلك للسياسة الحكيمة التي اتبعها الامبراطور البزنطي الكسيوس كومنين في تأليب الصليبيين ضده[٢٢] . فقد رأى ان السبيل الوحيد لانقاذ امارته هو القيام بمحاولة لاثارة حملة صليبية جديدة ضد الامبراطورية البزنطية ، ولذلك قرر العودة الى اوربا لاثارة الرأى العام الاوربي ضد

الامبراطورية البزنطية وشحذ الهمم والدعوة لحملة صليبية جديدة يعود هو على رأسها للانتقام من الامبراطورية البزنطية . وقد رأى ان ينيب عنه في ادارة شؤون امارته ابن اخته الامير تانكرد الذي كان في هذا الوقت في مدينة الرها بعد اسر اميرها بولدوين دي بورج من قبل المسلمين في معركة حران .

كان موقف امارة انطاكية سيئاً جداً عندما استلم الامير تانكرد مسؤولية الحكم فيها عام ١١٠١ ميلادية ٤٩٥ هجرية بعد سفر اميرها بوهيمند الى اوربا وذلك لعدم تيسر المال اللازم للانفاق منه على وسائل الدفاع وتجنيد المقاتلين وقد تمكن تانكرد هذا من اجبار التجار الموسرين من الارمن والسريان على تقديم الاموال اللازمة له لتأمين متطلبات الدفاع وتجنيد المقاتلين لاعادة بناء القوات المسلحة لامارته[٢٣] . وبعد هذه المرحلة تقدم في ربيع عام ١١٠٥ ميلادية شعبان ٤٩٨ هجرية الامير تانكرد على رأس قواته وحاصر حصن ارتاح الذي كان تابعاً لامارة حلب وعندما وصلت اخبار حصار الصليبيين لهذا الحصن الى الملك رضوان خرج مع قواته لملاقاتهم ودفعهم عنه وفي شهر شعبان من عام ٤٩٨ هجرية ـ ٢٠ نيسان ١١٠٥ ميلادية جرت معركة بين القوة الصليبية والقوة الاسلامية في موقع تيزين الواقع شرق حصن ارتاح وكان القتال بينهما شديداً انهزمت نتيجته قوات امارة حلب التي كان ينقصها العزم على القتال رغم تفوقها على القوات الصليبية فقد قدرت بسبعة الآف مقاتل مشاة وثلاثة الاف فارس وقد قدرت خسائرها نتيجة هذه المعركة بثلاثة الآف قتيل وقد خسرت حصن ارتاح الذي احتلته القوات الصليبية [٢٤] . وبعد هزيمة الملك رضوان تقدمت القوات الصليبية وعسكرت عند تل اغدى ـ من اعمال ليلون عند جبل بركات ـ اي على الطريق الرئيسي الذي يربط مدينة حلب بمدينة انطاكية ومن قاعدته هذه اخذ يهدد مدينة حلب واقليمها تهديداً مباشراً ، ثم تقدمت فاستولت على سرمين وهي من اعمال حلب[٢٥] . ثم تقدمت في السنة نفسها الى افامية فحاصرتها وتمكنت من فتحها ثم استردت كفر طاب[٢٦] .

وهكذا استعادت قوات انطاكية هيبتها وسيطرتها على معظم المناطق التي فقدتها بعد معركة حران وقد توازن موقفها بعد تخاذل قوات الملك رضوان فاصبحت في موقف المهدد فاخذت تجوب المناطق وتهاجم المدن والقلاع الاسلامية حتى قلعة شيزر[٢٧] .

ثم تقدمت هذه القوات فاحتلت ميناء بانياس الذي اصبح يشكل خط الحدود

الجنوبي لامارة انطاكية خلال شهر تموز من عام ١١٠٩ ميلادية وقد احتلت مدينة جبلة في شهر ذي الحجة من عام ٥٠٣ هجرية ١١٠٩ ميلادية والتي كان يحكمها ابن عمارة امير طرابلس السابق[٢٨] . ثم تقدمت فاحتلت حصن بكسرائل الذي يقع شرق مدينة جبلة .

وفي عام ٥٠٤ هجرية ـ ١١١٠ ميلادية تحشدت قوات امارة انطاكية ثم تقدامت باتجاه حصن الاثارب الذي لايبعد عن مدينة حلب الاّ بثلاثين كيلومترا والذي يقع الى الجنوب الغربي من مدينة حلب وعلى الطريق الذي يربطها بمدينة انطاكية فحاصرته ومنعت عنه المساعدات ، ولما كان موقف الملك رضوان ملك حلب الذي يقع هذا الحصن ضمن امارته ضعيفاً ومتخاذلاً فقد اراد مفاوضة الصليبيين لرفع الحصار عن هذا الحصن فطلب الصليبيون ثلاثين الف دينار واطلاق سراح جميع الاسرى الصليبيين والارمن الموجودين في مدينة حلب مقابل انسحابهم ، ولما كان الملك رضوان بخيلاً فقد ترك الحصن يسقط بيد الصليبيين ولم يدفع الفدية ولم يقم باي عمل لانقاذه[٢٩] . وقد اتخذت القوات الصليبية من هذا الحصن قاعدة متقدمة لمهاجمة مدينة حلب والمناطق المحيطة بها مما ادى في النهاية الى حرمان مدينة حلب من الاستفادة من المحصولات الزراعية التي تنتجها هذه المناطق[٣٠] ، ونتيجة لذلك فقد ساءت الاحوال في مدينة حلب وهجرها معظم سكانها بعد ان فقد الامن فيها وسيطر الصليبيون على ماحولها مما جعل الملك رضوان يرضخ لشروط الامير تانكرد امير انطاكية القاسية ويلبي جميع طلباته ثمناً للصلح معه . وقد ادى عقد الصلح بين الملك رضوان وامير انطاكية على هذا النحو المهين الى زيادة اطماع امير انطاكية في المناطق الاخرى وقد ادى ذلك الى فرض الجزية على امارة شيزر وامارة حماه وقد اجبرت مدينة صيدا على مسالمة القوات الصليبية التي توجهت اليها بعد سقوط حصن الاثارب[٣١] .

كان من نتيجة العمليات التي قامت بها القوات الصليبية ضد حواضر ومدن بلاد الشام ان قامت جماعة من اهالي مدينة حلب بالسفر الى بغداد ومواجهة الخليفة العباسي السلطان محمد سلطان سلاجقة فارس وقد ادت هذه المقابلات الى قيام حركات الجهاد الاسلامية التي قادت المسلمين في النهاية الى النصر وطرد الغزاة من بلادهم .

هوامش الفصل الرابع

١ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٧٢
٢ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٣٩١
٣ ـ جمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتابكي-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٥/١٨٨
رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٧٢
٤ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢٢١
٥ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٧٢
٦ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٢٢٢
٧ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٣٩٢
٨ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٧٢
٩ ـ المرجع السابق ٢/٧٣
١٠ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٢٢١
١١ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق /١٤٣
١٢ . ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة ٥/١٨٨
١٣ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٢٢٢
١٤ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٣٩٤
١٥ ـ المرجع السابق ١/٣٩٥
١٦ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٧٥
١٧ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٤٣٣
١٨ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ١٤٨
١٩ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٧٧
٢٠ ـ المرجع السابق ٢/٧٩
٢١ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٣٩١
٢٢ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٧٨
٢٣ ـ المرجع السابق ٢/٨٦
٢٤ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٢٢٢
٢٥ ـ المصدر السابق ٨/٢٣٣
٢٦ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٨٩

٢٧ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٤٠١
٢٨ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٢٥٩
٢٩ ـ المصدر السابق ٨/٢٦١
٣٠ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٤٠٨
٣١ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٢٦١

الفصل الخامس

سلطنة السلاجقة تبدأ عمليات الجهاد

الموقف العام

بعد القضاء على حركات التعزيز الصليبية لعام ١١٠١ ميلادية ٤٩٥ هجرية والتي سبق ان ذكرناها في الفصل الثالث وقطع الطريق البري الذي يربط الصليبيين بقواعدهم الاوربية والذي كان يمر عبر القسطنطينية تغير موقف الصليبيين وذلك لقيام حركة افاقة لدى المسلمين فقد نهضت الهمم لمعالجة الموقف واخذت افكار حكام سلاجقة فارس تهتم بقضايا الغزو الصليبي لبلاد الشام بصورة جدية بعد عام ٥٠٣ هجرية فقد كانت المشاكل الداخلية تشغل هؤلاء الحكام خلال الفترة السابقة وقد انتصرت العمليات خلال الفترة من عام ٤٩٥ هجرية وحتى عام ٥٠٣ على فعاليات محلية محدودة سواءً كان ذلك في ساحة حركات بلاد الشام ام ساحة الحركات الجنوبية .

لقد تمثلت القوى الاسلامية خلال هذه الفترة وبعد تمركز الصليبيين وتأسيس اماراتهم شرق البحر الابيض المتوسط بما يأتي :ـ

١ ـ الخلافة العباسية في العراق والجزيرة تساندها قوات السلاجقة بعد ان استقر الموقف للسلطان محمد الذي اتخذ بغداد مركزاً لسلطنة .

٢ ـ الخلافة الفاطمية في مصر .

٣ ـ قوات الامارات المحلية في بلاد الشام والمتمثلة بقوات امارتي حلب ودمشق .

الخلافة العباسية

لم يكن للخلافة العباسية في هذه الفترة قوات خاصة تأتمر بامرها حيث لم يسمح سلاطين السلاجقة للخلافة العباسية بالاحتفاظ بقوات خاصة بها خوفاً من انتفاضها عليهم ولذلك كان موقف الخلافة العباسية التي لاحول لها ولا طول سلبياً يقتصر على مفاتحة سلاطين السلاجقة لمواجهة الموقف[1] ، وكان الخليفة يقوم بتشجيع القادة الذين يبرزون بقتال الصليبيين فيمنحهم الالقاب ويخلع عليهم الخلع . وقد تحدد موقف الخلافة العباسية في هذا الوقت بالذات عندما جاءها وفد اهل الشام برئاسة القاضي ابي سعيد الهروي[2] بعد سقوط مدينة القدس بايدي الصليبيين وشرح مافعله الصليبيون بالحواضر الاسلامية

والمسلمين ، فقد شكل الخليفة المستظهر بالله العباسي[٣] وفداً يتألف من القاضي ابي محمد الدامغاني وابي بكر الشاشي وابي القاسم الزنجاني وابي الوفاء ابن عقيل وابي سعيد الحلواني وامره بالذهاب الى حلوان[٤] لمواجهة السلطان برقيارون واخيه محمد اللذين كانا في موقف مواجهة فيما بينهما وكانت مهمة الوفد اقناع الطرفين المتخاصمين بنبذ الخلافات بينهما وحثهما على المصالحة وتوحيد جهودهما والتفرغ لمواجهة الخطر الصليبي ومجاهدته[٥] .

قوات السلاجقة

كانت سلطنة السلاجقة هي التي تسيطر على المنطقة الشرقية من الوطن الاسلامي وكان العراق يخضع لها ومن ضمن مملكاتها ، وقد امتدت الامارات السلجوقية باتجاه الانضول حتى سيطرت على معظمها . وكان سلطان السلاجقة في هذا الوقت هو السلطان برقياروق الذي حدثت بينه وبين اخيه محمد بن ملكشاه نزاعات داخلية شغلت قوات السلاجقة عن مواجهة الصليبيين والتفرغ لمحاربة الغزاة المعتدين .

كانت قوات السلاجقة تشكل الخطر الحقيقي على الوجود الصليبي في الشرق وكان الصليبيون انفسهم لايخشون الا السلاجقة الذين لازالت قواتهم الى هذا الوقت لم تحتك بالقوات الصليبية ولم تتفرغ لمعالجتها . وبعد وصول الوفد الذي ارسله الخليفة الى السطان برقيارون واخيه محمد في منطقة حلوان وقد عاد الوفد دون ان يحصل على نتيجة لاستمرار الاخوين في خلافاتهم وعدم تصفيتها للتفرغ لمعالجة الموقف في بلاد الشام وهكذا تمكن الصليبيون من تثبيت اقدامهم وتأسيس اماراتهم في بلاد الشام[٦] .

الخلافة الفاطمية

كانت بلاد الشام عند الغزو الصليبي خاضعة للسلاجقة فقد وصل نفوذهم بعد طرد قوات الخلافة الفاطمية حتى حدود مصر الشرقية ولم يبق مانع يحول دون تقدمهم نحو مصر وبذلك اصبحوا مصدر تهديد للخلافة الفاطمية وقد نتج عن

هذا الموقف عداء مستحكم بين السلاجقة الذين كانوا من ناحية اخرى يمثلون الخلافة العباسية وبين الخلافة الفاطمية وقد ادى هذا العداء بالنتيجة الى تفكير الخلافة الفاطمية ان وقوفها الى جانب الصليبيين يخدم مصالحها في منطقة بلاد الشام ، فقامت بأرسال وفد للصليبيين وهم يحاصرون مدينة انطاكية كخطوة للاتفاق معهم على اقتسام بلاد الشام فيما بينهم وذلك جهلاً منهم بنوايا الصليبيين واهدافهم . وقد تمكن الصليبيون كما سبق ان ذكرنا من خدع الخلافة الفاطمية حتى اكملوا احتلال اهدافهم الأولية التي كانت تنحصر باحتلال مدينة انطاكية واقليمها ثم قرروا التقدم نحو القدس التي كانت في هذا الوقت تابعة للخلافة الفاطمية وبذلك تمكن الصليبيون من جعل الخلافة الفاطمية تعاونهم باشغالها قسم من قوات السلاجقة ومن المؤكد ان لو وحدت الخلافة الفاطمية قواتها مع قوات السلاجقة في بلاد الشام واستخدمت اسطولها لمنع الاساطيل الغربية من الوصول الى بلاد الشام لامكن القضاء على الصليبيين وهم في بداية تقدمهم .

اصبح موقف الخلافة الفاطمية هزيلا مما ادى الى سقوط معظم الموانىء التي كانت تابعة لها على سواحل بلاد الشام بيد الصليبيين ولم يكتف الصليبيون بهذا القدر من النصر بل طمعوا باحتلال مصر نفسها بعد ان اكتشفوا ضعف الخلافة الفاطمية وقد وصف احد المؤرخين الصليبيين موقف الخلافة الفاطمية خلال هذه الفترة فقال « اما سلطة مصر ملك الخليفة فمن حيث انها ضعفت جداً من كثرة الخسائر والكسرات التي المت بعساكرها في موقعات عديدة فالمسيحيون ماعادوا يهابونها كما كانت في السابق مخيفة لهم ولم يعد عندهم الخوف الا من كثرة عساكر الخليفة في بغداد »[٧] وقال مؤرخ آخر يدعى ستبننسن « وتوفى الفاضل عام ١١٢١ ميلادية ٥١٥ هجرية ومن ذلك الوقت اصبحت مصر غير قادرة على الهجوم »[٧] .

امارة دمشق

كانت امارة دمشق اقوى الامارات في بلاد الشام وقد تمكنت من التصدي

الصليبيين في مواقف كثيرة خلال هذه الفترة ، كما انها كانت تمد يد المساعدة للمدن التي كانت تتعرض للاعتداءات الصليبية لموقفها عندما حاصر الصليبيون بقيادة الملك بولدوين الاول مدينة صور والتي سبق ان طلب سكانها المعونة من ظهير الدين طفتكين اتابك دمشق فارسل اليهم قوة تزيد على المائتي فارس مع العدد اللازمة لمقاومة الحصار وقد قام هو شخصياً بقيادة قواته التي اخذت تشن غارات سريعة على القوات الصليبية المحاصرة لمدينة صور وعلى خطوط مواصلاتها لاجبارها على الانسحاب من حول المدينة وكان لهذه الغارات اثر كبير في فشل القوات الصليبية وانسحابها كما انه شن عدة غارات على الصليبيين في اماكن واوقات مختلفة[٨] .

امارة حلب

كان موقف امارة حلب ضعيفا تجاه الصليبيين وذلك للعوامل الاتية : ـ

١ ـ وقوع هذه الامارة بين امارتي الرها الصليبية وانطاكية الصليبية وبذلك فانها اصبحت محاطة بالقوات الصليبية ومعرضة لهجماتها من الشمال والغرب والجنوب .

٢ ـ ان عدم اطمئنان الملك رضوان ملك حلب الى جميع الامراء المسلمين في بلاد الشام جعله يرى ان مصلحته بالابتعاد عنهم ولم يحاول التقرب والتفاهم مع اي منهم لتعزيز موقفه العسكري بل انه كان يفضل الخضوع للضغوط الصليبية على ان يمد يده لاخوانه من الامراء المسلمين .

٣ ـ ان بخل الملك رضوان جعله يقتر في الصرف متطلبات الدفاع عن امارته ، فلم يعرها اهمية رغم احاطتها بالامارات الصليبية وتعرضها لهجماتهم باستمرار وقد اوصله بخله وخسته الى غلق ابواب مدينته بوجه القوات الاسلامية خوفاً منها .

كان لمواقف الملك رضوان هذه ان وصل النفوذ الصليبي حتى ابواب مدينة حلب نفسها وقد رضي ان يدفع الجزية لهم اتقاءاً لشرهم في اوقات مختلفة وقد فضل ذلك على التفاهم مع الامارات الاسلامية والاتحاد معها . وقد استمرت الحال في مدينة حلب على هذا الشكل حتى تقدمت القوات الاسلامية من اتابكية الموصل وتمكنت من القضاء على

امارة الرها الصليبية وانتزعت مدينة حلب من حكامها وجعلت منها القاعدة الامامية المتقدمة لادامة حركات الجهاد ضد الصليبيين .

قيام حركة الجهاد الاسلامية

انطلقت حركة الجهاد الاسلامية ضد الصليبيين من امارة الموصل فقد كانت هذه الامارة من الامارات السلجوقية المهمة[٩] ، وكانت تدخل ضمن نفوذ السلطان محمد بن ملكشاه وكانت من الامارات الواسعة والغنية وقد جاءت اهميتها خلال هذه الفترة بصورة خاصة من كونها تحادد امارة الرها الصليبية من الشرق والجنوب ولذلك فقد عدت من امارات الثغور التي يتطلب النظر اليها على انها تتميز عن بقية الامارات بميزات مهمة لها تأثير كبير على سلامة سلطنة السلاجقة .

تطلب هذا الموقف ان يكون على رأس هذه الامارة رجل ينتخب من بين امراء السلاجقة له القدرة على قيادة القوات الاسلامية ضد القوات الصليبية وبصورة خاصة تلك التي تمركزت في اعالي الفرات ويؤمن الحماية اللازمة لامارة الجزيرة من غاراتهم خاصة وان الصليبيين الذين اسسوا امارة الرها كانوا من اصل نورماني وهم يتصفون بسعة اطماعهم فكثر اذاهم[١٠] على امارة الجزيرة الفراتية . وقد اختار السلطان محمد اخاه الامير مودود الذي كان في بغداد في هذا الوقت وشهد مافعله الناس عند وصول وفد اهل الشام الى بغداد[١١] وقد سير معه قوة لاستخلاص مدينة الموصل من جاولي سقاو الذي نصبه السلطان محمد نفسه اميراً عليها بعد ان فتحها لحسابه الّا ان جاولي سقاو هذا اظهر عدم الطاعة للسلطان محمد بعد ان استقر في مدينة الموصل والمناطق التي سيطر عليها مما دفع السلطان محمد الى تجهيز قوة بقيادة اخيه الامير مودود وتسييرها لاحتلال المدينة وطرد جاولي سقاو منها واتخاذها قاعدة متقدمة لادارة العلميات ضد الصليبين .

توجهت هذه القوة الى مدينة الموصل وبعد حصار دام حوالي خمسة اشهر تمكنت قوات السلطان من دخول المدينة بمساعدة نفر من اهلها الذين هاجموا بعض الابراج من الداخل واستولوا عليها وادخلوا جنود السلطان من ناحيتها وهكذا اعيد حكم مدينة الموصل للسلطان محمد وعين الامير مودود اميراً عليها وعلى الجزيرة الفراتية وذلك في

شهر محرم من عام ٥٠٢ هجرية[١٢].

آلت امارة الموصل الى الامير مودود الذي وصفه الدكتور حسين مؤنس « بانه رجل واسع الذهن بعيد النظر »[١٣] ووصفه الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور « بانه رجل عرف بالتقوى والورع وتمسكه بفكرة الجهاد »[١٤] . كان الواجب الرئيسي الذي كلف به الامير مودود هو مقابلة الصليبيين ودفع اذاهم عن الجزيرة الفراتية بصورة خاصة وبناءاً على ذلك فقد قام هذا القائد بتقدير للموقف دقيق وقد توصل الى الاستنتاجات الاتية :ـ

١ ـ ان السبيل الوحيد لطرد الغزاة والقضاء عليهم هو تبني فكرة الجهاد وحمل لوائه ونشر افكاره بين عامة المسلمين .

٢ ـ يجب القضاء على امارة الرها الصليبية قبل كل شيء[١٥].

٣ ـ وعلى الرغم من ضعف امارة الرها الصليبية فانه لايمكن القضاء عليها في الوقت الحاضر الّا اذا تحالفت القوات الموجودة في بلاد الشام مع القوات المتقدمة من العراق .

وعلى هذا الاساس طلب من اخيه السلطان محمد ان يأمر حكام النواحي بالخروج للجهاد معه وقد اصدر السلطان الامر بذلك وقبل انتهاء عام ٥٠٤ هجرية اجتمعت لديه من القوات الاسلامية والتي كانت تقدر بما يأتي :ـ

١ـ قوات امارة الموصل والتي كانت تقدر بما لايزيد على العشرة الآف مقاتل .

٢ ـ قوات تبريز وبعض نواحي ديار بكر بقيادة سقمان الارتقي صاحب تبريز وكانت لاتزيد على الثلاثة الاف مقاتل .

٣ ـ قوات همذان وماجاورها بقيادة آيلبك وعماد الدين زنكي ابنا آق سنقر البرسقي امير همذان وكانت لاتزيد على الالف مقاتل .

٤ ـ قوة من مراغة اخرى من اربيل .

٥ ـ قوة من ماردين بقيادة ايلغازي .

٦ ـ ارسل السلطان محمد قوة بقيادة ابنه وولي عهده الأمير مسعود الذي اراد ان يشارك في الجهاد[١٦] .

وبعد هذه الاجرآت ارسل اهالي مدينة حلب وفداً الى السلطان محمد في بغداد

يشكون فيه حاكمهم رضوان لتقاعسه عن جهاد الصليبيين وخضوعه لطلباتهم[١٧] ، وقد وصلت في نفس الوقت الى بغداد سفارة من الامبراطورية البزنطية وقد حاولت هذه السفارة استثارة الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي لقتال الصليبيين[١٨] ، وهكذا تهيأت العوامل المساعدة للمسلمين فتقدمت هذه القوى بقيادة الامير مودود الذي يعتبر بحق رائد الجهاد الاول في تلك الفترة بعد تلك الحقبة من تاريخ العالم الاسلامي التي تميزت بالتجزئة والخلافات والتي كانت من العوامل المهمة في نجاح الصليبيين في تثبيت اقدامهم في الشرق وتأسيس اماراتهم .

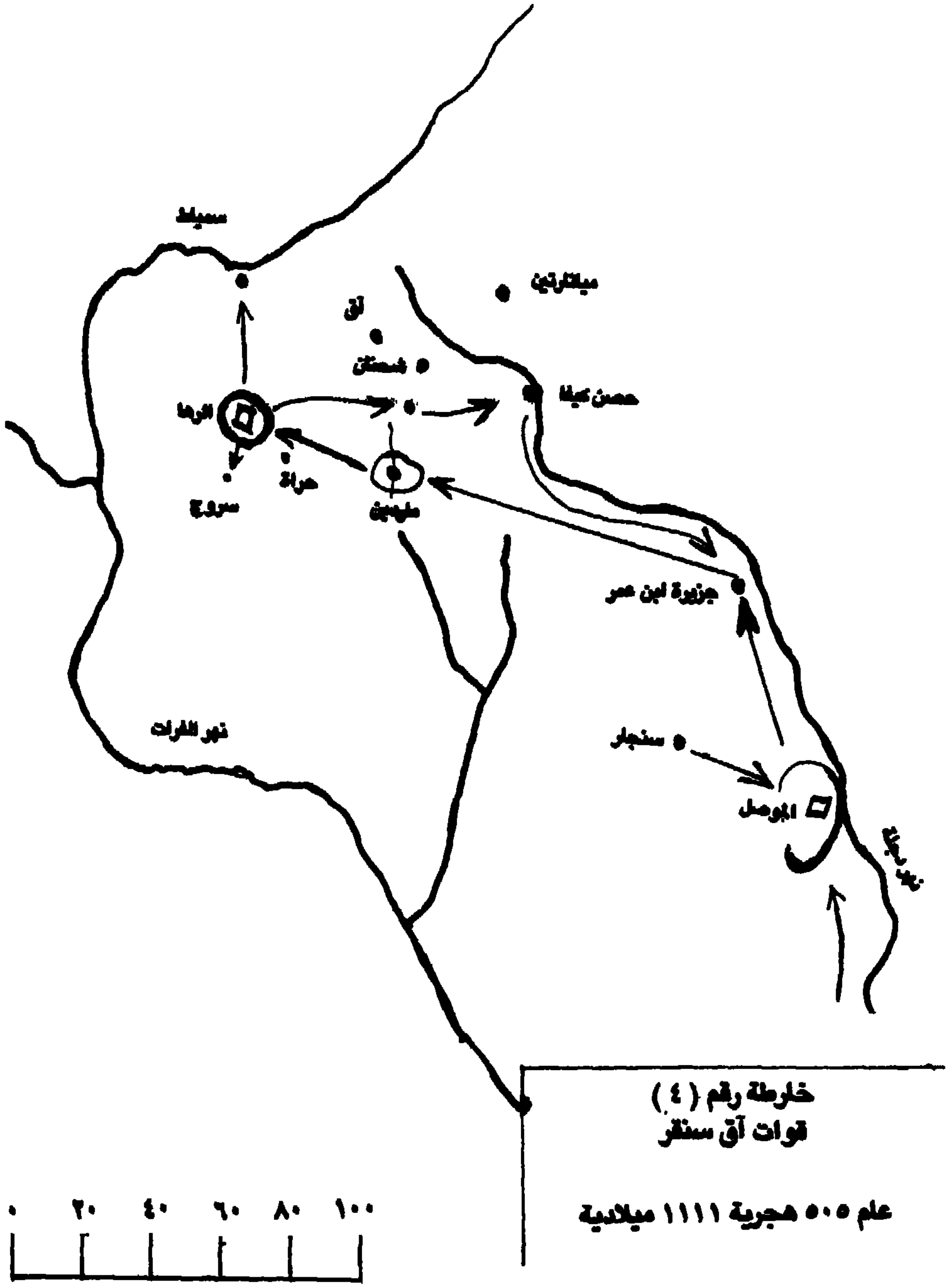
عمليات الجهاد للقوات الاسلامية
عام ٥٠٥ هجرية ١١١١ ميلادية
راجع خارطة رقم (٤)

بعد اتمام تحشد القوات الاسلامية في مدينة الموصل عام ٥٠٥ هجرية ـ ١١١١ ميلادية تقدمت هذه القوات باتجاه بلد سنجار ـ الواقعة غرب الموصل بمسافة ١٢٠ كيلومتر ـ ومنها اتجهت الى مدينة حران وقد اتخذت من هذه المدينة قاعدة تحشد امامية وبعد ان اكملت تحشدها تحركت باتجاه مدينة الرها مركز امارة الرها الصليبية فضربت طوق الحصار من حولها[١٩] . اما بالنسبة للصليبيين فقد علم حاكم الرها الامير بولدوين دي بورج بتحركات القوات الاسلامية قبل وصولها امارته فاتخذ الترتيبات التالية لتعزيز دفاعاته :

١ ـ شرع بتحصين مدينة الرها بخزن مواد التموين والاعاشة داخلها بعد ان قدر عدم استطاعته مواجهة القوات الاسلامية المتفوقة على قواته فقبل خطة الدفاع داخل مدينة الرها ورضي بالحصار .

٢ ـ ارسل الى قادة الصليبيين في امارة انطاكية وطرابلس ومملكة القدس يطلب منهم العون والنجدات .

وبعد اكمال القوات الاسلامية حصارها لمدينة الرها وردتها اخبار تفيد بان قوات امارة انطاكية بقيادة اميرها تانكرد وصلت نهر الفرات متجهة الى الرها الّا انها بعد ان اطلعت على تفوق القوات الاسلامية وكثرة عددها احجم قائدها عن عبور نهر الفرات والتقدم الى مدينة الرها لنجدتها وذلك خوفاً من قيام هذه القوات بمهاجمته[٢٠] .



خارطة رقم (٤)
قوات آق سنقر

عام ٥٠٥ هجرية ١١١١ ميلادية

وعندما رأى الامير مودود قائد القوات الاسلامية توقف القوات الصليبية وعدم عبورها نهر الفرات قام بحركة خدعة الغرض منها اعطاء الفرصة لقوات انطاكية لعبور الفرات ومهاجمتها في الضفة الشرقية من النهر والقضاء عليها فانسحب الى مدينة حران متظاهراً برفع الحصار عن مدينة الرها والانسحاب من حولها . كان تقدير الموقف للقائد الاسلامي صحيحاً الا انه كان عليه مراقبة الجبهة بقطعات سيارة ودوريات لرصد تحركات القوات الصليبية سواءً التي كانت داخل مدينة الرها او التي كانت على نهر الفرات والظاهر ان القيادة الاسلامية اهملت ذلك فامنت الفرصة للقوات الصليبية التي عبرت نهر الفرات ووصلت مدينة الرها وقامت بتموينها بكل ما تحتاج اليه من مواد التموين والاعاشة وسدت النقص الكبير الذي حدث داخل المدينة ثم عادت فعبرت نهر الفرات مرة اخرى دون تدخل القوات الاسلامية التي كانت قد ابتعدت عن مسرح الاحداث على مايظهر[٢١] .

وعندما علمت القيادة الاسلامية بهذه الحركة تقدمت ثانية فحاصرت مدينة الرها التي تغير الموقف بداخلها مما جعلها حصينة صعبة الاقتحام ، وبعد ان رأت القيادة الاسلامية عدم استطاعتها اقتحام المدينة قررت ترك حصارها وعبور نهر الفرات والتقدم باتجاه مدينة تل باشر ثاني مدن امارة الرها الصليبية وقد بقيت هذه القوات تحاصر مدينة تل باشر خمسة واربعين يوماً[٢٢] ، وفي هذا الوقت وردت طلبات الى الامير مودود من الملك رضوان من اهالي مدينة حلب ومن امير شيزر يطلبون منه النجدة ضد قوات امارة انطاكية الصليبية التي كانت تهاجمها وتعيث فساداً في اقليمها بعد عودتها من نجدة مدينة الرها وعلى هذا الاساس تركت القوات الاسلامية مدينة تل باشر واتجهت نحو مدينة حلب[٢٣] ـ وقد فكر الامير مودود بمهاجمة قوات امارة انطاكية بعد الاتفاق مع الملك رضوان ملك حلب[٢٤] وتوحيد قواتهما لمنعها من التعرض للحواضر العربية . الا ان الملك رضوان هذا وبدافع من خوفه من الامير مودود على امارته لم يسمح للقوات الاسلامية بدخول مدينة حلب عند وصولها وقد رفض التعاون مع الامير مودود ضد القوات الصليبية[٢٥] وذلك بدافع من العوامل الاتية :ـ

١ـ تخوفه من الامير مودود وقواته من السيطرة على امارته لانه فكر ان هذه القوات تشكل خطرا يهدد سلامة امارته سواءً كان ذلك قبل مهاجمتها القوات الصليبية او بعد ذلك .

٢ ـ كان خوفه من القوات الصليبية سبباً مهماً في عدم اتفاقه مع الامير مودود وذلك لانه فكر انه سيبقى وحيداً امام القوات الصليبية بعد انسحاب القوات الاسلامية عند انتهاء واجبها وسيبقى عرضة لهجمات القوات الصليبية .

٣ ـ كان رأي حكام امارات بلاد الشام في القوات التي يجهزها سلاطين سلاجقة فارس التي اصبحت مدينة بغداد مركزاً لهم ليس لمقاومة الغزو الصليبي فقط بل هي محاولة لفرض سلطتهم عليهم[٢٦] .

بعد وصول القوات الاسلامية مدينـة حلب وبسبب موقف الملك رضـوان فقد اصابها بعض الخلل الذي كان من نتيجته ان انفصل قسم من هذه القوات ، فقد عادت قوات الامير سقمان الارتقي بعد ان اصيب قائدها بمرض ورغب العودة الى امارته وقد توفي وهو في الطريق وقد انفصلت قوات ايلغازي وعادت الى ماردين .

وفي هذا الوقت اتفقت اطماع طفتكين اتابك دمشق وطموحات الامير مودود التي كانت تنحصر بمقاتلة الصليبيين حيثما كانوا ، وبعد ان تمت الاتصالات فيما بينهما اتفقا على تحشيد قواتها في معرة النعمان وبذلك تقدمت قوات الامير مودود باتجاه معرة النعمان حيث اجتمعت هناك بقوات امارة دمشق بقيادة طفتكين الذي كان يخطط لمهاجمة امارة طرابلس بمساعدة جيش مودود . وبعد ان تم تحشد القوات الاسلامية في معرة النعمان تحركت باتجاه امارة شيزر التي كانت معرضة في هذا الوقت لهجمات قوات امارة انطاكية الصليبية بقيادة اميرها تانكرد الذي انسحب من امام شيزر قبل وصول القوات الاسلامية واتجه نحو افامية مجنباً قواته خطر الابادة من قبل القوات الاسلامية التي كانت متفوقة عليه[٢٧] ، ومن هنا ارسل تانكرد يطلب النجدات من الملك بولدوين الاول ملك بيت المقدس ومن اميري طرابلس والرها ولم تلبث قوات هذه الامارات ان تجمعت قرب مدينة افامية لمواجهة القوات الاسلامية المتحشدة في امارة شيزر[٢٨] وقد بلغ تعداد القوات الصليبية حوالي ستة عشر الف مقاتل[٢٩] .

احتلت القوات الاسلامية التي كانت خيالتها توازي خيالة الصليبيـين الا انها كانت متفوقة عليهم بقوات المشاة قلعة شيزر وماحولها[٣٠] وقد قدمت هذه الامارة كل ما تستطيعه من اسناد اداري وحربي للقوات الاسلامية التي اتخذت موقف الدفاع امام القوات الصليبية التي تقدمت من مدينة انامية قاعدة تحشدها الى قلعة شيزر المنطقة

الدفاعية الاسلامية . احتلت القوات الصليبية المنطقة الكائنة شمال تل ابن معشر[٣١] لمواجهة القوات الاسلامية التي كانت متفوقة عليها بالعدد ومتخذة موقف الدفاع لتزيد من تعزيز موقفها وكانت تستهدف انهاك القوات الصليبية حيث استخدمت بنشاط اسلوب الغارات المتكررة على القوات الصليبية وذلك لتأمين هدفين الاول قطع الامدادات عن المعسكر الصليبي والثاني الحيلولة دون وصول الصليبيين الى نهر العاصي والاستفادة من مياهه لاغراض الشرب وسقي الحيوانات[٣٢] .

اخذت خيالة المسلمين تسيطر على المناطق المحيطة بمعسكر القوات الصليبية من جميع جهاته وكانت تحاول تطويقه ومنع الوصول اليه ثم ازداد ضغط القوات الاسلامية على القوات الصليبية حتى تمكنت من اجلائها عن الماء وقد انتشر رماة السهام المسلمون على طول شاطيء نهر العاصي حتى تمكنوا من السيطرة عليه وحرموا الصليبيين منه ، ثم اجبرت القوات الاسلامية القوات الصليبية على النزول من تل ابن معشر الذي كانت تعكسر عليه لمواجهتها في الاراضي المنبسطة فشنت عليها هجوماً من الجهة الغربية فدخلت المعسكر الصليبي واستولت على جانب منه وسيطرت على اثقالهم ثم احاطتهم من كل الجهات فاضطرت القوات الصليبية الى العودة الى معسكرها الذي كان على تل ابن معشر ثم اشتدت هجمات المسلمين عليهم فاخذ منهم الخوف مأخذه فاقاموا في معسكرهم ثلاثة ايام لايجرؤ واحد منهم على الظهور امام القوات الاسلامية ولايصل اليهم احد ثم استغل الصليبيون انشغال المسلمين بصلاة الجمعة في جامع شيزر فكانت فرصة لهم للانسحاب باتجاه مدينة افامية[٣٣] وقد طاردتهم القوات الاسلامية بعد ان وردتها اخبار انسحابهم فلحقوا بمؤخرتهم وتمكنوا من القضاء عليها ثم عقبوا فلول القوات المنسحبة التي لم تتمكن من الدخول الى مدينة افامية لشدة مضايقة القوات الاسلامية لها بل انسحبت الى داخل المناطق التي كانت تحت سيطرتهم هرباً من مضايقة القوات الاسلامية ، وهكذا انتهت هذه الحركة وعادت القوات الاسلامية الى قلعة شيرز ومنها الى مدينة حماه ومن هذه المدينة تفرقت القوات الاسلامية فعاد الامير مودود مع قواته الى مدينة الموصل[٣٤] .

آثار العملية على الطرفين المتقاتلين

انتهت عمليات عام ٥٠٥ هجرية وكان لها اثار على الجانبين المتقاتلين فهي بالنسبة للجانب الاسلامي ابرزت الآثار الاتية :ـ

١ ـ اظهرت تلك العملية عدم تماسك الجبهة الاسلامية الى هذا الوقت فقد كان لمخاوف واطماع الحكام المسلمين اثر كبير في عدم تحقيق انتصار حاسم وكبير على القوات الصليبية فقد انسحب قسم من القوات وعاد الى بلاده قبل وصول القوات الاسلامية الى مدينة حلب كما ان مخاوف الملك رضوان من القوات الاسلامية على امارته جعله يغلق ابوابها بوجههم ولايشارك بقواته في ضرب القوات الصليبية وان عدم قيامه باي حركة عندما كانت القوات الصليبية محاطة بالقوات الاسلامية امام قلعة شيزر ليدل دلالة واضحة على صحة مخاوفه من الصليبيين وتواطئه معهم .

٢ ـ اظهرت هذه الحركة انها نقطة تحول في تاريخ الحروب الصليبية فقد انتقلت القوات الاسلامية من وضع الدفاع والهزائم الى وضع الهجوم .

٣ ـ كان لهذه العملية اثار معنوية كبيرة على المسلمين الذين انحطت معنوياتهم نتيجة المعارك الخاسرة التي خاضوها مع الصليبيين في فترة الحرب الصليبية الاولى وقد عززت تلك الانتصارات التي سبق ان احرزتها قوات سلاجقة الروم والدانشمنديين في منطقة الانضول عام ٤٩٥ هجرية ١١٠١ ميلادية وعلى هذا الاساس فقد انتعشت حركة الجهاد وقد آمن المسلمون بان السبيل الوحيد لتخليص بلادهم من الغزاة هو سبيل الجهاد .

اما بالنسبة للصليبيين فكان لهذه العملية الاثار الاتية :

١ ـ كانت عاملاً مهماً من عوامل توحيد صفوف الصليبيين وجمع كلمتهم وذلك بعد ان شتت صفوفهم الاطماع الشخصية لامرائهم[٣٥] .

٢ ـ حققت هذه الحركة لبولدوين الاول ملك بيت المقدس نوعاً من الزعامة والقيادة على بقية الامراء الصليبيين واصبح لمملكة بيت المقدس نوع من الاشراف والقيادة على جميع الامارات الصليبية في الشرق .

عمليات الجهاد للقوات الاسلامية
عام ٥٠٧ هجرية ١١١٣ ميلادية
راجع خارطة رقم (٥)

بعد ان حل فصل شتاء عام ٥٠٥ هجرية وبعد ان يئس الامير مودود من حلفائه امر قواته بالانصراف الى قواعدها على ان تعود للجهاد عند حلول موسم الربيع القادم وكان عدم اخلاص الملك رضوان ملك حلب وعدم اندفاع طفتكين اتابك دمشق في جهاده من الاسباب التي جعلت الامير مودود يقرر العودة الى مدينة الموصل وقد اقتصر واجبه خلال هذه الفترة مراقبة حدود امارة الجزيرة والطرق المؤدية الى بلاد الشام وحمايتها من الغارات التي كانت تشنها قوات امـارة الرها الصليبيـة بين حـين وآخر تنفيـذاً لتوجيهات الخليفة العباسي والسلطان محمد السلجوقي[٣٦] الاّ ان الموقف في بلاد الشام قد تغير نتيجة عمليات عام ٥٠٥ هجرية وبصورة خاصة بين امارة دمشق ومملكة بيت المقدس الصليبية ، فقد كان لموقف طفتكين إتابك دمشق عندما حاصر الصليبيون مدينة صور عام ٥٠٥ هجرية وارساله التعزيزات الى المدينة وقيام قواته بالغارات التعجيزية على معسكرات الصليبيين وعلى طرق تموينهم والذي ادى الى فشل الحصار الصليبي وانقاذ مدينة صور من الوقوع بايديهم ، ووقوفه مع الامير مودود في العمليات التي نفذت حول قلعة شيزر كل ذلك جعل الملك بولدوين الاول ملك بيت المقدس يوجه كل جهوده ضد امارة دمشق فقد تابع غاراته عـلى اقليم امارة دمشق والتي كـان من نتائجهـا نهب محاصيل الامارة وتخريب حواضرها خلال عام ٥٠٦ هجرية فانقطعت المواد الغذائية عن مدينة دمشق وانقطعت الطرق التي تؤدي[٣٧] اليها مما جعل طفتكين يفكر جدياً بمحالفة الامير مودود والاستنجاد به لدفع الخطر الصليبي عن امارته رغم عدم اطمئنانـه له وخوفه على امارته منه .

ارسل طفتكين الى الامير مودود يشـرح له الموقف ويستنجـد به لدفـع الخطر الصليبي عن امارته وكان الامير مودود على اهبة الاستعداد للحركة عندما وردته انخبار امارة دمشق وقد اكمل تحشيد قواته التي كانت تتألف من :ـ

قوات امارة الموصل ـ وتقدر بحوالي عشرة الآف مقاتل

قوات امارة سنجار ـ وتقدر بحوالي الالف مقاتل

قوات امارة ماردين ـ وتقدر بحوالي الالف مقاتل[٣٨]

تحركت هذه القوات قاصدة بلاد الشام وعبرت نهر الفرات في اواخر شهر ذي العقدة عام ٥٠٦ هجرية[٣٩] وبعد ان وصلت اخبار تقدم هذه القوات الى مدينة دمشق تقدمت قواتها باتجاه مدينة حماه لملاقاتها وقد تم تحشد القوات الاسلامية عند مدينة السلمية الواقعة الى الجنوب الشرقي من مدينة حماه وكانت تقدر بحوالي خمسة عشر الف مقاتل بعد انضمام قوات امارة دمشق اليها والتي تقدر بين الثلاثة الآف والخمسة الآف مقاتل وذلك خلال شهر ذي الحجة من عام ٥٠٦ هجرية .

وبعد اكمال تحشد القوات الاسلامية تقدمت باتجاه مدينة طبرية التي كانت تعدّ من المراكز الصليبية المهمة وهي عاصمة الجليل الاعلى وبدأت بمحاصرة مدينة طبرية في اواخر ذي الحجة من عام ٥٠٦ هجرية وفي هذا الوقت كانت قوات مملكة بيت المقدس بقيادة الملك بولدوين الاول في منطقة ميناء عكا عندما وردتها اخبار حصار مدينة طبرية فاتخذ الملك بولدوين الخطوات الاتية :ـ

١ ـ ارسل يطلب النجدات من امارتي طرابلس وانطاكية .

٢ ـ لم ينتظر قدوم النجدات التي طلبها بل تعجل التقدم خوفاً على مدينة طبرية ذات الاهمية الخاصة للصليبيين من السقوط بيد المسلمين فاتجه فوراً على قواته نحوها .

وبعد ان وصلت اخبار التقدم الصليبي الى القيادة الاسلامية اصدر قائدها امـراً بالانسحاب من حول مدينة طبرية وباتجاه الجنوب ثم عبرت نهر الاردن الى الضفـة الشرقية حيث اتخذت مواضـع حصينة لها في منطقة الاقحوانة المحمية بنهري الاردن واليرموك[٤٠] ، وقد قامت القيادة الاسلامية بنصب كمين للقوات الصليبية المتقدمة عند جسر الصنبرة الواقع جنوب غرب بحيرة طبرية حيث الارض مساعدة على نصب الكمائن لوجود مضيق يمر الطريق منه ويعبر خانقاً حصيناً وضيقاً لايساعد على الانفتاح .

تقدمت القوات الصليبية ودخلت منطقة الكمين يوم ١٣ محرم عام ٥٠٧ هجرية ـ ٢٠ حزيران عام ١١١٣ ميلادية فاصطدمت بقوات الكمين الذي نصبه لها المسلمون واشتد القتال بينهما وكانت القوات الاسلامية هي المتفوقـة في القتال بعـد ان باغتت

القوات الصليبية فتمكنت من ايقاع خسائر كبيرة بينها واجبرتها اخيراً على التراجع والهزيمة بعد ان فقدت عنصر المشاة الملحق بها ومعه متاع الملك نفسه وقدرت خسائر الصليبيين في هذه المعركة بالف ومائتي قتيل من المشاة وثلاثين من الفرسان[٤١] . وبعد ذلك انسحبت فلول القوات الصليبية الى مدينة طبرية فالتقت عند مضيق يقع جنوب المدينة بقوات امارتي انطاكية وطرابلس وبالنظر لسوء موقف الصليبيين وتفوق القوات الاسلامية عليهم فقد تيقن الصليبيون عدم امكانهم الصمود امام القوات الاسلامية ، فاحتلت قواتهم موضعاً دفاعياً على جبل يقع غرب مدينة طبرية[٤٢] . فاحاطت بهم القوات الاسلامية وقطعت خطوط مواصلاتهم واخذت تضيق عليهم الخناق بمناوشتهم بالسهام وقد بقي الصليبيون على موقفهم هذا ستة وعشرين يوماً[٤٣] وهم في دفاع مستكن لم تقم قواتهم خلالها باية حركة هجومية .

اما بالنسبة للقوات الاسلامية فقد اكتفت بمراقبة القوات الصليبية والطرق المؤدية الى مواضعها ومناوشتاها بالسهام وقد وجهت جهودها لمهاجمة المناطق التي تخضع لسيطرة الصليبيين والاستيلاء على المواد الغذائية التي تجدها في هذه المناطق ومن ثم تخريبها وقد شملت عملياتها غرباً حتى مدينة عكا وجنوباً حتى مدينة القدس وتقتل كل من تجده من الصليبيين او تأسره[٤٤] وقد ازداد موقف الصليبيين سوءاً في هذه الفترة بعد ان علمت حامية عسقلان الفاطمية موقف الصليبيين وحصر قواتهم من قبل قوات السلاجقة في منطقة طبرية فتقدمت شمالاً واخذت تهاجم الحاميات الصليبية وتستولي على كل ما تجده من مواد حتى وصلت اسوار مدينة القدس نفسها الّا ان قلة قوتها اجبرها على الانسحاب دون الحصول على نتيجة حاسمة ثم انسحبت الى قاعدتها في مدينة عسقلان في نفس الليلة وصلت فيها مدينة القدس[٤٥] . وبالنظر لتغيير الموقف فقد قرر الامير مودود الانسحاب من منطقة فلسطين والحركة الى مدينة دمشق[٤٦] للاسباب الاتية :ـ

١ـ ورود اخبار تفيد بوصول ميناء عكا خلال شهر آب تقويات صليبية بستة عشر الف مقاتل من اوربا بصفة حجاج مما غير موقف الصليبيين وجعل قواتهم متفوقة على القوات الاسلامية .

٢ ـ ابتعاد القوات الإسلامية عن مواطنها الاصلية ولمدة طويلة[٤٧] حيث استغرقت

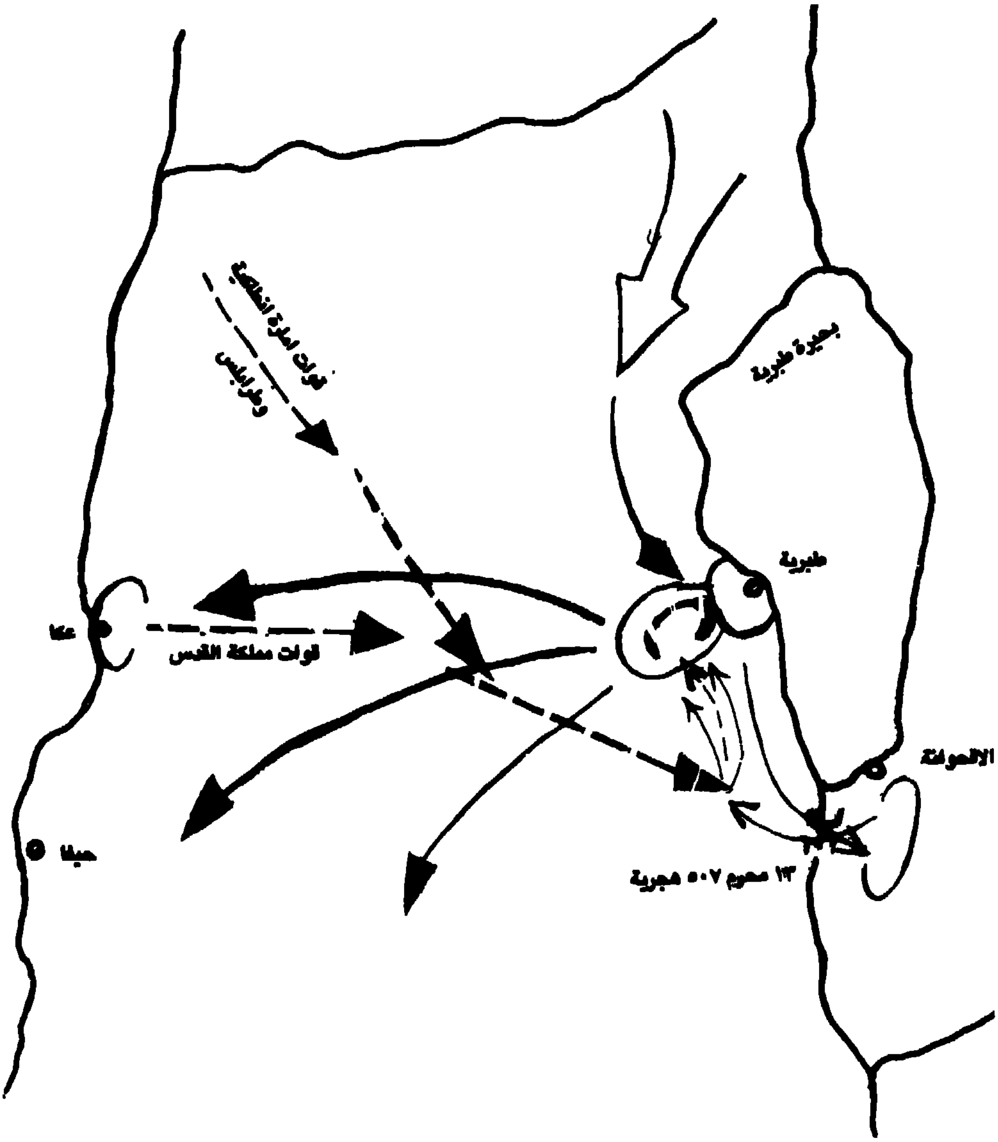
الفترة من شهر ذي القعدة عام ٥٠٦ وحتى شهر ربيع الاول عام ٥٠٧ هجرية ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان قلة المواد الغذائية لديها لبعدها عن قواعدها الرئيسية(٤٨) وحول موسم الشتاء جعل قائدها الامير مودود يفكر بضرورة اعطائها فترة اعادة تنظيم فقرر الانسحاب من منطقة فلسطين وتأجيل عمليات الجهاد الى الربيع القادم .

وعلى هذا الاساس انسحبت القوات الاسلامية الى مرج الصفر الكائنة قرب مدينة دمشق ومن هنا تفرقت القطعات الى مواطنها الاصلية فاتجهت قطعات الموصل وسنجار وماردين الى العراق . اما بالنسبة للامير مودود نفسه فقد عاد مع بقية خاصته الى دمشق(٤٩) ونزل بضيافة طغتكين تابك دمشق حيث قتل في اواخر شهر ربيع الاول من عام ٥٠٧ هجرية وبظروف غامضة وقد اتهمت بمقتله فرقة الباطنية وعلى هذه الصورة انتهت حياة هذا المجاهد الذي وصفه ابن الاثير بانه كان خيراً عادلاً كثير الخير(٥٠) .

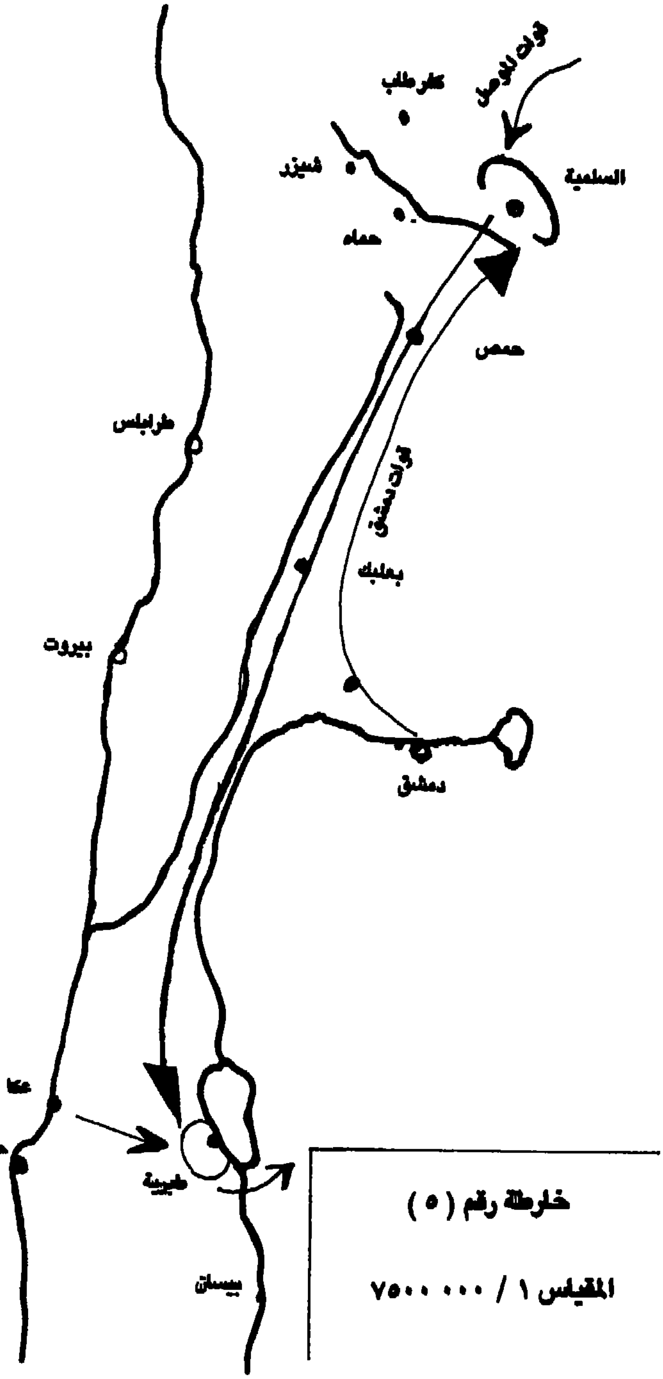
آثار عملية عام ٥٠٧ هجرية

كان لهذه العملية آثار على الطرفين المتحاربين اما بالنسبة للمسلمين فقد كانت آثارها كما يأتي :ـ

١ ـ ظهر من خلال هذه العملية اهمية توحيد صفوف المسلمين والتي كان ينبغي ان توضع لهم خطة موحدة وشاملة تنسق الحركات في الجبهتين الشرقية والجنوبية . فلو كان هناك تفاهم بين قيادة السلاجقة وقوات الخلافة الفاطمية التي كانت قاعدتها الامامية مدينة عسقلان لامكن الاستفادة من تثبيت القوات الصليبية في منطقة طبرية وكان من الممكن ان تنجز القوات الفاطمية دوراً اكثر فعالية في منطقة القدس بالنظر لخلو المناطق الصليبية من القوات الرئيسية وكان بالامكان توجيه قوات فاطمية كافية باتجاه مدنية القدس وبقية مدن فلسطين الجنوبية التي كانت دفاعاتها تقتصر على حاميات ضعيفة . الا ان عدم وجود اتفاق مسبق بين قادة السلاجقة وحكام القاهرة جعل القوة الفاطمية التي تقدمت شمالاً تقتصر على حامية مدينة عسقلان مما جعلها غير قادرة على تحقيق



قوات امارة انطاكية
وطرابلس
بحيرة طبرية
طبرية
عكا
قوات مملكة القدس
الاقحوانة
حيفا
١٣ محرم ٥٠٧ هجرية



خارطة رقم (٥)

المقياس ١ / ٧٥٠٠٠٠٠

منجزات كبيرة فاضطرت الى الانسحاب من امام اسوار مدينة القدس في نفس الليلة التي وضلتها وبذلك اضاعت فرصة ثمينة كان من المحتمل ان تؤدي الى استعادة مدينة القدس نفسها .

٢- ان عدم استثمار الفوز الذي احرزته القوات الاسلامية على الملك بولدوين الاول عند جسر الصنبرة ترك الفرصة للقوات الصليبية للتجمع ثانية ومشاغلة القوات الاسلامية . وأن عدم قيام القوات الاسلامية بتشديد الهجمات على القوات الصليبية غرب طبرية ومحاولة القضاء عليها باعتبارها الهدف الرئيسي للقتال وانصرافها لتخريب القرى والمناطق التي كان يسيطر عليها الصليبيون باعتبارها اهدافاً ثانوية شغلتها عن هدفها الرئيسي الذي كان يجب ان ينحصر بابادة القوات الصليبية وبذلك نجت القوات الصليبية من الابادة وقد ادى بالنتيجة الى تغير الموقف خاصة بعد وصول النجدآت من اوربا الى ميناء عكا والذي كان سبباً في انسحاب القوات الاسلامية من ساحة العمليات في منطقة الجليل الاعلى بعد حلول فصل الشتاء والعودة الى قواعدها الرئيسية في العراق .

اما بالنسبة للصليبين فكانت اثارها كما يأتي :-

١ ـ كان على الصليبيين عدم الاسراع في التقدم لملاقاة القوات الاسلامية الا بعد اتمام تحشدها في منطقة ميناء عكا ووصول النجدات التي قدمت من امارتي طرابلس وانطاكية . الا ان سرعة تقدم الملك بولدوين الاول كان حصيلة تجاربه السابقة عندما كان يقوم بحركات سريعة تجاه العشائر العربية والامارات الاسلامية الضعيفة والتي كانت قواته تتفوق عليها . ومن تجاربه هذه اراد ان يستغل سرعة الحركة بالقيام بحركة هجومية سريعة ليباغت القوات الاسلامية والقيام بضربها قبل ان تدخل مدينة طبرية وتتمركز في المنطقة الا انه لم يتوقع تفوق القوات الاسلامية على قواته وحسن قيادتها التي اوقعتها بهزيمة ساحقة فقد على اثرها كثيراً من مقاتليه واضطر الى الهزيمة طلباً للنجاة .

٢ ـ التقت القوات الصليبية التي كان يقودها الملك بولدوين الاول بعد هزيمتها

امام القوات الاسلامية بالتقويات التي وردتها من امارتي طرابلس وانطاكية فعادت لقتال المسلمين وعندما اصطدمت بالقوات الاسلامية واكتشفت عـدم تمكنها من مواجهتها وتفوق القوات الاسلامية عليها اضطرت للدخول في موضـع دفاعي على جبل يقع غرب مدينة طبرية وقد قام المسلمون بمحاصرتها من جميع الجهات ولم تحاول القوات الصليبية القيام باي عمل تعرضي طيلة مدة القتال التي استمرت ستة وعشرين يوماً مما هيأ الفرصة للقوات الاسلامية للقيـام بغارات على مناطق الصليبيين وتخريبها .

هوامش الفصل الخامس

١ ـ شاكر احمد ابو بدر ـ الحروب الصليبية والاسرة الزنكية / ٣١

٢ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/١٨٩

٣ ـ ابن العبري تاريخ مختصر الدول / ٣٣٩

٤ ـ حلوان ـ المقصود بها قصر شيرين الحالية وهي داخل ايران مع العلم يوجد جسر على نهر ديالى وداخل الحدود العراقية يدعى جسر حلوان يقع شمال قصبة جلولاء .

٥ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/١٨٩

٦ ـ المصدر السابق ٨/١٨٩

٧ ـ شاكر احمد ابو بدر ـ الحروب الصليبية والاسرة الزنكية ـ والمقصود بعساكر الخليفة في بغداد هي قوات السلاجقة .

٨ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق /١٧٨

٩ ـ د. حسين مؤنس ـ نور الدين محمود /١١٩

١٠ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ١٧٣

١١ ـ د. حسين مؤنس ـ نور الدين محمود / ١٢٢

١٢ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢٥٨

١٣ ـ د. حسين مؤنس ـ نور الدين محمود / ١٢١

١٤ ـ عاشور ـ تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في القرون الوسطى /٢٧٨

١٥ ـ انتوني ويست ـ الحروب الصليبية هامش صفحة ٧٨

١٦ ـ جرى تقدير هذه الارقام بصورة تقريبية وذلك استناداً الى حجم الامارات المشاركة فيها اما مايخص الفقرات ٤ ، ٥ ، ٦ فهي مشاركات رمزية لاتزيد الواحدة منها عن خمسمائة مقاتل باي شكل من الاشكال .

جب . صلاح الدين الايوبي /١٦٩ ـ ١٧٠

١٧ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/١٩٦

١٨ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق /١٧٣

١٩ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٣٠٧

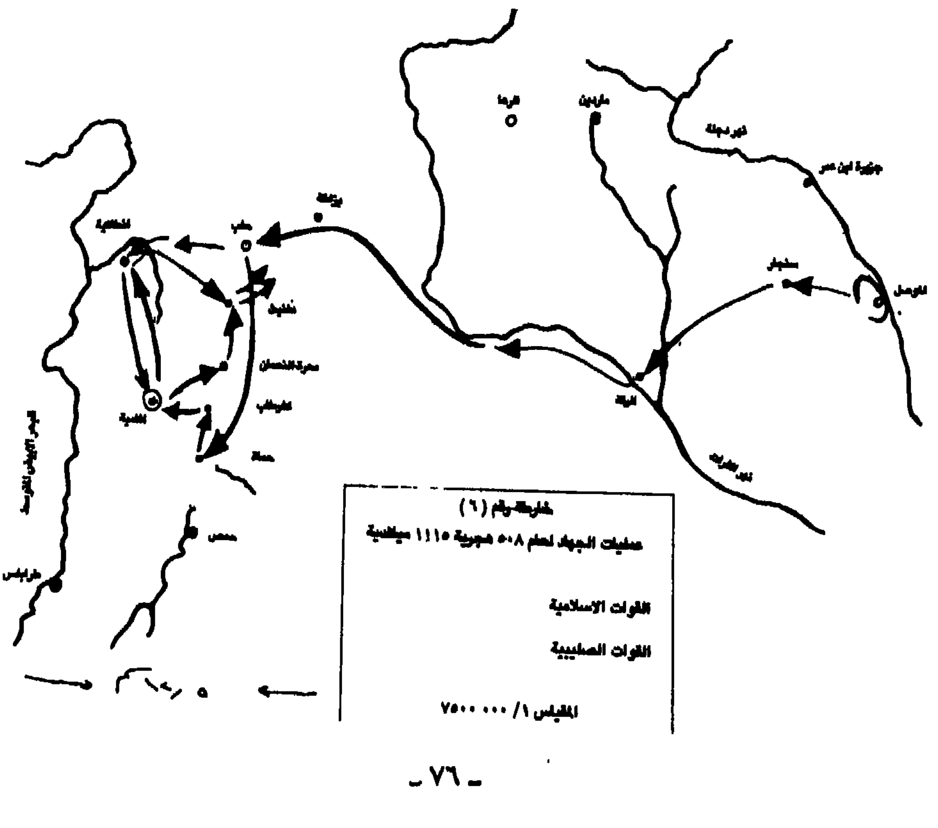
٢٠ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢٦٣

٢١ ـ المصدر السابق ٨/٢٦٣

٢٢ ـ سميل ـ الحروب الصليبية /١٤٦

٢٣ ـ عاشور ـ تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في القرون الوسطى /٢٥٥

٢٤ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٣٠٧
٢٥ ـ عاشور ـ المرجع السابق / ٢ /١٩٧
٢٦ ـ سميل ـ الحروب الصليبية /١٤٧
٢٧ ـ المرجع السابق /١٤٨
٢٨ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/١٩٩
٢٩ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٣٠٨
٣٠ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق /١٧٧
٣١ ـ الواقع شمال غرب قلعة شيرز
٣٢ ـ سميل ـ الحروب الصليبية /١٤٨
٣٣ ـ المرجع السابق /١٤٨
٣٤ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢٦٣
٣٥ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٠٠
٣٦ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٣٠٠
٣٧ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢٦٦
٣٨ ـ المصدر السابق ٨/٢٦٦
٣٩ ـ انتوني ويست ـ الحروب الصليبية هامش /٧٩
ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق /١٨٤
٤٠ ـ عاشور ـ تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في القرون الوسطى /٢٥٩
٤١ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٣١٢ ـ وقد جاء في كتاب ذيل تاريخ دمشق /١٨٥ ان خسائر الصليبيين كانت الفي قتيل وملك المسلمون معسكراتهم .
٤٢ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق /١٨٥
٤٣ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢٦٦
٤٤ ـ المصدر السابق ٨/٢٦٦
٤٥ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٣١٣
٤٦ ـ انتوني ويست ـ الحروب الصليبية هامش ص٧٩
٤٧ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق /١٨٦
٤٨ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢٦٦
٤٩ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق /١٨٦
٥٠ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢٦٦



خارطة رقم (٦)
عمليات الجهاد لعام ٥٠٨ هجرية ١١١٥ ميلادية

الفصل السادس

استمرار سلطنة السلاجقة بعمليات الجهاد
عام ٥٠٨ هجرية ١١١٥ ميلادية

بعد ان وصلت اخبار مقتل الامير مودود الى السلطان محمد عين اق سنقر البرسقي والياً على الموصل واعمالها وقد سير معه ابنه الملك مسعود في جيش قوي وأمر سائر امراء الاقاليم بطاعته وكلفه بواجب الجهاد ضد الصليبيين خلفاً للامير مودود .

كان الواجب الاول للامير آق سنقر البرسقي والي الموصل الجديد تشكيل جيش قوي وتهيئته في منطقة الموصل وقد تألف هذا الجيش من القطعات الاتية :ـ[1]

١ ـ قوات امارة الموصل

٢ ـ قوات امارة سنجار

٣ ـ قوات امارة الجزيرة

ان تقدير هذه القوات بعد ان انظمت اليها قوات جزيرة ابن عمر وماردين اصبحت حوالي خمسة عشر الف مقاتل توجهت الى مدينة الرها .

٤ ـ القوة التي سيرها السلطان محمد من بغداد بقيادة ابنه مسعود وكان مع هذه القوة عماد الدين زنكي بن آق سنقر البرسقي الذي ملك هو واولاده الموصل بعد ابيه[2] .

تحددت الواجبات التي اسندت لهذه القوة بما يأتي :ـ

١ ـ استمرار الجهاد ومحاربة الصليبيين لادامة استمرار حركة القتال التي اتخذت سوقيتها القوات السلجوقية للقضاء على الصليبيين في الشرق .

٢ ـ بعد اقتناع السلطان محمد السلجوقي بتآمر طفتكين اتابك دمشق على اخيه مودود وعدم طاعة ايلغازي امير ماردين لسلطانه فقد عهد لهذه القوات الانتقام منهما وقتلهما جزاءً لما قاما به من اعمال ضد الامير مودود .

بعد ان تم تحشد القوات في مدينة الموصل تقدمت باتجاه جزيرة ابن عمر فانضمت قواتها الى جيش آق سنقر ثم تقدمت باتجاه ماردين الذي كان اميرها ايلغازي فحاصرتها حتى اذعنت له ودخلت طاعته وقد سير قسماً من قواته بقيادة ابنه المدعو اياز تعزيزاً للقوات الاسلامية ، وبعد ذلك اتجهت القوات الاسلامية التي بلغ تعدادها بعد تعزيزها بحوالي خمسة عشر الف مقاتل نحو مدينة الرها فحاصرتها في ذي الحجة من عام

٥٠٨ هجرية واستمرت بمحاصرتها اكثر من شهرين[٣] .

كانت القوات الاسلامية اثناء حصارها لمدينة الرها مستكنة لم تقم باية فعالية هجومية جدية لاقتحام اسوار مدينة الرها بل اكتفت بمحاصرة المدينة واقتصرت فعالياتها على حصني سميساط وسروج وخربت منشاآتهما وقراهما ونهبت مزارعها الا انها رغم ذلك كانت تعاني من نقص مواد التموين فاضطرت تحت تأثير العامل الاداري للانسحاب الى منطقة ماردين فنزلت شحنان[٤] . وبالنظر لتوتر العلاقات بين الامير آق سنقر والامير ايلغازي صاحب ماردين قام آق سنقر بالقاء القبض على ابنه اياز وامر قواته بنهب سواد ماردين ثم سار باتجاه حصن كيفا الذي كان صاحبه الامير ركن الدولة داود ابن اخ ايلغازي فطلب داود هذا النجدة من عمه ايلغازي الذي تمكن من تحشيد قوات كثيرة من التركمان ثم توجه الى حصن كيفا فالتقي الجيشان هنا وبعد قتال شديد كانت الغلبة لجيش ايلغازي وقد هرب آق سنقر مع قواته وهكذا انتهت هذه العملية دون ان تحقق اي نتيجة لصالح الجبهة الاسلامية ، بل على العكس من ذلك فقد زادت شقة الخلاف والتباعد بين الاطراف الاسلامية المعنية حتى وصلت الى ما وصلت اليه قرب حصن كيفا .

كانت نتيجة هذه العملية ان اصيبت حركة الجهاد بنكسة كبيرة ادت الى قيام امراء بلاد الشام وبصورة خاصة طفتكين اتابك دمشق بالتحالف مع الصليبيين بعد ان شعر ان حركة الجهاد هذه ستكون خطراً على مصالحه[٥] .

استمرار عمليات الجهاد لعام ٥٠٨ هجرية ١١١٥ ميلادية

بعد انسحاب آق سنقر البرسقي مع قواته الى مدينة الموصل اخذت حركة الجهاد طابعاً مغايراً لما كانت عليه في بداية اعلانها حيث تضافر الحكام والامراء المسلمون الموجودون في شمال العراق والجزيرة مع امراء بلاد الشام لمقاومة الغزو الصليبي ، الا ان هذه الحركة اصيبت بنكسة كبيرة وذلك للاسباب الاتية :ـ

١ ـ الخلافات الشخصية بين امراء بلاد الشام وسلطنة السلاجقة التي كان مركزها بغداد وحب الاستئثار لدى هؤلاء الامراء والاستقلال الشخصي في ادارة حكم اماراتهم .

٢ ـ عندما قامت حركة الجهاد الاسلامية والتي بدأها الامير مودود في عهد السلطان محمد السلجوقي ايد الشعب العربي الذي يقطن شمال العراق وبلاد الشام هذه الحركة ونادى المخلصون منهم بضرورة توحيد الجهود لتخليص البلاد من الغزاة الصليبيين ، الّا ان الحكام التركمان وحكام اقاليم بلاد الشام رأوا في انبعاث هذه الروح خطراً على وجودهم وان هذه الحركة قد تستخدم لخدمة اطماع سلطنة السلاجقة في السيطرة عليهم وعلى اماراتهم فاخذوا يقاومون هذه الحركة بالسر والخفاء وكان مقتل الامير مودود اول بادرة لهذه المقاومة . وقد تعرضت المناطق التي يحتلها الصليبيون خلال هذه الفترة لزلازل وعوارض طبيعية اشغلتهم عن معالجة موقفهم[٦] ، وقد دفعت هذه الظروف السلطان محمد السلجوقي الى تجريد حملة مستغلاً تلك الظروف السيئة للصليبيين وقد حددت واجبات هذه الحملة بما يأتي :ـ

١ ـ تأديب المتآمرين على مصلحة البلاد الاسلامية وعلى رأسهم الامير ايلغازي امير ماردين الذي وقف ضد حملة آق سنقر وهزم جيشه وطفتكين اتابك دمشق الذي اتهم بتدبير مقتل الامير مودود .

٢ ـ ضرب الصليبيين وادامة حركة الجهاد ضد الغزاة بعد انسحاب حملة الامير آق سنقر .

اما بالنسبة للامير ايلغازي فقد خاف بطش السلطان محمد السلجوقي فترك ماردين والتجأ الى دمشق وعندما علم طفتكين ان السلطان محمد يتهمه بمقتل الامير مودود خافه ايضاً وقد اتفق ايلغازي وطفتكين على ان يتحالفا مع الصليبيين ضد قوات السلطان محمد التي امر بتسييرها الى بلاد الشام بقيادة برسق بن برسق امير همذان على ان يسانده جيوش بك اتابك الموصل والامير كنتفدي امير سنجار وقد عزز قواته بقوات امارتي الموصل والجزيرة[٧] .

وبعد ان تم تحشد القوات الاسلامية في مدينة الموصل تقدمت قاصدة بلاد الشام في شهر رمضان عام ٥٠٨ هجرية فعبرت نهر الفرات عند الرقة في اواخر سنة ٥٠٨ هجرية ثم تقدمت هذه القوات باتجاه مدنية حلب التي كان حاكمها في هذا الوقت الخادم

لؤلؤ فطلب امراء الجيش منه تسليم المدينة لهم وذلك بامر من السلطان محمد الآ ان لؤلؤاً هذا ماطل امراء الجيش واتصل سراً بطفتكين اتابك دمشق وايلغازي امير ماردين وطلب منهما المعونة للوقوف بوجه قوات السلطان فسارا اليه بألفين من الفرسان[٨]، وقد تمكنا من الدخول الى مدينة حلب مع قواتهما وبذلك فقد تعززت قوة الخادم لؤلؤ داخل المدينة فاعلن العصيان ولم يسمح للقوات الاسلامية بدخول مدينة حلب وذلك بتحريض من طفتكين وايلغازي[٩]

لم يثن الامير برسق بن برسق التحالف الذي تشكل ضده عن طريق الجهاد الذي سار فيه الآ انه قرر نتيجة لذلك مهاجمة المدن التالية التابعة لامارة دمشق اولاً فكان هدفه مدينة حماه التي كانت تابعة لامارة دمشق والتي ترك طفتكين اثقاله فيها عندما تقدم الى مدينة حلب فحاصرها وشدد الحصار عليها ثم تمكن من فتحها عنوة وقد سلمها الى الامير قرخان امير حمص وذلك بامر من السلطان محمد[١٠] .

بعد هذه العملية قدر امراء بلاد الشام الذين تحالفوا ضد الامير برسق عدم تمكنهم من الوقوف وحدهم بوجه قواته والتصدي لها ، هذا من ناحية وان خطورة الموقف على حياة كل من طفتكين اتابك دمشق والامير ايلغازي والخادم لؤلؤ من ناحية اخرى جعلهم يفتشون عن احلاف جدد لمساعدتهم ضد الامير برسق فلم يجدوا امامهم غير الصليبيين الذين كانوا لايأبهون بقوات ولايات الشام ويعتبرون قوات السلاجقة هي الخطر الوحيد الذي يهدد وجودهم في الشرق . وعلى هذا الاساس فقد تحرك كل من طفتكين وايلغازي وشمس الخواص الذي اصبح مقدم عساكر مدينة حلب مع قواتهم قاصدين قوات امارة انطاكية الصليبية التي كانت في منطقة الجسر الحديدي واستجاروا باميرها روجر وسألوه مساعدتهم على استرجاع مدنية حماه من قوات الامير برسق ، وقد وصل في هذا الوقت الى امارة انطاكية كل من الملك بولدوين الاول على رأس قوة مؤلفة من خمسمائة فارس والف من المشاة وامير طرابلس يقود قوة مؤلفة من مائتي فارس والفين من المشاة[١١] . وهنا ولاول مرة يعترف امراء بلاد الشام بالوجود الصليبي خدمة لمصالحهم الشخصية ، وبعد ان اجتمع قادة الحلف الشامي الصليبي وقدروا موقفهم استنتجوا ان قواتهم البالغة اثني عشر الف مقاتل سوف لن تتمكن من مواجهة القوات

الاسلامية وذلك لتفوقها عليها جميعاً[١٢] ، ولذلك قرروا عدم مهاجمتها او الدخول معها بقتال جدي وتركها في الوقت الحاضر لحين حلول موسم الشتاء الذي سيجبرها علـى العودة الى قواعدها ، ثم تقدمت قواتهم الى قلعة افامية وبقوا فيها مدة شهرين .

وعند منتصف شهر ايلول من عام ١١١٥ ميلادية ٥٠٨ هجرية قام الامير برسق بحركة خداع مظهراً الانسحاب باتجاه الجزيرة وقد ادت حركته هذه الى خدع القوات المتحالفة فانسحب الملك بولدوين مع قواته وامير طرابلس مع قواته الى اماراتهم باعتبار ان الخطر قد زال[١٣] وعاد كل من الامير ايلغازي الى ماردين وطفتكين الى دمشق . وبعد تفرق القوات الصليبية تقدم برسق باتجاه كفرطاب وضرب طوق الحصار من حولها وبعد ان شدد الحصار عليها دخلها عنوة ثم تقدم باتجاه انامية وبعد ان اكتشف حصانتها وعدم تمكن قواته من اقتحامها انسحب من حولها واتجه نحو معرة النعمان وهنا انفصل الامير جيوش بك عن القوات الاسلامية واتجه نحو بزاغة فاحتلها[١٤]، اما بقية القوات الاسلامية فقد تركت المعرة واتجهت نحو مدينة حلب وكانت اثقال الجيش في المقدمة والقطعات تتحرك على شكل جماعات متفرقة وعلى غير انتظام على مايظهر ولم يكن هُناك وسائل ارتباط بين الجماعات المتقدمة ولم تتخذ تدابير الارض والحماية اللازمة اثناء سيرها .

وبعد وصول اخبار تقدم القوات الاسلامية الى امير انطاكية المدعو روجـر فقد خرج على رأس قوة مؤلفة من خمسمائة فارس والفين من المشاة باتجاه كفر طاب لنجدتها وفي يوم ١٤ ايلول من عام ١١١٥ ميلادية ٥٠٨ هجرية وصلت هذه القوة الى منطقة تقع غرب سرمين عند وانيث[١٥] التي وصلتها اثقال القوات الاسلامية صدفـة فهاجمتهـا واستولت على جميع ما فيها من اثقال واحمال وعندما اخذت جماعات المقاتلين تصل تباعاً كانت القوات الصليبية تهاجمها بصورة مباغتة وتتمكن منها ومن الغريب ان كل هذه المجموعات وقعت في الفخ وبوغتت اثناء وصولهـا المعسكر وهكـذا تمكنت هذه القـوة الصليبية الصغيرة من هزيمة ذلك الجيش الذي ارعب جميع قوات بلاد الشام هزيمة ساحقة وانهزمت فلوله على غير انتظام وباتجاهات مختلفة عائدة الى اوطانها[١٦] .

وعلى هذه الصورة انتهت هذه الحملة بهزيمة ساحقة لقوات الامير بـرسق وقد

رقت قواته دون ان تعطي نتيجة تذكر اما نتائجها على الجانب الاسلامي فكمانت كما تي :ـ

١ ـ رغم التحالف الذي حدث بصورة وقتية بين امراء بلاد الشام المسلمين الصليبيين إلا ان هذه الامارات اصابها الحزن بعد هزيمة جيش الامير برسق وذلك لانها اصبحت وحيدة امام الصليبيين .

٢ ـ كانت هذه الحملة آخر اهتمامات سلطنة السلاجقة بحركة الجهاد التي اعلنوها وحملوا لواءها بعد سقوط مدينة القدس بيد الصليبيين ، وقد تضائلت اهتماماتهم بهذه الحركة وانتقلت مسؤولية حركة الجهاد ضد الصليبيين الى اطراف اسلامية اخرى سنذكرها في الفصول القادمة .

هوامش الفصل السادس

١ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢٦٨

٢ ـ المصدر السابق ٨/٢٦٨

٣ ـ المصدر السابق ٨/٢٦٨

٤ ـ شحنان ـ موقع قرب مدينة ماردين

٥ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢٦٩

٦ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٣١٥

٧ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢٧١

٨ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢١٣

٩ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢٧١

١٠ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢١٣

١١ ـ المرجع السابق ٢/٢١٣

١٢ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٤١٧

اسامة بن منقذ ـ الاعتبار / ١٢٠

١٣ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٢٧٢

١٤ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢١٤

١٥ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٤١٩

١٦ ـ سميل ـ الحروب الصليبية /١٥١

الفصل السابع

عوائق حركة الجهاد الاسلامي
بين عامي ٥٠٨ هجرية و ٥١٣ هجرية

بعد معركة دانيث تدهور الموقف العام في بلاد الشام وقد زاد الموقف سوءاً ما اصاب سلطنة السلاجقة في بغداد من الضعف والفتور في التصدي للصليبيين ، الاّ ان الموقف الصليبي في شمال بلاد الشام قد تغير كثيراً بعد وفاة امير انطاكية المدعو تانكرد وعام ١١١٢ ميلادية ـ ٥٠٦ هجرية والذي امتاز بشجاعته في معالجة المواقف الحرجة وخلفه في حكم الامارة ابن عمه المدعو روجردي سالرنو الذي عرف فيما بعد بروجر الانطاكي . ولم يمض طويل وقت حتى لحق الملك رضوان ملك حلب به فقد توفي في عام ٥٠٧ هجرية ـ ١١١٣ ميلادية فخلفه ابنه الب ارسلان الذي اتصف بالتهور وقلة العقل في حكم مدينة حلب[1] وقد سار هذا على نهج والده في تعامله مع الصليبيين فكان يدفع لهم الجزية ولم يفكر بتغيير موقفه وذلك بالاستعداد للجهاد والتقرب لبقية الامراء المسلمين وذلك لتشكيل جبهة اسلامية موحدة تقف ضد الصليبيين . الاّ انه بعد ان تدهورت الاحوال في مدينة حلب وعجز الب ارسلان هذا عن حماية امارته اخذ يفتش عن حليف له يقوي مركزه به فلم يجد غير طفتكين اتابك دمشق الذي راسله في هذا الامر وطلب منه القدوم الى مدينة حلب للنظر في مصالحها ، ولكي يثبت حسن نواياه مع طفتكين قام هو بزيارة لمدنية دمشق فوصلها في النصف الاول من شهر رمضان عام ٥٠٧ هجرية ثم عاد الى مدينة حلب وبصحبته الاتابك طفتكين في الاول من شوال من السنة نفسها ، وبعد ان رأى طفتكين فساد الوضع في مدينة حلب وسوء سيرة الب ارسلان نفسه تركها وعاد الى دمشق[2] . وبعد ترك طفتكين مدينة حلب تولى الامر فيها الخادم لؤلؤ الذي كان احد غلمان الملك رضوان والذي اصبح اتابك مدنية حلب على عهد الب ارسلام يعاونه القائد شمس الخواص الذي كان اميراً على رفنية .

قويت شوكة الصليبيين بعد معركة دانيث وبصورة خاصة ماكان من الامير روجر الانطاكي امير انطاكية وان التراخي الذي اصاب سلطنة السلاجقة جعل الوضع في بلاد الشام مفككاً وكان اهم نتائج انسحاب قوات الامير برسق بن برسق عام ٥٠٨ هجرية ١١١٥ ميلادية ان ترك الحليفان الوحيدان لقوات السلاجقة ـ وهما بنو منقذ امراء

شيزر وقيرخان امير حمص ـ وحدهما امـام القوات الصليبيـة وقوات امـارتي حلب ودمشق . ان هذا الموقف اجبر امراء شيزر على عقد صلح مع روجر الانطاكي سلموه بموجبه كفرطاب وتعهدوا بعدم التعرض للقوافل الصليبية السائرة بين انطاكية وبيت المقدس[٣] ، وقد قام طفتكين بمهاجمة رفنية التي كانت في هذا الوقت تابعة لامارة حمص واستولى عليها[٤] .

بلـغ التفكك الداخلي في امارة حلب حداً جعل الخادم لؤلؤ يقتل اميرها وينفرد هو في حكمها عام ٥٠٨ هجرية وقد قام احد اعوانه بقتله عام ٥١١ هجـرية ، ونتيجـة هذا الانحلال في الاوضاع الداخلية لمدينة حلب فقد تهيأت الفرصة لامير انطاكية بمهاجمتها والاستيلاء على ماقدر عليه من اراضيها . وبعد ان استولى شمس الخواص ياروقتاش الذي كان من اصل ارمني اتابكية مدينة حلب على عهد اميرها سلطان شاه ابن الملك رضوان والذي تولى الامارة بعد مقتل الخادم لؤلؤ ، اسرع ياروقتاش هذا الى استرضاء روجر الانطاكي وعقد معه صلحاً تنازل بموجبه عن حصن قبة ملاعب الواقع على الطريق التي تربط حلب بدمشق وقد اعطاه الحق في فرض الضرائب على قوافل الحجاج المسلمين التي تسير من حلب الى الحجاز[٥] .

اما من ناحية الشرق فقد تقدم الامير ايلغازي امير ماردين واحتل مدينة بالس الواقعة على نهر الفرات كخطوة اولى بعد اطلاعه على تردي موقف امارة حلب وخوفه من سيطرة الصليبيين عليها وليكون قريباً منها يراقب الاوضاع عن كثب ، وفي عام ٥١١ هجرية ١١١٨ ميلادية تحالف امير الرحبة آق سنقر البرسقي مع طفتكين اتابك دمشق واتفقا على مهاجمة مدينة حلب والاستيلاء عليها قبل وقوعها بايدي الصليبيين الاّ ان حكامها استنجدوا بامير انطاكية الذي ادى ظهوره مع قواته الى انسحاب قوات دمشق والرحبة الى قواعدهما دون قتال وهكذا اصبحت امارة حلب تحت حمايـة الصليبيين وفضل حكامها الدخول في حماية الصليبيين على حماية الامارات الاسلامية الاخرى .

كان موقف حكام مدينة حلب هذا حافزاً لاهالي المدينة الذي تغلب عليهم الشعور الديني فدفعهم ذلك الى الاتصال بالامير ايلغازي وطلبوا منه القدوم الى مـدينة حلب

لتسلمها وعلى هذا الاساس فقد تقدم الامير ايلغازي الى مدينة حلب ودخلها بمساعدة اهلها وذلك في شهر صفر من عام ٥١١ هجرية وبعد إن استلم الامر فيها ترك ابنه يدبر امور المدينة وعاد هو الى امارته بعد شهر من دخولها ليجمع المقاتلين(٦) . ان دخول مدينة حلب حكم الامير ايلغازي جدد العداء بينها وبين امارة انطاكية وقد ادى ذلك الى قيام قوات انطاكية الصليبية بالتقدم ومحاصرة حصن عزاز الواقع شمال مدينة حلب ثم تقدمت الى وادي بزاغه الواقع الى الشمال الشرقي من مدينة حلب واستولت عليه(٧) وهكذا فقد بسط الامير روجر الانطاكي سيطرته على جميع المناطق المحيطة بمدينة حلب من ناحيتي الشمال والغرب(٨) .

بعد ان اطلع الامير برترام بن رايموند امير طرابلس الانتصارات التي احرزتها قوات امارة انطاكية وسيطرتها على مناطق واسعة من اقاليم امارة حلب قام خلال عام ٥١٠ هجرية ١١١٧ ميلادية بتحشيد قواته وقيادتها باتجاه سهل البقاع وكان هدفه نهب الحواضر الاسلامية الواقعة في هذا السهل وتخريبها ، الا انه بعد ان وردت اخبار هذا التقدم الى دمشق وقد صادف وجود سيف الدين البرسقي صاحب الموصل فيها والذي كان قد وصلها لمعاونة اتابكها طغتكين فقد اتفق الطرفان على مهاجمة القوات الصليبية .

تقدمت القوات الصليبية وعسكرت في منطقة سهل البقاع ولم تتخذ تدابير الحماية اللازمة لمعسكرها هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فقد قررت قيادة القوات الاسلامية المتحشدة في مدينة دمشق التقدم فوراً وباقصى سرعة ومباغتة القوات الصليبية المعسكرة في سهل البقاع بهجوم سريع ومفاجيء ـ اي في وقت لم تتوقع القوات الصليبية وصولها فيه ـ وعدم اعطاء الفرصة للقوات الصليبية للقيام بأية غارة ضد الحواضر الاسلامية . تقدمت القوات الاسلامية باسرع ما تستطيع فوصلت معسكر القوات الصليبية بوقت لم تتوقعه فباغتتها بهجوم سريع وكاسح بحيث لم تترك لها الفرصة للاستعداد للقتال فاشتد القتل بالصليبيين بحيث لم ينج منهم الّا النفر القليل الذي تمكن من الهرب واستولت القوات الاسلامية على جميع ماتركه الصليبيون من اموال واثقال وقد بلغ عدد القتلى الصليبيين في هذه المعركة ثلاثة الآف قتيل ثم عادت القوات الاسلامية الى دمشق دون ان تتحمل خسائر تذكر(٩) .

تغير الاحداث في بلاد الشام

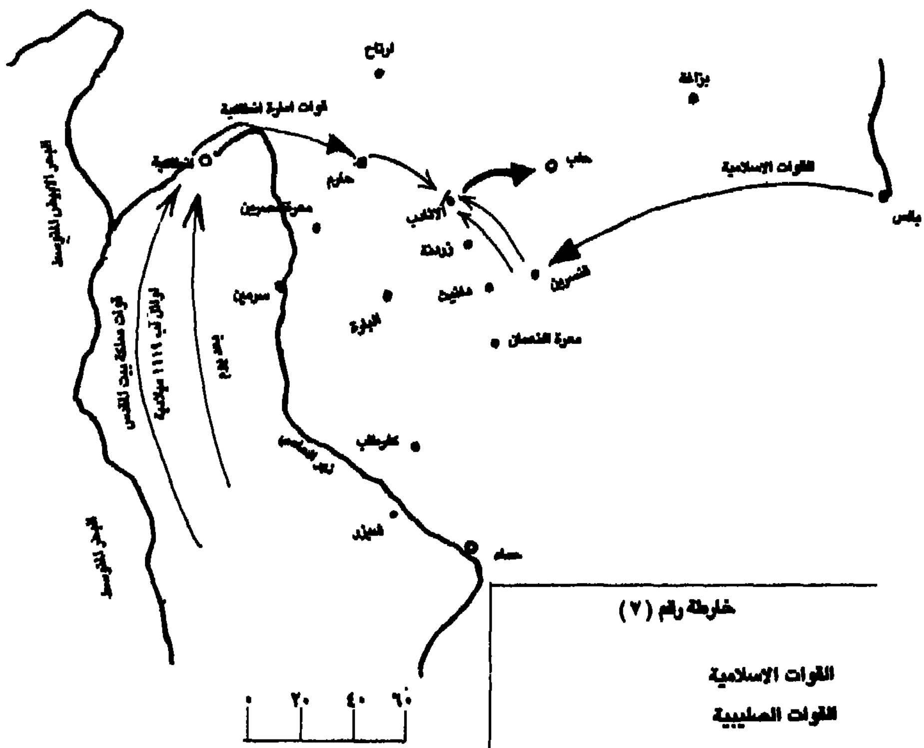
بعد هذه الاحداث توفي الملك بولدوين الاول ملك مملكة بيت المقدس الصليبية بتاريخ ١٤ نيسان عام ١١١٨ ميلادية ـ ٥١١ هجرية وتولى الحكم بعده الملك بولدوين الثاني الذي كان اميراً لامارة الرها الصليبية واصبح المدعو جوسلين امير الجليل الاعلى اميراً لامارة الرها بدلاً من اميرها بولدوين دي بورج[١٠] . وفي اليوم الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة عام ٥١١ هجرية ـ نيسان ١١١٨ ميلادية توفي السلطان محمد سلطان السلاجقة في بغداد وقد ترتب على وفاته ضعف سلطنة السلاجقة الى حد اصبح معظم امراء اقاليمها مستقلين عن السلطة المركزية واطلقوا العنان لمطامعهم الشخصية في تحصيل المكاسب الخاصة بهم[١١] ، وقد تولى الحكم خلفاً للسلطان محمد ابنه محمود الذي حاول اعادة سيطرة سلطنته على الاقاليم التابعة لها الا انه فشل وان فشله جعله يسلم امور السلطنة الى عمه الملك سنجر الذي كان في خراسان وهكذا فقد تركزت سلطته في الاقسام الشرقية فكان لهذا الحدث اثر كبير في انصراف سلاطين السلاجقة عما كان يحدث في بلاد الشام بعد هذا التاريخ وهكذا فقدت بلاد الشام اهتمامات القوة الاسلامية الرئيسية على مسرح الاحداث في البلاد الاسلامية واصبح عليها معالجة مواقفها مع الصليبيين والتعاون مع الامارات الاسلامية المجاورة لها .

معركة ساحة الدم

راجع خارطة رقم (٧)

ان تدهور الموقف في مدينة حلب وقيام الصليبيين باحاطة معظم اقاليمها[١٢] واحاطتها وتردي الموقف في بلاد الشام وعدم اكتراث الامارات الاسلامية الاخرى بما يجري في ساحة بلاد الشام من احداث دفع الامير ايلغازي الارتقي والذي كانت امارته قريبة الى مسرح الاحداث ان يتقدم ويحتل مدينة حلب قبل وقوعها بايدي الصليبيين وهكذا برز واصبح بطل الموقف في بلاد الشام خلال هذه الفترة وقد دفعته الاسباب التالية لاخذ المسؤولية على عاتقه في معالجة الموقف :ـ

١ ـ ضعف سلطنة السلاجقة وانعدام نفوذها في المناطق الغربية وخاصة بلاد الشام .



خارطة رقم (٧)

معركة ساحة الدم

٢ ـ عدم وجود امارات قوية في بلاد الشام لديها من القوات مايجعلها تتمكن من السيطرة على الموقف العام والتصدي للصليبيين .

٣ ـ انشغال سلاجقة الروم بمنازعاتهم مع البزنطيين ابعدهم عن احداث الشام .

وكما ذكرنا سابقا فان الامير ايلغازي بعد ان ترك ابنه في مدينة حلب عاد الى امارته ليجمع المقاتلين واطلق دعوته للجهاد من هناك فسارع المجاهـدون من ابناء المنـاطق المحيطة بامارته بالالتحاق بالجيش الذي اخذ يعده وقد تجمع لديه بعد فترة قصيرة قوات تقدر باربعين الف مقاتل من التركمان والاكراد والعرب .

تقدير القوات

١ ـ القوات الاسلامية

قدرت المصادر الغربية القوات الاسلامية باربعين الف مقاتل[١٣] .

اما المصادر الاسلامية فقدرتها بعشرين الف مقاتل[١٤] .

ان تقدير المصادر الغربية مبالغ فيه كثيراً لأن امارة ماردين التي أعتمد عليها الامير ايلغازي في نشر دعوته للجهاد من الامارات الصغيرة التي لايمكنها اخراج مثل هذا العدد الكبير من القوات وعليه فان تقدير المراجع الاسلامية اقرب للصحة من تقدير المراجع الغربية .

٢ ـ القوات الصليبية

قدرت القوات الصليبية بما يأتي : ـ

سبعمائة فارس

اربعة الآف مشاة المجموع اربعة الآف وسبعمائة مقاتل

وذلك حسب تقدير المراجع الغربية[١٥] .

ثلاثة الآف فارس.

تسعة الآف مشاة المجموع اثني عشر الف مقاتل

وذلك حسب تقدير المراجع الاسلامية[١٦] .

ان تقدير القوات الصليبية الاقرب للحقيقة وكحد وسطي في هذا الموقف يكون حوالي عشرة الآف مقاتل . وعلى هذا الاساس فان القوات الاسلامية متفوقة على القوات الصليبية بنسبة اثنين الى واحد على اقل تقدير .

حركات الطرفين

١ ـ القوات الاسلامية

بعد ان تم تحشد القوات الاسلامية في منطقة ماردين تحركت باتجاه امارة الرها الصليبية وقامت بالاغارة على المناطق المحيطة بمركز الامارة[١٧] ولم تتعرض لمدينة الرها نفسها وذلك لعدم تضييع الوقت امام اسوارها وبعد ان نهبت مناطقها وضربت ضياعها اتجهت نحو مدينة بالس الواقعة على نهر الفرات وعبرت النهر منها في صفر عام ٥١٣ هجرية منتصف حزيران عام ١١١٩ ميلادية ثم اتجهت من منطقة بالس الى مدينة تنسرين التي تبعد خمسة عشر ميلاً جنوب مدينة حلب ومن هنا اخذت تراقب تحركات الصليبيين[١٨] .

٢ ـ القوات الصليبية

بعد ان وردت اخبار تقدم القوات الاسلامية الى امير انطاكية روجر الانطاكي قام بما يلي :ـ

١ ـ اخبر الملك بولدوين الثاني الذي كان في هذا الوقت في طبرية كما اخبر امير طرابلس وطلب مساعدتهما فارسل الملك بولدوين الثاني رسالة له يخبره فيها بانه سيسرع بالتوجه الى انطاكية مستصحباً معه قوات امارة طرابلس[١٩] .

٢ ـ قرر روجر الانطاكي ـ رغم الظروف غير المواتية له ولقواته والتي كانت تفرض عليه البقاء في مدينة انطاكية لحين قدوم قوات مملكة بيت المقدس وقوات امارة طرابلس التي طلب مساعدتهما ـ التقدم فوراً حاسباً حساب الظروف التي

سوف تساعده للنصر على القوات الاسلامية كما حصل له في سابق الايام .

تقدمت القوات الصليبية من مدينة انطاكية الى مدينة حلب يوم ٢٠ آب عام ١١١٩ ميلادية وعبرت الجسر الحديدي ثم وصلت حصن الاثارب فاقام روجر معسكراً لقواته امام حصن تل عفرين الصغير الواقع قريباً من حصن الاثارب[٢] . اتخذت القوات الصليبية موضعاً دفاعياً في هذه المنطقة التي كانت تقع في منطقة جبلية ليس لها من الطرق الا ثلاثة طرق ضيقة وقد اعتقد الامير روجر انه من السهل السيطرة على هذه الطرق واتخاذ موقف الدفاع في هذا الموضع لحين وصول النجدات اليه ، ومن ناحية اخرى فانه اراد خداع الامير ايلغازي فارسل له رسالة وهو في قنسرين يخبره فيها بانه سوف يتقدم اليه ولاحاجة لتقدم القوات الاسلامية .

سير المعركة

كان الامير ايلغازي مطلعاً على احوال وقوة الجيش الصليبي الذي تقدم من انطاكية عن طريق وكلائه الذين ارسلهم لتقصي اخبار العدو وبعد ان اكتملت لديه المعلومات عن تفاصيل جيش العدو الذي عسكر عند حصن الاثارب وعن المنطقة التي عسكر فيها وبعد ان وردته رسالة المخادعة التي ارسلها الامير روجر قرر التقدم فوراً[٢١] واستغلال الفرصة التي يسرها له عدوه قبل وصول النجدات اليه وضياع الفرصة .

كانت القوات الصليبية قد احتلت مواضع لها في سهل قريب من حصن الاثارب تحيط به الجبال من جميع جهاته وليس له منافذ الا من ثلاثة طرق ضيقة كما ذكرنا وقد قرر الامير روجر قائد القوة الصليبية ان القوات الاسلامية سوف لن تستطيع مباغتته وهو في موضعه هذا . وبما ان قوات الامير ايلغازي كانت تتفوق على العدو بالعدد وتمتاز عليه بسرعة الحركة فقد قرر التقدم فوراً .

وفي اليوم السادس من شهر ربيع الاول عام ٥١٣ هجرية - ٢٧ حزيران عام ١١١٩ ميلادية تقدمت قوات الامير ايلغازي دون ان تنتظر قوات امارة دمشق وقد تمكنت من ادامة التماس مع القوات الصليبية ومباغتتها فدخلت عليها من المنافذ الثلاثة دون ان تكتشفها وذلك لوصولها معسكر القوات الصليبية في وقت لاتتوقعه وقد تمكنت

من دخول الموضع الدفاعي الصليبي دون ان تحس بها القوات الصليبية وذلك لقابلية وسرعة الحركة التي امتازت بها . وعندما طلع فجر اليوم السابع من شهر ربيع الاول عام ٥١٣ هجرية ـ ٢٨ حزيران عام ١١١٩ ميلادية كانت القوات الاسلامية قد سدت جميع المنافذ امام القوات الصليبية[٢٢] . وبعد ان تبين للقوات الصليبية انها محاطة من جميع الجهات ولم يبق امامها من المسالك الاّ القتال او الاستسلام فقد اختارت مسلك القتال وقام الامير روجر بتعبئة قواته فقسمها الى خمسة جحافل قتال وكلف اربعة منها بواجب مواجهة القوات الاسلامية اما الجحفل الخامس فقد وضعه في الاحتياط وكان مؤلفاً من الفرسان . ولغرض جعل دفاعه فعالاً قام بما يلي قبل وصول القوات الاسلامية الى ميدان المعركة وتطويقها القوات الصليبية :ـ

١ ـ ارسل قوة صغيرة من الفرسان الى حصن الاثارب لتعزيزه .

٢ ـ ارسل اثقال الجيش الى قلعة ارتاح[٢٣]

وفي صبيحة اليوم السابع من شهر ربيع الاول عام ٥١٣ هجرية ـ ٢٨ حزيران عام ١١١٩ ميلادية[٢٤] بدأت المعركة بقيام القوات الاسلامية برشق القوات الصليبية بالسهام الكثيفة بعد ان حصرتها بالسهل فكأن اول من تملكه الذعر والخوف من القوات الصليبية هم المشاة الذين ارتدوا الى الخلف وبالنظر لعدم وجود منفذ يهربون منه من شدة الرشق ولضيق ساحة المعركة فقد ارتدوا الى المنطقة التي كانت فيها قوات الفرسان واشتد تزاحمهم بين الخيول وهكذا فانهم حددوا حركة الفرسان واصبحوا عائقاً يحول دون مناورتها . ثم اشتدت الهجمات الاسلامية على القوات الصليبية واخذت سهام وسيوف المسلمين تحصدهم حتى تمكنت من القضاء على جيش امارة انطاكية الصليبية ولم ينج منهم غير مفرزة صغيرة تقل عن مائة فارس هربت الى حصن الاثارب ثم هربت الى انطاكية لتنقل اخبار ابادة القوات الصليبية وقد بلغ من كثرة الخسائر التي حلت بالصليبيين وكان الامير روجر بين القتلى ان اطلق على السهل الذي جرت فيه المعركة اسم « ساحة الدم[٢٥] ».

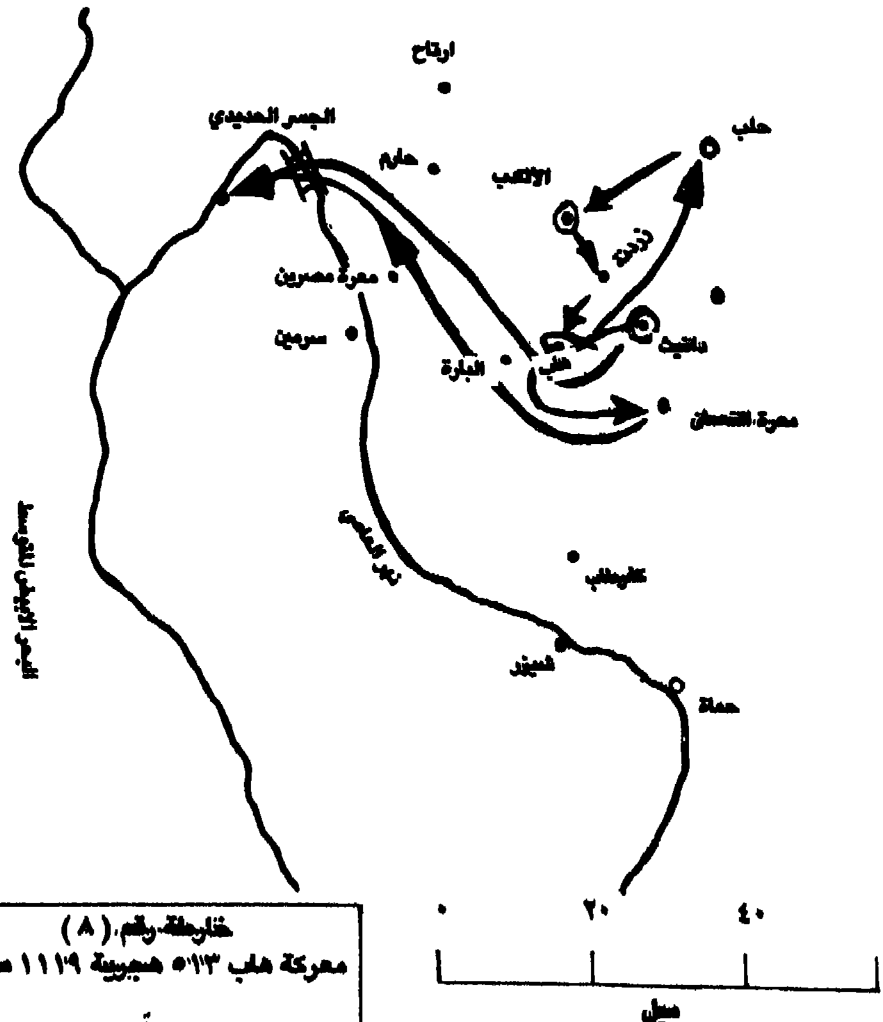
نتائج معركة ساحة الدم

احرز المسلمون في هذه المعركة نصراً هاماً في ساحة المعركة فقد ابادت قواتهم امارة انطاكية الصليبية باكملها وهذا غاية مايسعى اليه الجيش في القتال ، الا ان الامير ايلغازي الارتقي الذي كان قائداً لهذه المعركة لم يستثمر الفوز بعد هذا النصر الكبير الذي احرزه حيث لم يقم بمطاردة فلول المهزومين من شراذم القوات الصليبية باتجاه مدينة انطاكية التي اصبحت مفتوحة امامه بعد ان فقدت قواتها واميرها[٣٦] ، وحتى النصارى من السكان المحليين الموجودين في مدينة انطاكية استبشروا خيرا عند وصول اخبار الكارثة التي مني بها الامير روجر ومقتله مع جميع قواته وذلك في سبيل الخلاص من حكم الصليبيين بعد ان تكشفت نواياهم . اما الاسباب الجوهرية التي ادت الى عدم استثمار القوات الاسلامية للفوز الذي احرزته هي :ـ

١ ـ كانت القوات الاسلامية تتألف من اغلبية ساحقة من المجاهدين المتطوعين الذين لايخضعون لانظمة معينة ترغمهم على الالتزام بما يصدره القائد العام للقوات ، هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى فانهم لايصبرون على البقاء تحت ظروف القتال مدة طويلة وذلك تحت تأثير بعدهم عن اوطانهم واساليب تموينهم ولذلك فانهم انسحبوا الى مدينة حلب حالما ملئت ايديهم بالغنائم بعد انتهاء المعركة مباشرة[٣٧] .

٢ ـ كان الجيش النظامي للامير ايلغازي الارتقي قليلاً . وان امكانيات امارة ماردين المادية المحدودة جعلت اميرها يحتاج الى المال للصرف منه على قواته وان عدم تيسر هذا المال لديه جعله ينسحب الى مدينة حلب حالما انهى توزيع الغنائم فصرفه ذلك عن استثمار الفوز والتقدم نحو مدينة انطاكية .

وهكذا ضاعت فرصة احتلال مدينة انطاكية وطرد الصليبيين منها والقضاء على امارتها[٣٨] . والفائدة الوحيدة التي جناها العالم الاسلامي نتيجة هذه المعركة عدا الخسائر الكبيرة التي وقعت بين صفوف المقاتلين الصليبيين هي انها قررت مصير مدينة حلب الى الجانب الاسلامي ولو انتصرت القوات الصليبية لاصبحت هذه المدينة خاضعة



خارطة رقم (٨)
معركة هاب ٥١٣ هجرية ١١١٩ ميلادية

القوات الاسلامية
القوات الصليبية

لهم وخرجت من سيطرة العالم الاسلامي .

اما بالنسبة للصليبيين فكانت خسارتهم كبيرة فقد هددت كيان امارة انطاكية بالزوال لولا وصول الملك بولدوين الثاني مع قواته وقوات امارة طرابلس الى مدينة انطاكية فسيطر على الموقف وعالج الامور فيها واخذ يعد العدة لمواجهة القوات الاسلامية التي توقع هجومها على المدينة ، ثم تولى الوصاية على امارة انطاكية وعمل على تطهير ضواحي المدينة من المغيرين المسلمين الذين خربوا معظمها وعلى هذه الصروة دخلت امارة انطاكية تحت وصاية مملكة بيت المقدس الصليبية[٢٩] .

معركة هـاب
٥١٣ هجرية ١١١٩ ميلادية
راجع خارطة (٨)

الموقف الاسلامي

بعد انتهاء معركة ساحة الدم وصل الامير ايلغازي مدينة حلب وهنا ترك المجاهدون المتطوعون جيشه ولم يبق معه الّا القوات النظامية التي تعود الى امارته والتي لايزيد تقدير قواتها عن ثلاثة الآف مقاتل ، غير انه موقفه تحسن كثيراً بعد وصول قوات امارة دمشق بقيادة طفتكين الى مدينة حلب ، وبعد ان تم تحشد القوات الاسلامية في مدينة حلب شرعت بالتقدم يوم ١١ آب عام ١١١٩ ميلادية ـ ٥١٣ هجرية وكان هدفها احتلال الحصون التي تقع شرق نهر العاصي وكان حصن الاثاب اول اهدافها فحاصرته وشددت الحصار عليه حتى سقط بايديها ثم اتجهت بعد ذلك الى حصن زردنة الواقع الى الجنوب من حصن الاثارب فاستسلم لها بعد مقاومة عنيفة[٣٠] .

الموقف الصليبي

كان الموقف الصليبي سيئاً للغاية خلال الفترة التي اعقبت الكارثة التي حلت بقوات امارة انطاكية الصليبية ، ثم وصل الملك بولدوين الثاني الى مدنية اللاذقية في الايام الاولى من شهر آب عام ١١١٩ ميلادية ٥١٣ هجرية ووصلت قوات امارة طرابلس

في اليوم التالي لوصول الملك بولدوين الثاني الذي قام فوراً بالخطوات التالية لتدراك الموقف:-

١ ـ تسلم مسؤولية ادارة شؤون امارة انطاكية التي خلت من جميع مظاهر الحكم حيث فقد جيشها واميرها وجميع مسؤوليها .

٢ ـ رتب الامور الداخلية للامارة وعين المسؤولين في المناصب التي شغرت واخذ مسؤولية الدفاع عن هذه الامارة على عاتقه .

٣ ـ قام بتطهير ضواحي مدينة انطاكية من الجماعات الاسلامية المغيرة على هذه النواحي بشكل انفرادي وبلا تنظيم لغرض نهبها وتخريبها .

وبعد ان استقرت الامور داخل مدنية انطاكية اخذ الملك بولدوين الثاني يعد العدة لقيادة القوات الصليبية لمواجهة القوات الاسلامية التي تم تحشدها في مدنية حلب واخذت تستعد لاحتلال الحصون التي سيطر عليها الصليبيون والواقعة شرق نهر العاصي[٣١] . وكخطوة اولى قام بحركة سريعة لاستعادة قلعة علاروز الواقعة غرب البارة وكفرطاب وسرمين ومعرة مصرين من المسلمين الذين احتلوها بعد الكارثة التي حلت بقوات امارة انطاكية في معركة ساحة الدم ثم عاد الى انطاكية لمواجهة القوات الاسلامية[٣٢] .

تقدمت القوات الصليبية المتحشدة في مدينة انطاكية بقيادة الملك بولدوين الثاني والتي كانت تقدر بعشرين الف مقاتل[٣٣] لانقاذ حصن الاثارب بعد ورود اخبار حصاره من قبل القوات الاسلامية الى انطاكية وعند وصول هذه القوات الى الجسر الحديدي وصلتها اخبار سقوطه بايدي المسلمين ، وبعد ان قدرت قيادة هذه القوات الموقف استنتجت بان القوات الاسلامية ستتجه نحو الجنوب وذلك لاحتلال الحصون الواقعة حول معرة النعمان وافامية وعلى هذا الاساس اتجهت نحو الجنوب فوصلت منطقة تل دانيث يوم ١٣ آب عام ١١١٩ ميلادية ـ ٥١٣ هجرية وعسكرت فيها[٣٤] . وفي اليوم التالي لتعسكر القوات الصليبية في موقع دانيث وردتها اخبار سقوط حصن زردنه فقام قائدها الملك بولدوين الثاني بتقدير آخر للموقف واستنتج انه من الافضل لقطعاته الانسحاب الى الخلف قليلاً من موقعها الحالي وباتجاه مدينة انطاكية وقد تم ذلك فاحتلت موقعاً جديداً لها قرب قرية هاب[٣٥] .

سير المعركة

قام الملك بولدوين الثاني بتعبئة قواته في موضعها الجديد عندهاب وكما يأتي :ـ

الميمنة ـ تتألف من قوات امارة طرابلس بقيادة اميرها بونز وضعت خلفها قوة بقيادة المدعو روبرت الابرص بمثابة احتياط محلي .

القلب ـ قوات مملكة بيت المقدس بقيادة الملك بولدوين الثاني .

الميسرة ـ قوة صغيرة يشرف عليها الملك بولدوين الثاني .

الاحتياط العام ـ وضع خلف القلب .

تقدمت القوات الاسلامية باتجاه الموضع الصليبي الجديد في هاب فوصلته يوم ١٣ آب عام ١١١٩ ميلادية ربيع الثاني عام ٥١٣ هجرية . وفي صباح يوم ١٤ آب خاضت معركة مع القوات الصليبية كانت نتائجها غامضة حيث ادعى كل من الطرفين الغلبة له فيها(٣٦) وكانت تفاصيلها كما يأتي :ـ

قامت قوات امارة دمشق بقيادة طفتكين بالهجوم على ميمنة القوات الصليبية فاجبرتها على التراجع الى الخلف الا ان هذه القوات تمكنت من الصمود بوجه قوات امارة دمشق واحتفظت بمواضعها الخلفية . ثم قامت قوات الاحتياط المحلي التي كانت بقيادة المدعو روجر الابرص بحركة التفاف واسعة على جناح القوات الاسلامية الايسر غرضها الوصول الى زردنه واحتلالها وتطويق القوات الاسلامية والاخلال بتوازنها ، الا انْ هذه القوة وقعت بكمين اسلامي فاسرت مع قائدها. وبعد ذلك قامت بقية القوات الاسلامية بهجوم على القلب وميسرة القوات الصليبية الا انها لم تتمكن من زحزحتها عن مواضعها وبعد ان فتر زخم الهجوم الاسلامي قام الاحتياط العام للقوات الصليبية بهجوم على القوات الاسلامية تمكن من هزيمة كثير من المتطوعين الا انه لم يتمكن من التأثير على القوات النظامية التي انسحبت بعد تثبيت هجومه من ساحة المعركة بانتظام ودون تدخل العدو وهي تجر وراءها عدداً كبيراً من الاسرى الصليبيين قاصدة مدينة حلب(٣٧) .

يظهر من سير الاحداث ان هذه المعركة كانت ذات نتائج متساوية على الطرفين ان

لم نقل ان نتائجها كانت لصالح القوات الاسلامية اكثر مما كانت لصالح القوات الصليبية فقد تمكنت القوات الاسلامية من اسر اعداد كبيرة من الصليبيين وقد ساقتهم الى مدينة حلب وهي تنسحب دون تدخل العدو ولو كان النصر الى جانب القوات الصليبية التي ادعته لما تركت هذا الرتل الطويل من الاسرى يساق امامهم دون ان تحاول تخليصهم وهذا دليل واضح على انها اصبحت في موقف جعلها تخشى المطاردة واكتفت بان اتجهت نحو الجنوب قاصدة معرة النعمان وقلعة الروج التي احتلتها قوات امارة شيزر فاعادت احتلالها وعقدت معاهدة مع امراء شيزر تنازلت لهم عن الجزية التي كانوا يدفعونها الى روجر الانطاكي وهذا دليل آخر على ضعف موقف القوات الصليبية .وبعد ذلك قام الملك بولدوين الثاني باعادة احتلال الحصون التي استولى عليها المسلمون معركة ساحة الدم ماعدا البيرة والاثارب وزردنا ثم عاد بعد ذلك الى مدينة انطاكية ، وقد ترك الملك بولدوين الثاني انطاكية عائداً الى مدينة القدس خلال شهر ايلول من تلك السنة(٣٨) .

النتائج المترتبة على عمليات الامير ايلغازي

ادت الاسباب التالية الى انسحاب قوات الامير ايلغازي الى مدينة حلب : ـ

١ ـ بعد الانتصار الذي حققوه في معركة ساحة الدم وفي معركة هاليث وحصولهم على الغنائم اصابهم الكسل وركنوا الى الراحة فساقهم الحنين الى اهلهم الى ترك الجيش والعودة الى اوطانهم .

٢ ـ قلة المال لدى الامير ايلغازي وعدم تمكنه مادياً من دفع اجور المجاهدين والصرف على ادامتهم جعلهم يفكرون بالعودة الى اوطانهم فتركوا ساحة المعركة دون اوامر ولم يتمكن الامير ايلغازي من السيطرة عليهم وعندما شفي من المرض الذي اصابه والزمه الفراش مدة اسبوعين لم يجد من القوات ما يمكنه من العودة الى ساحة القتال فعاد الى ماردين كما ان طفتيكن اتابك دمشق عاد مع قواته الى مدينة حلب .

اما النتائج التي ترتبت على عمليات الامير ايلغازي بالنسبة للمسلمين فكانت كما يأتي :ـ

١ ـ تخفيف الضغط الصليبي عن مدينة حلب .

٢ ـ كان للانتصارات التي حصل عليها المسلمون تأثيرات معنوية كبيرة على المسلمين ادت بالنتيجة الى ادامة عمليات الجهاد في منطقة الجزيرة وشمال العراق .

اما بالنسبة الصليبيين فكان لهذه العمليات آثار كبيرة تتلخص بما يأتي :ـ

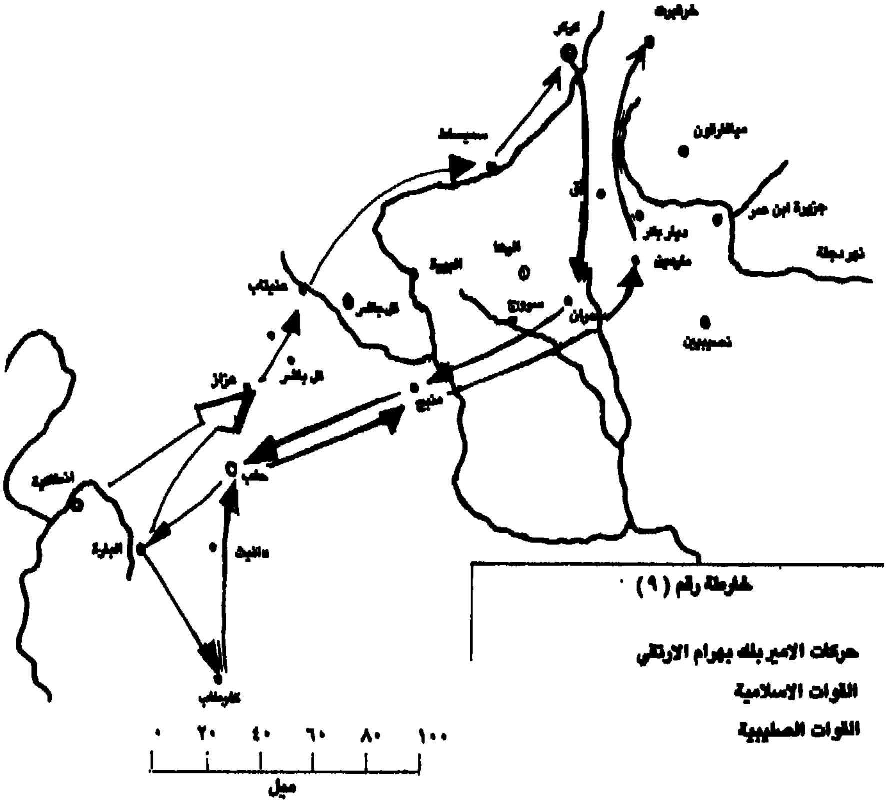
١ ـ ادت الخسائر الكبيرة التي حلت بالقوات الصليبية الضاربة الى حدوث نقص كبير بالمقاتلين اصبح من الصعب تعويضه بسهولة .

٢ ـ ان هذا النقص الذي حصل بالمقاتلين الصليبيين اجبرهم على التعاون فيما بينهم وان لايتصرفوا الا وهم متحدون كما انها اقرت وصاية مملكة القدس على جميع الامارت الصليبية في الشرق .

الموقف العام بعد عمليات عام ٥١٣ هجرية ١١١٩ ميلادية

بعد عودة الامير ايلغازي الى ماردين لم يخلد للراحة فباشر القيام بغارات على المناطق التي يسيطر عليها الصليبيون فقد اجتاح عام ٥١٤ هجرية ١١٢٠ ميلادية المنطقة الكائنة بين تل باش وكيسوم حيث قام بتخريب الضياع والقرى رغم تصدي الامير جوسلين امير الرها له ثم توجه من هذه المنطقة نحو حصن عزاز فاستولى عليه مَن قوات امارة الرها(٣٩) . ثم توجه بعد ذلك الى اقليم انطاكية التي هرب كثير من اهلها بعد اقتراب القوات الاسلامية منها فاستنجد اهلها بالملك بولدوين الثاني الذي اسرع لنجدتها فوصلها خلال شهر حزيران من عام ١١٢٠ ميلادية والتحق به هنا الامير جوسلين مع قواته . ثم تقدمت القوات الصليبية بقيادة الملك بولدوين الثاني الى منطقة تل دانيث لمواجهة القوات الاسلامية التي انسحبت الى مدينة حلب بعد التحشد الصليبي في انطاكية وطلبت مساعدة طغتكين اتابك دمشق(٤٠) .

تقدمت القوات الاسلامية بعد وصول قوات امارة دمشق من مدينة حلب الى منطقة تل دانيث واتخذت لها مواضع مواجهة للقوات الصليبية الا انها لم تدخل معها بمعركة حاسمة بل اخذ القتال شكل غارات على نطاق صغير مستفيدة من اسلوب الكر والفر المعروف حتى دخل الملل نفوس المقاتلين من الجانبين اللذين لم يكونا عازمين على


خرتبرت
سميساط
ميافارقين
جزيرة ابن عمر
نهر دجلة
الرها
البيرة
حران
نصيبين
عينتاب
تل باشر
عزاز
منبج
حلب
انطاكية
البارة
دابق
كفرطاب
حركات الامير بلك بهرام الارتقي
القوات الاسلامية
القوات الصليبية
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠
ميل

خارطة رقم (٩)

القتال وقد ادى هذا الموقف الى ميل كل من الطرفين للافتراق دون قتال فتم عقد هدنة بين الامير ايلغازي والملك بولدوين الثاني التي اتفقوا بموجبها على تثبيت خط الحدود فيما بين مناطق نفوذهما وبعد ذلك انسحبت قوات دمشق الى قاعدتها وقوات الامير بلك الى خرتبرت وعاد الملك بولدوين الثاني الى بيت المقدس في اوائل شهر ايلول .

عاد الامير ايلغازي مع قطعاته الى مدينة حلب بعد ان انتهى الموقف بينه وبين الصليبيين وبعد ان سلم مسؤولية ادارة شؤون المدينة الى ابنه سليمان عاد الى ماردين . وقد سارت الامور في مدينة حلب عكس ما رتب الامير ايلغازي فقد اسرع ابنه سليمان بالعصيان على ابيه وعقد صلحاً مع الصليبيين سلمهم بموجبه حصني الاثارب وزردنا[41] فحمل ذلك الامير ايلغازي على العودة الى مدينة حلب وبعد ان سيطر على الموقف فيها تقدم غرباً لاستخلاص الحصون التي ضيعها ابنه فهاجم حصن زردنا وحاصره وقد ادى ذلك الى عودة الملك بولدوين الثاني مع قواته مرة اخرى الى هذه المنطقة[42] وقد تمكنت من فك الحصار عن زردنا دون قتال واسع النطاق ثم افترق الطرفان وعاد كل منهما الى قاعدته .

اما بالنسبة للامير جوسلين امير الرها فقد اشتدت هجماته وغاراته على منطقة الجزيرة بعد عودته من منطقة حلب فهدد طرق المواصلات والحواضر الاسلامية الموجودة بامارة الجزيرة وعندما كانت قوات الامير بلك بن بهرام الارتقي عائدة من منطقة حلب بعد عقد الهدنة بين الامير ايلغازي والملك بولدوين الثاني ووصول اخبار عودته الى الامير جوسلين امير الرها اراد هذا الاخير ان يباغت قوات بلك الارتقي ويقضي عليها مستغلاً انفرادها في[43] المنطقة فتقدم مع قوة من الفرسان الى الطريق التي كانت تسلكه الا ان اخبار تقدم القوات الصليبية وصلت الامير بلك فتحصن خلف منطقة مستنقعات منتظراً قدوم عدوه ، وبعد ان دخلت القوات الصليبية منطقة المستنقعات التي اتخذت القوات الاسلامية مواضعها من حولها اخذت سهام المسلمين تقذف عليها من كل جانب وقد تحدد حركة القوات الصليبية بعد دخولها منطقة المستنقعات فقضت القوات الاسلامية على معظم القوة الصليبية واخذت من تبقى منهم اسيراً وكان الامير جوسلين

من ضمن الاسرى وذلك يوم ١٣ ايلول من عام ١١٢٢ ميلادية ٥١٥ هجرية(٤٤) وبعد ان اسر جوسلين هذا ساء موقف الصليبيين في امارة الرها مما حمل الملك بولدوين الثاني على القيام بالوصاية على امارة الرها ايضاً .

وقد شاءت الاقدار ان يموت الامير ايلغازي في هذه الفترة فقد توفي في يوم ١٧ رمضان من عام ٥١٦ هجرية ١١٢٢ ميلادية فاصاب امارته التمزق من بعده فآلت امارة حلب الى ابنه الاكبر الامير سليمان الذي كان ضعيفاً فتقدم الملك بولدوين الثاني مستغلاً الموقف فاجبر امير حلب على التنازل له عن حصن الاثارب ثم استرد البيرة(٤٥) .

وعندما سمع الملك بولدوين الثاني باسر امير الرها جوسلين اسرع الى منطقة حلب واخذ يهاجم نواحيها انتقاماً من المسلمين وبالنظر لضعف اميرها سليمان الذي لم يتمكن من الرد على الهجمات الصليبية وعندما سمع الامير بلك بن بهرام صاحب خرتبرت الذي تولي مسؤولية الجهاد ضد الصليبين بعد وفاة الامير ايلغازي تقدم وحاصر قلعة كركر ليجلب انتباه الملك بولدوين الثاني اليه ويخفف الضغط الصليبي عن مدينة حلب وفعلاً تقدم الملك بولدوين الثاني على رأس القوات الحسليبية لتخليص قلعة كركر وعند اسوار المدينة دارت معركة عنيفة خلال شهر ربيع الاول من عام ٥١٧ هجرية ١١٢٣ ميلادية كان النصر فيها الى جانب القوات الاسلامية ووقع الملك بولدوين الثاني في الاسر(٤٦) فسيره الامير بلك الى قلعة خرتبرت حيث سجنه مع زميله الامير جوسلين امير امارة الرها الصليبية(٤٧) .

بعد هذه المعركة تقدم الامير بلك الى حلب بعد ما سمعه من تنازل اميرها عن حصن الاثارب للصليبيين فاستولى على مدينة حران في ربيع الاول من عام ٥١٧ هجرية وعندما وصل الى مدينة حلب اراد اميرها منعه من الدخول الّا انه اجبر اخيراً على التنازل له وتسليمه المدينة دون قتال(٤٨) وبعد ان رتب امورها خرج مجاهداً فاستولى على البارة ثم تقدم فحاصر كفرطاب وعندما كان في موقفه هذا ورده نبأ سقوط قلعة خرتبرت بيد المأجورين من الارمن الذين تآمروا مع الملك بولدوين الثاني والامير جوسلين الذين استوليا على القلعة بمعاونة الارمن وقام المتآمرون بارسال الامير جوسلين مع مجموعة منهم باتجاه امارة الرها لجلب التقويات وبقي الملك وجماعته في قلعة خرتبرث(٤٩) وعندما

وصلت الاخبار الى الامير بلك ترك الحصار واتجه صوب القلعة فقطع الطريق اليها بمدة خمسة عشر يوماً وقد فوجىء المتمردون بظهوره بهذا الوقت السريع وقد تمكن من القضاء على الفتنة والقاء القبض على الملك في اليوم التالي لوصوله(٥٠) .

وبعد ان علم جوسلين امير الرها بان لاامل له في الوصول الى خرتبرت اغار على منطقة حلب بشكل وحشي وخرب كل ماوقعت عليه يداه حتى قبور الموتى وهدد مدينة حلب بشر مستطير(٥١) ، الا ان قاضي المدينة نهض مع اهلها لمواجهة الغزاة الى ان اسرع الامير بلك بالعودة اليها بعد ما تركت الاعمال التي قام بها جوسلين في منطقة حلب بعد هزيمته من الاسر اثاراً كبيرة في نفسه وقد وافاه فيها طفتيكن اتابك دمشق مع قواته وآق سنقر البرسقي صاحب الموصل مع قواته فانسحبت القوات الصليبية من المنطقة بعد وصول القوات الاسلامية مدينة حلب . ثم تقدمت القوات الاسلامية باتجاه حصن عزاز لاستعادته الا انها لم تتمكن منه فاتجهت نحو تل باشر لمهاجمتها . وهنا وردت انباء الى الامير بلك تفيد بان امير منبج قد اتفق مع جوسلين ضد المسلمين فتقدمت القوات الاسلامية الى منبج وحاصرتها فاقبل جوسلين لمساعدة حليفه فتصدت له القوات الاسلامية قرب مدينة منبج فكان النصر للمسلمين وهرب جوسلين مع قواته ثم عادت القوات الاسلامية لمحاصرة مدنية منبج ثانية . واثناء الحصار اصاب سهم طائش الامير بلك فكان سبباً في وفاته في اليوم السابع من شهر مايس من عام ١١٢٤ ميلادية ـ السابع والعشرين من شهر ربيع الثاني من عام ٥١٨ هجرية(٥٢) . وعلى هذه الصورة انتهت حياة هذا البطل والمجاهد الاسلامي بعد ان قاد حركة الجهاد الاسلامية من نصر الى نصر امام اعتى الغزاة واسر امراءهم .

هوامش الفصل السابع

١ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٢٦٧

٢ ـ ابن العديم ـ زبدة الحلب ٢/ ٦٠٤

٢ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ١٩٠

٣ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٤٢٠

٤ ـ ابن العديم ـ زبدة الحلب ٢/ ٦١٠

٥ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ١٩٩

٦ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٤٢٢

٧ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٣٠

٨ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٤٢٢

٩ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ١٩٧

١٠ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٣١

١١ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٢٧٧

١٢ ـ انتوني ويست ـ الحروب الصليبية هامش /٨٠

١٣ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٣٦

١٤ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٢٨٨

١٥ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٣٧

١٦ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٢٨٨

١٧ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٤٩١

١٨ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٣٧

١٩ ـ المرجع السابق ٢/٢٣٦

٢٠ ـ المرجع السابق ٢/٢٣٦

٢١ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٢٨٨

٢٢ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٤٩٢

٢٣ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٣٨

٢٤ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٠١

٢٥ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٤٩٢

٢٦ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٠١

ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٤٩٢

٢٧ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٣٩

٢٨ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٤٩٢

٢٩ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٤٢

٣٠ ـ المرجع السابق ٢/٢٤٣

٤٣١ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٤٩٣

٣٢ ـ المرجع السابق ٢/٤٩٣

٣٣ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٠٠

٣٤ ـ المصدر السبق / ٢٠٠

٣٥ ـ قرية هاب ـ تقع بين دانيث والبارة .

٣٦ ـ د. حسين مؤنس ـ نور الدين محمود / ١٣٨

٣٧ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٤٤

٣٨ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٤٩٤

٣٩ ـ د. حسين مؤنس ـ نور الدين محمود /١٣٩

ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/١٣٩

٤٠ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٥٢

٤١ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٠٣

٤٢ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٤٩٥

٤٣ ـ د. حسين مؤنس ـ نور الدين محمود /١٤٠

٤٤ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٢١١

ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٥٧

٤٥ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٢١١

٤٦ ـ انتوني ويست ـ الحروب الصليبية هامش ص٨١

٤٧ ـ د. حسين مؤنس ـ نور الدين محمود /١٤١

٤٨ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٠٩

٤٩ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٥٩

٥٠ ـ د. حسين مؤنس ـ نور الدين محمود /١٤٢

٥١ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٥٠٠

٥٢ ـ د. حسين مؤنس ـ نور الدين محمود /١٤٢

الفصل الثامن

ساحة الحركات الجنوبية

سكنت ساحة الحركات الجنوبية ولم تظهر فيا فعاليات تذكر طيلة الفترة السابقة وحتى وصول اخبار اسر الملك بولدوين الثاني الى الوزير المصري الافضل فاراد هذا استغلال الفرصة لصالح الخلافة الفاطمية فقرر معاودة الهجوم على الصليبيين وقد قام طغتكين وآق سنقر البرسقي بتحريضه على ذلك لاشغال الصليبيين على جميع الجبهات ، وعلى هذا الاساس قام الوزير المصري بتهيئة حملة كبيرة خلال عام ٥١٨ هجرية ـ شهر مايس عام ١١٢٣ ميلادية وقد تم تحشيد قواتها في قاعدة عسقلان المتقدمة ثم تقدمت هذه القوة وكان هدفها ميناء يافا الذي يعتبر ثغر مملكة بيت المقدس الصليبية الرئيسي ثم تقدم الاسطول المصري لمهاجمته من البحر(١) .

وصلت القوات المصرية الى الميناء المذكور فحاصرته في الوقت الذي لم يكن فيه سوى حامية ضعيفة لاتستطيع الدفاع عنه الّا ان القوات المصرية لم تقم باي حركة جدية على الميناء المذكور بل انها اكتفت بمحاصرته ولم تحاول القيام بمهاجمته او تشديد القتال عليه قبل قيام الصليبيين باي حركة تمنعهم من ذلك هذا مع العلم ان الحامية الصليبية التي كانت في الميناء اخذت تفكر بالتسليم لضعفها وقلة عددها وفي هذا الوقت بالذات اخذت طلائع نجدة صليبية تصل المنطقة وكان المفروض على القوات المصرية ان تواجه هذه التقويات وتقضي عليها وتديم حصار الميناء بقوات خفيفة وسريعة الا انها شرعت بالانسحاب من المنطقة حال ظهور النجدات الصليبية وقصدت يُبنا(٢) فعقبتها القوات الصليبية وبعد المعركة التي دارت عند يبنا عام ٥١٨ هجرية ـ ٢٩ مايس ١١٢٣ ميلادية انهزمت القوات المصرية وقامت القوات الصليبية بمطاردتها حتى اوصلت فلولها مدنية عسقلان(٣) . اما بالنسبة للاسطول المصري فلم تظهر له اي فعاليات خلال هذه العمليات على الرغم من ان الاوامر كانت تنص على قيام الاسطول بمهاجمة الميناء من جهة البحر .

وهكذا سيطر الصليبيون على جميع الموانىء التي تقع على ساحل البحر الابيض المتوسط عدا مينائي صور وعسقلان اللذين مازالا لحد الآن تابعين للخلافة الفاطمية وهي آخر المعاقل الاسلامية على هذا الساحل .

موقف ميناء صور

تقع مدينة صور في شبه جزيرة لايربطها بالبر الاّ برزخ ضيق اصطناعي وكانت استحكامات المدينة واسوارها مشيدة بصورة جيدة وقوية ، الا ان هذا الموقع الحصين ينقصه مياه الشرب التي كانت تأتي المدينة بواسطة ساقية ممتدة من البر ولم تتيسر الابار داخل المدينة وعندما وصلت القوات الصليبية وحاصرت المدينة قطعت هذه الساقية ومنعت الماء عنها في اليوم التالي لوصولها ومن ناحية اخرى هطلت الامطار وملأت جميع الصهاريج الموجودة داخل المدينة[٤] .

وبالنظر لضعف الموقف في شمال بلاد الشام وعدم وجود قوة اسلامية كبيرة تقف بوجه الصليبيين فقد قرر الصليبيون محاصرة ميناء صور واحتلاله باي شكل من الاشكال رداً على اسر الملك بولدوين الثاني من قبل الامير بلك بن بهرام الارتقي . وقد قام الصليبيون بمحاصرة ميناء صور عدة مرات الاّ انهم لم يتمكنوا منه ففي عام ٥٠٦ هجرية وحين لم تتمكن الخلافة الفاطمية من تقديم المساعدة اللازمة لانقاذ الميناء من السقوط بايدي الصليبيين اضطر سكانه الى الاتصال بطفتكين اتابك دمشق وطلبوا منه ان يرسل لهم والياً مع قوة لتحميهم من الصليبيين فقام طفتكين بتشكيل قوة بقيادة الامير سعود الذي وصفه ابن الاثير بانه كان « شهماً وشجاعاً وعارفاً بالحرب ومكايدها »[٥] . وقد تمكن هذا القائد من الدخول الى المدينة والدفاع عنها وقهر الصليبيين وطردهم ن حولها فاصبحت مدينة صور تحكم من قبل طفتكين اتابك دمشق الذي كتب الى الوزير المصري الافضل يعلمه بان خطوته ماهي الاّ لحماية المدينة من الصليبيين وسوف يقوم بتسليمها لمن يرسله اميراً عليها ويطلب اليه معاونة الاسطول المصري في ادامة المدينة واسنادها ادارياً وحربياً[٦] .

استمر الامير سعود الذي كان يهابه الصليبيون فلم يجسروا على مهاجمة ميناء صور طيلة مدة وجوده على رأس حاميتها كما ان العلاقات بين مصر ودمشق سارت بشكل ودي حتى عام ٥١٦ هجرية ـ ١١٢١ ميلادية حيث قتل الوزير الافضل فاراد الخليفة الفاطمي الآمر باحكام الله ان يستعيد سيطرته على الميناء فارسل في عام ٥١٧ هجرية

اسطولاً اليه لمساعدته وايصال المؤونة الى اهله وقد زود قائد الاسطول بتعليمات تقضي بمجاملة الامير مسعود حاكم المدينة والقبض عليه وارساله الى مصر والسيطرة على المدينة وقد تم فعلاً القبض على الامير مسعود بعد عودته لتفقد السفن وارسل الى مصر حيث لقي من الحفاوة الشيء الكثير ثم ارسل الى دمشق وقد اعيدت سيطرت الخليفة على مدينة صور[٧] ، وقام الخليفة بارسال والٍ جديد من قبله بتولي امر المدينة . وبعد وصول اخبار ابعاد الامير مسعود عن مدينة صور الى الصليبيين تحرك طمعهم فيها وشرعوا يحشدون قواتهم لاحتلالها[٨] .

قام الوالي المصري باخبار الخليفة الفاطمي بتأهب الصليبيين لمحاصرة مدنية صور حالما وردته وقد اخبره بان الحامية المصرية الموجودة في المدينة ضعيفة ولاتتمكن من المحافظة عليها اضافة الى قلة مواد التموين والاعاشة المتيسرة لديه ، وبعد تقدير الموقف من قبل الخليفة الفاطمي رأى عدم تمكنه من مساعدة الوالي لمعالجة الموقف ورأى ان احسن وسيلة للحفاظ عليها هي اعادة سيطرة طفتكين اتابك دمشق عليها فكاتبه بذلك فقام طفتكين بارسال قوة سريعة الى المدينة ورتب امورها بالشكل الذي اعتقد فيه الكفاية لصمودها[٩] .

تقدمت القوات الصليبية وعسكرت في البساتين التي يتصل بها البرزخ الذي يربط المدينة بالبر وقطعوا ساقية الماء عنها وقد شارك اسطول بندقي في الحصار حيث رست سفنه عند الساحل وكان يرابط قسم منها في البحر لمنع وصول السفن المصرية اليها . اتم الصليبيون حصار المدينة في ربيع الاول عام ٥١٨ هجرية ـ بداية ربيع عام ١١٢٤ ميلادية وقد استمر الحصار الربيع كله واوائل الصيف وكان الصليبيون يقذفون اسوار المدينة بالمنجنيقات طيلة هذه الفترة وقد اشتد القتال واستمر المدافعون الذين تجهزوا بوسائل الدفاع اللازمة لمواجهة العمليات الهجومية واستبسلوا في الدفاع عن مدينتهم وكان املهم كبيراً في القوات الاسلامية التي ستأتي لفك الحصار عنهم[١] .

اشتد الموقف على مدينة صور فطلبت من طفتكين المساعدة فقام هذا على رأس قواته بحركة الغرض منها سحب القوات الصليبية من حول المدينة وقد طلب من الخليفة

الفاطمي القيام بما يأتي :ـ

١ ـ تقديم الاسطول المصري الى ميناء صور لمهاجمة الاسطول البندقي الموجود في الميناء وتوقيت ذلك مع الهجوم البري الذي كان طفتكين ينوي شنه على الصليبيين .

٢ ـ ارسال قوة مصرية برية لتهاجم المناطق الصليبية في جنوب فلسطين وتجعل من اهدافها مدينة القدس او ميناء يافا .

تقدم طفتكين بقواته الى بانياس واخذ ينتظر هناك فلم يظهر الاسطول المصري وقد شكل الصليبيون قوة بقيادة الامير بونز كونت طرابلس ارسلت لمواجهة قوات طفتكين ومنعها من التقدم الى مدينة صور وعندما اقتربت من مدينة بانياس لم تتحرك قوات طفتكين لمهاجمتها(١١) . اما بالنسبة للقوات المصرية البرية التي طلب طفتكين قيامها بمهاجمة المناطق الجنوبية من ارض فلسطين فقد اقتصرت على فعاليات خفيفة قامت بها حامية عسقلان الضعيفة التي قامت بغارات على منطقة بيت المقدس لجلب نظر الصليبيين اليها الا انها لم تعط اي نتيجة تذكر .

وعندما باءت جميع المحاولات التي قامت بها القوات المحلية لفك الحصار عن مدينة صور بالفشل وورود نبأ مقتل الامير بلك بن بهرام الارتقي الذي كان يتأهب للقدوم الى مدينة صور وطرد الصليبيين من حولها فضاعت بموته كل الآمال في تخليص المدينة وبعد ان ساء الموقف الاداري والحربي داخل المدينة قدر طفتكين اتابك دمشق الموقف فرأى عدم امكان تخليص المدينة من السقوط بايدي الصليبيين اخذ يحاول مفاوضتهم لتسليم المدينة اليهم على ان يعطوا مواثيق الامان لاهلها وحاميتها وقد تم الاتفاق بين الطرفين على فتح ابواب المدينة لمن يريد ان يخرج منها من المسلمين وهكذا سلمت مدينة صور للصليبيين يوم ٢٣ جمادي الاولى عام ٥١٨ هجرية ٧ تموز عام ١١٢٤ ميلادية(١٢) وبسقوطها فقد المسلمون آخر معاقلهم على ساحل البحر الابيض المتوسط فسيطر الصليبيون على جميع الساحل وادى استيلاؤهم عليه الى تدعيم موقفهم في الشرق فقد كان هذا الميناء من احسن وامنع الحصون شرق البحر الابيض المتوسط وقد اهتم

الصليبيون كثيراً بتحصينه واعداده ليكون ملاذاً لهم عند الملمات .

اما بالنسبة لمدينة حلب التي كانت من املاك بلك بن بهرام الارتقي الذي كان آخر من قاد حركة الجهاد الاسلامية من الاراتقة وكان الامير تمرتاش بن ايلغازي ابن عمه في معيته عند ما قتل وهو يحاصر مدينة منبج فحمل جثته واتى بها مدينة حلب في ربيع اول عام ٥١٨ هجرية فدخل المدينة واستولى عليها ثم عاد الى ماردين بعد ان رتب الامور في مدينة حلب وعين نائباً عنه فيها ليبتعد عن مشاكل بلاد الشام[١٢] .

. ساحة الحركات الشمالية

استمرار عمليات الجهاد

بعد مقتل الامير بلك بن بهرام اخذت حركة الجهاد الاسلامية في شمال بلاد الشام تسير باتجاه مغاير لما كانت عليه في الفترة السابقة فقد تهيأت الظروف المناسبة والشخصيات القوية التي اخذت تفكر بحركة الوحدة المحلية كوسيلة لمواجهة الحركة الصليبية التي كانت من اولى اهدافها تجزئة العالم العربي وذلك بفصل مشرقه عن مغربه لامكان السيطرة عليه بسهولة .

كانت مدينة حلب تشكل الهدف السوقي الخطير خلال هذه الفترة للحركة الصليبية وقد حاول الصليبيون مرات عديدة السيطرة عليها وتأسيس امارة صليبية فيها الا انه على الرغم من ضعف السطلات التي تعاقبت على حكم هذه المدينة العربية لم تتمكن من فتحها وفرض سيطرتها عليها وذلك للاسباب الاتية :ـ

١ ـ شجاعة اهالي مدينة حلب الذين كانوا يبذلون ارواحهم واموالهم في الدفاع عن مدينتهم واستبسالهم في جميع حركات الحصار التي تعرضت لها المدينة وصبرهم علي تحمل مشاكل الحصار .

٢ ـ حركات الجهاد التي كانت تنطلق من امارات شمال العراق وبصوة خاصة من امارة الموصل التي كانت تعدّ القاعدة الامامية للقوات الاسلامية التابعة لسلطنة السلاجقة في بغداد كلما تأزم الموقف في مدينة حلب ، فقد كانت هذه السلطنة تسير قواتها باسرع وقت لضرب القوات الصليبية ودفع اذاها عن مدينة حلب .

كان لهذه العوامل اثار كبيرة في التفكير بضرورة قيام وحدة بين امارة الموصل التي سميت فيما بعد باتابكية الموصل وامارة حلب وقد قربت وحدة المصير بين هاتين الامارتين ومعظم امارات بلاد الشام فيما بعد والتي كانت ترى في القوات التي تنطلق من مدينة الموصل الملاذ الاخير لها ضد القوات الصليبية التي كانت تحاول فرض سيطرتها على بلاد الشام وعلى هذا الاساس فقد اخذت الامور تسير نحو التقارب بين امارتي حلب والموصل كما سنرى .

كان الامير غرتاش بن ايلغازي صاحب حلب يميل بطبعه الى الدعة والهدوء والكسل فبعد ان رتب الامور في مدينة حلب رأى بمحدودية تفكيره ان يترك ساحة حركات بلاد الشام لكثرة مشاكلها وهروباً من الجهاد وتوجه الى مدينة ماردين وقد تصور ان هذه المدينة بعيدة عن مشاكل القتال والحرب وتؤمن له حياة الهدوء التي كان ينشدها ونسي ان مدينة حلب هي مفتاح تقدم الاعداء الى امارة الجزيرة والموصل ولو تمكن الصليبيون من السيطرة على مدينة حلب فستكون امارة ماردين وغيرها تحت سنابك خيولهم ولأصبحت امارة ماردين في مواجهة الصليبيين من الشمال والغرب وبذلك فانها ستفقد الامان الذي كان ينشده ولاصبحت هذه الامارة من ضمن ساحة حركات بلاد الشام .

حصار مدينة حلب عام ٥١٩ هجرية

قبل مقتل الامير بلك بن بهرام الارتقي نقل الملك بولدوين الثاني ملك مملكة بيت المقدس الصليبية والذي كان اسيراً في قلعة حران الى قلعة حلب ، وخلال هذه الفترة قام امير شيزر ابو العساكر سلطان بن منقذ[٤٤] بالوساطة لدى الامير غرتاش حول اطلاق سراح الملك الاسير مقابل فدية تبلغ ثمانين الف دينار يدفع منها عشرون الفاً مقدماً وقد تعهد الملك بولدوين الثاني باعادة حصون عزاز والارثاب وزردنا والحزر وكفرطاب الى امارة حلب بوصفه وصياً على امارة انطاكية ، كما انه تعهد بمساعدة الامير تمرتاش في القضاء على دنبيس بن صدقة الذي استقر بامارة الجزيرة[٤٤] . وبعد ان تم الاتفاق على وضع عدد من الرهائن شفي امارة شيزر لحين تنفيذ الشروط المتفق عليها ارسل الملك الاسير الى قلعة شيزر وبعد ان وصلت الرهائن الى قلعة شيزر ارسل الملك الى مدينة

انطاكية وذلك في اواخر شهر آب من عام ١١٢٤ ميلادية . وبعد ان وصل الملك الى مدينة انطاكية واصبح طليقاً تنكر لكل العهود التي قطعها على نفسه للامير تمرتاش تحت شعار « لاعهد لمسلم »[١٦] ومن ناحية اخرى فان الامير تمرتاش لم يشتد في المطالبة بما اتفق عليه مع الملك بولدوين الثاني خوفاً على ماتبقى من الفدية فقد تسامح على الرغم منه عن معظم الشروط التي اتفق عليها في سبيل الحصول على المال .

كان من جملة ما اتفق عليه تمرتاش هذا مع الملك بولدوين الثاني مساعدته في القضاء على دبيس من صدقة امير الحلة[١٧] الذي هرب بعد المعركة التي خاضها ضد الخليفة العباسي جنوب بغداد وقد وصل الى قلعة جعبر[١٨] وبعد ان يئس من مساندة القبائل العربية له اخذ يراسل الصليبيين ويسعى لمحالفتهم[١٩] . فقد استقبل الملك بولدوين الثاني سفارة منه بعد الهزيمة التي مني بها بدافع من مصالحه الشخصية وكرهه لسلطنة السلاجقة والخلافة العباسية[٢٠] .

عرضت سفارة دبيسي هذه على الملك بولدوين الثاني مشروع اتفاق بينهما لمهاجمة مدينة حلب وذلك باعتماده على قسم من اهالي مدنية حلب الذين حسب ادعائه الكاذب يؤيدونه مذهبياً وسيساعدونه في السيطرة على المدينة[٢١]. وقد تمكن الصليبيون مرة اخرى من خدع دبيس هذا بوعدهم له بانهم سيمنحونه مدينة حلب بعد فتحها والسيطرة عليها كما تمكنوا من قبل من خدع الخلافة الفاطمية عند اول تقدمهم واخفاء حقيقة اهدافهم عنها ، وقد التحق بالصليبيين خلال هذه الفترة خائن آخر ممن كانوا يطالبون بمدينة حلب هو سلطان شاه بن الملك رضوان وهكذا فقد تألفت جبهة اسلامية تخدم اهداف الصليبيين من خلال اغراضها الخاصة وقد تمكن الصليبيون من توجه هذه الجبهة ضد امارة تمرتاش الارتقي .

تجمعت القوات الصليبية واحلافها من الخونة حول مدينة حلب عام ٥١٩ هجرية - تشرين اول عام ١٢٤ ميلادية وقد قررت قيادات هذه القوات عدم الانسحاب من حول مدينة حلب الّا بعد احتلالها والسيطرة عليها وقد اتخذت من التدابير الادارية مايساعدها على البقاء حول المدينة والتغلب على احوال المناخ من حر وبرد .

بقي الامير تمرتاش الذي كانت مدينة حلب تابعة لامارته قابعاً في ماردين ولم يقم باي فعالية تطمئن سكان مدينة حلب وتقوي نفوسهم في الصمود والدفاع عنها حتى قلت الاقوات عندهم واشرف الناس على الهلاك[٣٢] . وعندما لم يجدوا من اميرهم تمرتاش اهتماماً لمساعدتهم بعد ان زاره وفدهم فقد رأى هذا الوفد ان لا امل لهم في الخلاص من الاحتلال الصليبي على يدي تمرتاش ولذلك توجه وفد مدينة حلب بعد تركه مدينة ماردين الى مدينة الموصل وعرضوا امر مدينتهم على اتابكها آق سنقر البرسقي الذي كان الى جانب حبه للجهاد يجمع كرهه للاراتقة[٣٣] .

هوامش الفصل الثامن

١ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٥٠٢

٢ ـ ينبا ـ قرية على الطريق بين يافا وعسقلان وهي قريبة من الرملة .

٣ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٥٠٢

٤ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٧٠

٥ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣١٥

٦ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٦٩

٧ ـ المرجع السابق ٢/٢٧٠

٨ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢١١

٩ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٢١٦

ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ٨/٢١٦

١٠ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٧١

١١ ـ المرجع السابق ٢/٢٧١

١٢ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢١١

١٣ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣١٥

١٤ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٥٠٩

١٥ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٧٣

١٦ ـ د. حسين مؤنس ـ نور الدين محمود / ١٤٣

ـ شاكر احمد ابوبد ـ الحروب الصليبية والاسرة الزنكية / ٤٧

١٧ ـ الحلة ـ مدينة عراقية تقع جنوب غرب بغداد بمسافة مائة كيلومتر وهي مركز محافظة بابل

١٨ ـ قلعة جعبر ـ تقع على نهر الفرات بين الرقة وبالس

١٩ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣١١

٢٠ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٧٥

٢١ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٥١٠

ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣١٦

٢٢ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢١٢

٢٣ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٧٥

الفصل التاسع

دور امارة الموصل في الجهاد

كانت امارة الموصل من امارات سلطنة السلاجقة الواسعة والغنية وكان لهذه الامارة دور فعال في مقاومة الحركة الصليبية منذ وصولها الى بلاد الشام وقد جاءت اهمية هذه الامارة وفي هذه الفترة بالذات من كونها تحادد امارة الرها الصليبية من الشرق والجنوب اولاً وكونها من السعة بحيث تمتد جنوباً حتى تصل حدودها شمال مدينة بغداد[1] . ولاهمية هذه الامارة فقد كانت سلطنة السلاجقة تختار من رجالها الذين تعينهم ولاة على الموصل بمواصفات خاصة تؤهله لتسلم المسؤولية في هذه الامارة المهمة وقد اعتبرت هذه الامارة القاعدة الامامية لجيوش السلاجقة التي انطلقت منها لمحاربة الصليبيين في بلاد الشام .

وبالنظر لموقف هذه الامارة من حركة الجهاد الاسلامية فان توليه الامير آق سنقر البرسقي في هذا الوقت يعتبر الحد الفاصل بين فترتين من فترات حركة الجهاد الاسلامية ضد الصليبيين . فالى هذا الوقت كانت هذه الامارة تعتبر قاعدة متقدمة لانطلاق الجيوش الاسلامية التي كان أمر حركتها يصدر عن سلطان السلاجقة في بغداد ، اما بعد هذه الفترة فقد تغير الموقف وانتقلت مسؤولية الجهاد الى هذه الامارة بصورة تدريجية حتى اصبحت بعد فترة قصيرة من تولية الامير آق‌سنقر البرسقي عليها اتابكية مستقلة تقود حركة الجهاد وحركة الوحدة من بعدها ضد الغزو الصليبي .

" كان آق سنقر البرسقي خلال عام ٥١٨ هجرية يشتغل منصب شحنكية العراق وقد تضافرت جهود الخليفة العباسي المسترشد بالله مع ضرورة وجود قائد كفوء شجاع في الموصل الى نقله الى امارة الموصل من قبل السلطان محمد سلطان سلاجقة فارس الذي كان في هذا الوقت باصبهان وقد ارسل الى البرسقي يامره بالسفر الى الموصل وتولي الامر فيها وكلفه بقيادة حركة الجهاد ضد الصليبيين [2] وكان ذلك في اواخر عام ٥١٨ هجرية ١١٢٤ ميلادية[3] .

بعد وصول الامير آق سنقر البرسقي الى مدينة الموصل اخذ يعد العدة وتهيئة نفسه وجنده للجهاد وخلال هذه الفترة وصل وفد اهل حلب الذي سبق ان واجه تمرتاش الارتقي في ماردين ولم يصل معه الى نتيجة لنجدة مدينة حلب وانقاذها من الحصار الصليبي الذي كان مضروباً عليها ، وبعد قيامه بعرض موقف المدينة على الامير آق

سفر اسرع في تلبية طلبهم فشكل قوة سريعة الحركة سيرها فوراً مع الوفد لتسلم المدينة والدفاع عنها وتقوية معنويات سكانها ريثما تتم حركة قواته الرئيسية وعند وصول هذه القوة الى مدينة حلب تمكنت من الدخول اليها وتسلمت قلعتها وتحصنت بها واستلمت واجب الدفاع عنها واخذت تنتظر وصول القوات الرئيسية التي تقدمت فوراً من الموصل بقيادة الامير آق سنقر البوسقي(٤) .

بعد اقتراب آق سنقر من مدينة حلب ارسل طلبات الى كل من خير خان امير حمص وطفتكين اتابك دمشق يطلب منهما الالتحاق به مع قواتهما فوراً لمساعدته في دفع الصليبيين عن مدينة حلب . الا انه بعد وصول القوات الاسلامية الى مدينة حلب انهار التحالف الصليبي مع دبيس بن صدقة وقبل ان تصطدم القوتان انسحبت القوات الصليبية الى حصن الاثارب واما قوات دبيس بن صدقة فقد انسحبت نحو الشرق(٥) ودخلت قوات آق سنقر مدينة حلب في ذي الحجة من عام ٥١٨ هجرية ـ نهاية كانون ثاني عام ١١٢٥ ميلادية(٦) .

انسحبت القوات الصليبية بعد تركها مدينة حلب الى مدينة انطاكية ومنها تفرقت كل الى امارته فقد توجه الملك بولدوين الثاني الى بيت المقدس وكان هذا الملك الصليبي يرى في آق سنقر البرسقي الخطر الحقيقي الذي يهدد الوجود الصليبي في الشرق وبصورة خاصة بعد ان تمكن من توحيد امارتي الموصل وحلب وقد رأى ان هذا القائد المسلم لديه صفات القيادة ماسيجعله قادراً على توحيد بلاد الشام والسيطرة عليها وفي هذا يكمن الخطر على الامارات الصليبية في الشرق(٧) ، هذا من ناحية وان قدرة الامير آق سنقر على كسب ثقة السلطان محمود سلطان سلاجقة فارس جعل امراء بلاد الشام من امثال طفتكين اتابك دمشق وخير خان حمص يخضعون له .

عمليات آق سنقر البرسقي في بلاد الشام
عام ٥١٩ هجرية ـ ١١٢٥ ميلادية

بعد ان استقرت الامور في مدينة حلب تقدمت القوات الاسلامية بقيادة آق سنقر الى امارة شيزر فرحب بها اميرها سلطان بن منقذ وسلم الرهائن الصليبيين الذين كان يحتفظ بهم بموجب الاتفاق الذي عقد بين تمرتاش الارتقي والملك بودين الثاني بعد

اطلاق سراحه من الاسر الى اق سنقر ، ثم تقدمت القوات الاسلاميه بعد ذلك باتجاه كفرطاب فحاصرتها[٨] . وتحت ازدياد ضغط المسلمين على امارة انطاكية الصليبية التي كانت تحت وصاية الملك بولدوين الثاني طلبت هذه الامارة مساعدته لدفع الخطر الاسلامي عنها فاسرع على رأس قواته بالحركة الى الشمال وعند مروه بامارة طرابلس انضمت قواتها اليه وقد التحقت قوات امارة الرها ببقية القوات الصليبية التي تحشدت في مدينة انطاكية .

تقدير القوات

١ ـ تألفت القوات الاسلامية من : ـ

آ ـ قوات الامير آق سنقر البرسقي ـ وتقدر بين السبعة الآف والعشرة الآف مقاتل .

ب ـ قوات امارة دمشق ـ وتقدر بين الخمسة الآف والسبعة الآف

ج ـ قوات امارة حمص ـ وتقدر بين الالفين والثلاثة الآف مقاتل

٢ ـ جرى تقدير القوات حسب امكانيات الامارات التي تعود اليها وبذلك فان مجموع القوات الاسلامية يكون بين اربعة عشر الف والعشرين الف مقاتل[٩]

٣ ـ تألفت القوات الصليبية من :ـ

آ ـ قوات مملكة بيت المقدس الصليبية ـ وتقدر بين العشرة الآف والخمسة عشر الف مقاتل

ب ـ قوات امارة انطاكية الصليبية ـ وتقدر بين الخمسة الاف والسبعة الاف مقاتل .

ج ـ قوات امارة طرابلس الصليبية ـ وتقدر بين الخمسة الآف والسبعة الآف مقاتل

د ـ قوات امارة الرها الصليبية ـ وتقدر بين الثلاثة الآف والخمسة الآف مقاتل

٤ ـ وعلى هذا الاساس فان تقدير القوات الصليبية يكون بين الخمسة والعشرون الف والثلاثين الف مقاتل حسب امكانيات الامارات الصليبية ولو فرضنا ان ثلث امكانيات الامارات الصليبية يبقى للحماية المحلية فيكون تقدير القوات

التي تم تحشدها في مدينة انطاكية تقرب من العشرين الف مقاتل[١٠] .

٥ ـ ان تقدير رنسيمان المذكور ادناه في الهامش (١٠) لايتناسب مع واقع القوات الصليبية التي تحشدت في مدينة انطاكية والتي تنتمي لاربع امارات واذا علمنا ان الملك بولدوين الثاني كان يعتبر الامير آق سنقر عدوه الخطير فليس من المعقول ان يدخل معه معركة تتفوق فيها قوات عدوه اللدود بنسبة كبيرة اي بنسبة ١/٧ وعليه فان القوات الصليبية كانت لاتقلّ عدداً عن القوات الاسلامية ان لم تكن متفوقة عليها بنسبة لا ضئيلة .

تركت القوات الاسلامية محاصرة زردنا واتجهت نحو حصن عزاز الذي كان تابعاً لامارة الرها الصليبية وبذلك اجبرت القوات الصليبية على الحركة الى هذا الحصن وبعد ان وصلت المنطقة دارت معركة عنيفة بينها بين القوات الاسلامية ٥١٩ هجرية ـ آخر شهر مايس عام ١١٢٥ ميلادية كانت الغلبة فيها للقوات الصليبية التي تمكنت من دحر وهزيمة القوات الاسلامية التي تركت اثقالها وهربت باتجاه مدنية حلب وكانت خسائر المسلمين كبيرة بالاموال والارواح حيث بلغ عدد القتلى اكثر من الف قتيل[١١] .

وبعد هذه المعركة عقدت هدنة بين آق سنقر والملك بولدوين الثاني احتفظ بموجبها المسلمون بكفر طاب التي سلمت الى خيرخان امير حمص ودفع الملك بقية الفدية التي سبق ان اتفق عليها فمنح تمرتاش الارتقي الى الامير آق سنقر وقد تسلم الرهائن الذين كانوا عنده[١٢] . وبعد عقد هذه الهدنة قام الامير آق سنقر بترتيب امور مدينة حلب وبعد ان ترك فيها حامية قوية للدفاع عنها ورتب عليها ابنه مسعود عاد الى الموصل ليقوم بجمع القوات ويهيء نفسه للعودة الى بلاد الشام لمواصلة الجهاد مجدداً .

اما بالنسبة للقوات الصليبية فقد عاد الملك بولدوين الثاني الى مدينة القدس وعاد بقية الامراء كل الى امارته وقد قرر الملك بولدوين الثاني بعد عودته الى القدس القيام بغارة على منطقة دمشق خلال صيف عام ١١٢٥ ميلادية ـ ٥١٩ هجرية وقد سبق ذلك ان قام بمظاهرة عسكرية امام مدينة عسقلان ثم بعد ذلك تقدمت القوات الصليبية وتحشدت، قرب طبرية وكان هدفها ناحية حوران وشرعت تشن عليها الغارات[١٣] . وبعد ان وردت الاخبار الى دمشق بتحشد القوات الصليبية وتأهبها لمهاجمة امارة دمشق وان هدفها في

هذه الحركة هو مدينة دمشق نفسها[١٤] ، قام طغتكين اتابك دمشق بدعوة للجهاد فاصبحت لديه قوات كبيرة تقدم على رأسها ونزل مرج الصفر الواقعة على بعد عشرين ميلاً جنوب غرب مدينة دمشق[١٥] .

ثم تقدمت القوات الصليبية المتحشدة عند طبرية الى هذه المنطقة وعسكرت امام القوات الاسلامية ، وفي يوم ٢٧ ذي الحجة عام ٥١٩ هجرية - ٢٥ كانون ثاني عام ١١٢٦ ميلادية وبعد ان قامت القوات الصليبية ببعض الحركات االاستطلاعية الخفيفة قدر الصليبيون انهم لا يستطيعون مواجهة القوات الاسلامية المتفوقة عليهم وقد تأكد لهم ذلك بعد قيام قوات اسلامية بغارة على اطراف المعسكر الصليبي حققت بها نتائج جيدة فقررت القيادة الصليبية الانسحاب الى داخل مناطقهم فطاردتهم القوات الاسلامية وتمكنت من مؤخرتهم وقد اصبح موقفهم حرجاً بعد تعرضهم لمضايقات القوات الاسلامية ولكي تتخلص من هذا الموقف قامت القيادة الصليبية باعادة تنظيم قواتها ثم شنت هجوماً مفاجئاً على القوات الاسلامية التي كانت تعقبها وكان هجوماً ناجحاً قلب موقف القوات الاسلامية من حالة المطاردة الى الهزيمة وهكذا تبدل الموقف فاصبحت القوات الاسلامية هي المهزومة والقوات الصليبية تطاردها حتى اوصلتها قريباً من دمشق ثم عادت الى بيت المقدس[١٦] . وبعد وصول القوات الاسلامية مدينة دمشق اعادت تنظيم موقفها وقرر قائدها طغتكين معاودة الهجوم على القوات الصليبية في اليوم التالي وعندما تقدمت هذه القوات اكتشفت ان القوات الصليبية انسحبت الى داخل مناطقها .

وخلال عام ٥١٩ هجرية - اذار ١١٢٦ ميلادية قامت قوات امارة طرابلس الصليبية بمهاجمة حصن الذي كان تابعاً لحكم امارة دمشق وقد استنجد بالملك بولدوين الثاني الذي سارع لنجدته قبل ان تنهض القوات الاسلامية لمساعدة الحصن المذكور وبعد حصار دام ثمانية عشر يوماً استسلم الحصن للقوات الصليبية[١٧] .

ساحة الحركات الجنوبية

اما بالنسبة لساحة الحركات الجنوبية فلم تظهر فيها الخلافة الفاطمية فعاليات

خلال هذه الفترة عدا ما قامت به من اعادة بناء الاسطول المصري الذي قام في خريف عام ١١٢٦ ميلادية بمظاهرة بحرية حيث اقلع من ميناء الاسكندرية ودمياط في محاولة لمهاجمة الموانىء الصليبية الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط وقد مرّ امام مونىء يافا وقيسارية وعكا وصور وصيدا ثم توجه الى ميناء بيروت فاصطدم هنا بالحامية الصليبية وقد اوقعت فيه خسائر كبيـرة . وبعد ان اكتشف قـوة الحاميات الصليبية في هذه الموانىء انسحب الى مصر[٨] .

وفي الوقت الذي كان فيه الاسطول المصري قريباً من سواحل بلاد الشام قام آق سنقر البرسقي بالتقدم نحو بلاد الشام وعبر الفرات عن طريق منبج ثم توجه نحو حصن الاثارب فحاصره وقد ادت حركته هذه الى تحشد القوات الصليبية بقيادة الملك بولدوين الثاني في مدينة انطاكية مرة اخرى ولم تأبه بحركات الاسطول المصري ، وقد عرض الملك بولدوين الثاني الصلح على آق سنقر مقابل منحه حصن رفنية فوافق البرسقي ورفع الحصار عن حصن الاثارب وتجددت الهدنة فيما بينهما وعادت قوات البرسقي الى مدينة الموصل[١٩] .

وبعد وصول الامير آق سنقر البرسقي وفي اليوم الثامن من شهر ذي القعدة عام ٥٢٠ هجرية ـ ٢٦ تشرين الثاني ١١٢٦ ميلادية اغتيل على يد جماعة من الباطنية[٢٠] وبهذه الجريمة انطوت حياة بطل من ابطال الجهاد الاسلامي الذي كان يرى فيه العدو الخطر الحقيقي على وجوده في الشرق .

وتـولى الامر بعـد البرسقي ابنــه عز الدين مسعـود الذي انتقل من حلب الى الموصل ، وقد سادت الفوضى بعد مقتل البرسقي في بلاد الشام وظهرت المنازعات بين امرائها وتغلبت المصالح الشخصية على مصلحة البلاد العامة ، وقد تولى الامر في مدينة حلب عدة شخصيات لم تظهر في عهودهم اية فعالية في حقل الجهاد ضد الصليبيين وقد انطوت بموت هذا المجاهد صفحة مهمة من صفحات استمرار الجهاد ضد الصليبيين وكان لهذه الصفحة الاثر الكبير في تهيئة الموقف للصفحة القادمة التي كانت بداية النهاية للوجود الصليبي في البلاد العربية .

هوامش الفصل التاسع

١ ـ شاكر احمد ابو بد ـ الحروب الصليبية والاسرة الزنكية / ٤٨
٢ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٣١٦
٣ ـ حسين مؤنس نور الدين محمود / ١٤٤
ابن الاثير ـ الباهر ـ وقد اورد تعيينه في صفر عام ٥١٥ هجرية
٤ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨ /٣١٧
ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق /٢١٢
٥ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٧٦
٦ ـ انتوني ويست ـ الحروب الصليبية هامش صفحة ٨١
٧ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٥١١
٨ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٣١٨
٩ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٥١٢
١٠ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٧٧ فقد ذكر تقديراً غريباً للقوات الصليبية حيث قدرها بالف ومائتي فارس والفين من المشاة وهذا شان المصادر الغربية .
١١ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/٣١٨
١٢ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٥١٣
١٣ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق /٢١٢
١٤ ـ المصدر السابق / ٢١٣
١٥ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٧٨
١٦ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق /٢١٣
١٧ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٧٩
١٨ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٥١٥
١٩ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٨٠
٢٠ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر /٣١
ـ د. حسين مؤنس ـ نور الدين محمود / ١٤٦
ابن الاثير ـ الكامل ٨/٣٢٠

الفصل العاشر

ظهور عماد الدين زنكي واستلامه مسؤولية الجهاد

انتهت بوفاة آق سنقر البرسقي الفترة الاولى من مرحلة الجهاد والتي كانت الغاية منها تعجيز الصليبيين والتي ابتدأت بولاية الامير مودود عام ٥٠٣ هجرية وقد استمرت حتى مقتل الامير آق سنقر البرسقي عام ٥٢٠ هجرية . اما الفترة الثانية من عمليات الجهاد فهي التي بدأت بتسلم عماد الدين زنكي مسؤولية الحكم في اتابكية الموصل واسناد واجب الجهاد له . وقد اختلفت هذه الفترة عن سابقتها بميزتين هما :ـ

١ ـ قام الامير عماد الدين زنكي بتوسيع حركات الجهاد .

٢ ـ اضاف الى هدف الجهاد المستمر هدفاً سوقياً آخر فقد رأى بثاقب بصره وحسن تفكيره انه لايمكن القضاء على الصليبيين بمصادره الحالية وبقاء بلاد الشام على ما كانت عليه من التجزئة والتفكك ، فقد رأى توحيد بلاد الشام مع امارتي الموصل والجزيرة على اقل تقدير يجب ان يعتبر الهدف السوقي المهم قبل التفكير في القضاء على الصليبيين قضاءاً تاماً[١] .

وعلى هذا الاساس ظهرت فكرة الوحدة بين امارات الموصل والجزيرة من جهة وامارات بلاد الشام من جهة اخرى ثم تطورت هذه الفكرة بعدئذ حتى شملت ضرورة الوحدة مع مصر الى جانب استمرار الجهاد وعدم التراخي فيه .

موقف امارة الموصل قبل تعيين زنكي لها

اصاب حركة الجهاد بعد مقتل آق سنقر البرسقي بعض الفتور فقد انتقل حكم مدينة حلب الى ابنه عز الدين مسعود الذي لم يكن يشبه اباه في تحمله مسؤولية الجهاد وقد ترك مدينة حلب وانتقل الى الموصل لانه اصبح اتابكاً لها[٢] وقد عين وكيلاً له في مدينة حلب . وبعد ان استقر الموقف للامير عز الدين مسعود في الموصل وماجاورها وقويت شوكته اراد ان يضم بلاد الشام الى امارته فتقدم عام ٥١٢ هجرية بقواته من الموصل وعبر الفرات.وكان هدفه مدينة الرحبة الواقعة على نهر الفرات جنوب مدينة الرقة فحاصرها . وهنا اصيب بمرض حاد ادى الى وفاته بعد ساعة من استسلام مدينة الرحبة له فتفرقت قواته[٣] .

قام على الامر في مدينة الموصل بعد الامير عز الدين اخ له صغير الّا ان الذي كان يدبر الامر خلال هذه الفترة المدعو جادلي الذي كان احد مماليك البرسقي[٤] ، قام جادلي هذا بارسال وفد الى بغداد لمقابلة السلطان محمود يطلب منه الموافقة على تولية اخي الامير عز الدين مسعود على امارة الموصل الا ان السلطان محمود امر بتعيين عماد الدين زنكي اتابكاً لامارة الموصل لما كان يعلمه فيه من عقل راجح وكفاءة وأمره بالحركة الى الموصل فوراً وذلك في ربيع الثاني من عام ٥٢١ هجرية ١١٢٧ ميلادية[٥] .

تقدم عماد الدين زنكي باتجاه الموصل وكان في نفسه خيفة من جاولي فجعل مرحلته الاولى قرية البوازيج[٦] ليتخذها قاعدة امامية له فيما اذا صده جاولي عن الموصل ينسحب اليها لاتخاذ الموقف اللازم الّا ان ضعف موقف جاولي اجبره على الخروج من المدينة لاستقبال عماد الدين زنكي والدخول في خدمته ودخل مدينة الموصل خلال شهر رمضان من عام ٥٢٢ هجرية[٧] وقد قام باول خطوة مهمة اذ اسند مناصب الحكم لرجالاته الاكفاء فولى نصير الدين دزدارية قلعة الموصل وفوض اليه امر الولاية وجعل الدزدارية في قلاع البلاد لنصير الدين ايضاً وجعل صلاح الدين الياغسياني امير حاجب وجعل بهاءَ الدين قاضيَ قضاة بلاده جميعها ومايفتحه من البلاد[٨] .

امارة حلب

انتقل امر مدينة حلب بعد وفاة الامير مسعود الى المدعو قتلغ أبه[٩] وذلك في ٢٤ جمادي الاخرة عام ٥٢١ هجرية فاشتد اذاه على اهالي المدينة واخذ يصادر اموالهم ويجمع الاشرار من حوله فساءت الاحوال في مدينة حلب وعمّ التذمر وانتشرت الفوضى وضعف موقف الامارة الى الدرجة التي اطمع فيها الصليبيين ، وبعد ان اشتد الامر على اهالي مدينة حلب اتفقوا مع سليمان بن عبد الجبار الارتقي الذين كان اميراً عليها فيما سبق فقامت ثورة داخلية فيها يقودها سيلمان هذا وقبض الاهالي على كل من في المدينة من رجال قتلغ أبه في اليوم الثاني من شهر شوال عام ٥٢٢ هجرية وقد زحف الثوار الى القلعة التي تحصن بها قتلغ أبه بمن معه من الرجال فحصاروها[١٠] وبعد ان ساءت الامور وصل الامير حسان امير منبج والامير حسن امير بزاغه لاصلاح الامر بين قتلغ أبه

والثوار فلم تفلح مساعيهما .

بعد وصول اخبار الفوضى التي عمت حلب الى الصليبيين تقدمت القوات الصليبية لامارة الرها بقيادة اميرها جوسلين طامعة في السيطرة على المدينة الا انها انسحبت بعد ان دفع اهالي المدينة لاميرها مبلغاً من المال ، ثم تقدمت قوات امارة انطاكية الصليبية بعد انسحاب قوات امارة الرها طمعاً في الغنيمة التي ستجنيها من هذا الموقف الا ان اهالي المدينة دافعوا عن مدينتهم وحفروا خندقاً حول القلعة وزادت خطورة الموقف على مدينة حلب واستمر هذا التهديد حتى منتصف شهر ذي الحجة من عام ٥٢٢ هجرية .

كان الموقف في هذا الوقت قد استقر لعماد الدين زنكي في امارتي الموصل والجزيرة عندما وردته انباء الموقف الخطير لمدينة حلب فشكل قوة كبيرة بقيادة سنقر دراز وحسن قرا قوش سيرها الى مدينة حلب ومعها كتاب منه باعتباره اميراً للموصل والجزيرة وبلاد الشام . دخلت هذه القوة مدينة حلب وسيطرت على الموقف فيها واتفق الرأي على ارسال سليمان بن عبد الجبار الارتقي وقتلغ أبه الى الموصل واصبح الامير حسن قراقوش والياً على حلب بصورة وقتية . وبعد وصول سليمان وقتلغ أبه الى الموصل لم يسمح لهما بالعودة الى حلب وقام عماد الدين زنكي بارسال حاجبه المدعو صلاح الذين محمد الياغيسياني على رأس قوة كافية الى مدينة حلب وعينه والياً عليها[١١] . وهكذا دخلت امارة حلب تحت سيطرة عماد الدين زنكي فوضع نواة الوحدة التي اصبحت من اهدافه والتي شملت امارت الموصل والجزيرة وحلب .

امارة دمشق

بعد ان تجددت الهدنة بين الامير آق سنقر البرسقي والملك بولدوين الثاني تفرقت قواته فاتجهت قوات امارة دمشق نحو قاعدتها فوصلت مدينة دمشق في شهر شعبان[١٢] من عام ٥٢٠ هجرية وبعد عودة طفتكين الى دمشق اشتد امر الباطنية في نواحي بلاد الشام وكان زعيم هذه الطائفة المدعو بهرام الفارسي قد التمس من طفتكين ان يمنحه حصناً يأوي اليه هو وجماعته فسلم له حصن بانياس وذلك في شهر ذي القعدة من عام ٥٢٠ هجرية[١٣] وللاسباب الاتية :ـ

١ ـ اسند اليهم مسؤولية الدفاع عن هذا الحصن ضد الصليبيين .

٢ ـ اراد طفتكين حصر هذه الجماعة في محل منعزل لكي يجنب السكان شرورها .

الا ان هذه الجماعة اخذت تعمل ضد مصالح الوطن الاسلامي بعد ان استقرت في هذا الحصن وكان اخطر اعمالها تتجلى بقيامها باغتيال القادة المسلمين الذين يبرزون في ميدان الجهاد ضد الصليبيين . وخلال هذه الفترة من عام ٥٢٢ هجرية اشتد المرض على طفتكين اتابك دمشق الى ان توفي في اليوم الثامن من شهر صفر عام ٥٢٢ هجرية وقد قام ابنه المدعو بوري والملقب بتاج الملوك مقامه .

بعد ان تسلم تاج الملوك بوري مسؤولية امارة دمشق كان أمر طائفة الباطنية قد عظم على الناس واصبحوا قوة شر لايستهان بها فاخذوا يغيرون على القرى المجاورة فسيطروا على عدة حصون وقد ادى ذلك الى اصطدامهم باصحاب المذاهب الاخرى من المسلمين الذين يسكنون وادي التيم وهو من اعمال بعلبك وكان اميرهم اسمه الضحاك . فسار اليهم بهرام برجاله واخذ يغير على مناطقهم فخرج الضحاك اليه بالف رجل فاوقع بهرام وقوته بكمين حيث باغتهم وعمل السيف فيهم وتمكن من قتل معظم مقاتليهم وكان بهرام نفسه من بين القتلى ثم انسحب الباقون الى حصن بانياس وهم على اسوأ حال[١٤] . اناب بهرام قبل وفاته في بانياس المدعو اسماعيل العجمي وفي دمشق المدعو ابا الوفا الذي زاد شره على اهالي دمشق حتى اصبح امره اكبر من امر اتابكها تاج الملوك نفسه ، وفي هذه الفترة قام المزرقاني الوزير[١٥] الذي كان ضالعاً مع طائفة الباطنية بالاتفاق مع

الصليبيين على ان يسلمهم مدينة دمشق مقابل تسليمه مدينة صور وقد وضع خطة بالاتفاق مع اعضاء طائفة الباطنية للسيطرة على دمشق وتسليمها للصليبيين[١٦] ، الا ان اخبار الخطة وهذا الاتفاق وصلت تاج الملوك يوري اتابك دمشق فاستدعى المزرقاني على انفراد وقتله ثم قامت الدعوة بين اهالي مدينة دمشق للقضاء على اعضاء طائفة الباطنية جزاء خيانتهم فقتل منهم ستة الآف شخص . وبعد ان وصلت اخبار هذه المقتلة الى حصن بانياس دب الخوف في نفوس اتباع هذه الطائفة الموجودين في هذا الحصن فقام اسماعيل العجمي زعيم هذه الطائفة بمراسلة الصليبيين وعرض عليهم تسليمهم حصن بانياس مقابل السماح له ولاتباعه بالعيش في مناطقهم خوفاً من غضب المسلمين[١٧] .

بعد ان وصلت اخبار المقتلة التي حلت بطائفة الباطنية في مدينة دمشق الى الصليبيين وانباء فشل خطتهم في الاستيلاء على مدينة دمشق اهتم الملك بولدوين الثاني بمعالجة الموقف فطلب من الامراء الصليبيين القدوم الى مدينة القدس مع قواتهم للاستيلاء على مدينة دمشق مستغلاً وفاة طفتكين والمشاكل التي ظهرت نتيجة اعمال المرزقاني الوزير وطائفة الباطنية . وقد تم تحشد القوات الصليبية التالية قرب حصن بانياس :ـ

قوات مملكة بيت المقدس الصليبية

قوات امارة انطاكية الصليبية

قوات امارة طرابلس الصليبية

التقويات الحديثة التي وصلت من الغرب[١٨]

كان تقدير هذه القوات حسبما اورده ابن الاثير « فاجتمعوا في خلق عظيم نحو الفي فارس واما الراجل فلا يحصى »[١٩] . اما التقدير التقريبي لهذه القوات التي تتألف من قوات ثلاث امارات اضافة الى التقويات الصليبية التي وردت حديثاً فلا تقل عن العشرة الآف مقاتل خاصة وان هدفها المقبل هو مدينة دمشق وليس من المعقول ان يتقدم الملك بولدوين الثاني لاحتلال مدينة دمشق بجيش يقل عدده عن هذا الرقم . وقد تم تحشد هذه القوة قرب حصن بانياس[٢٠] ثم تقدمت باتجاه مدينة دمشق حتى وصلت الجسر الخشبي الواقع على بعد ستة اميال جنوب غرب دمشق في شهر ذي القعدة من عام ٥٢٣ هجرية ـ ١١٣٠ ميلادية .

وبعد وصول اخبار التقدم الصليبي الى اتابك دمشق استنفر قواته وبعد التحاق المجاهدين من العرب والتركمان اصبح تعداد قواته ثمانية الآف فارس وقد تقدمت هذه القوات حتى وصلت منطقة تواجه فيها القوات الصليبية فعسكرت هناك ولضيق الساحة فان مؤخرة القوات الاسلامية كانت تصل الى مدينة دمشق .

استمرت القوتان الاسلامية والصليبية تواجه بعضهما البعض دون ان تقوما بفعالية هجومية عامة واستمر الموقف على هذا المنوال بضعة ايام ، وبالنظر للنقص الحاصل بمواد التموين والاعاشة لدى القوات الصليبية فقد قام الملك بولدوين الثاني بتشكيل قوة من الفرسان تقدر بخمسمائة فارس بقيادة المدعو وليم بور وارسلها لنهب وادي حوران[٢١] . وعندما علمت القيادة الاسلامية بامر هذه القوة شكلت قوة سيارة سريعة الحركة عهدت بقيادتها الى الامير شمس الخواص ، وقد تقدمت هذه القوة في ظروف غير متوقعة وذلك لكثرة الامطار واشتداد البرد فوصلت المنطقة التي كانت فيها القوة الصليبية في اليوم الثاني وتمكنت من مباغتة القوة الصليبية بهجوم سريع ادى بالنتيجة الى القضاء على معظم القوة الصليبية وغنموا ما كان معهم من الدواب والمواد التي نهبوها واسروا منهم ثلاثمائة مقاتل ثم عادت الى دمشق[٢٢] . وعندما علمت القيادة الصليبية بما جرى لهذه القوة في وادي حوران ساء موقفها الاداري والحربي بعد ان خسرت نسبة كبيرة من فرسانها لذا قررت الانسحاب فوراً الى حصن بانياس وقد تم انسحابها تحت ظروف جوية صعبة فضلاً عن المطاردة الشديدة التي كانت تديم زخمها القوات الاسلامية حتى اوصلتها حصن بانياس ومن هناك تفرقت فعادت كل قوة الى امارتها[٢٣] .

الموقف الصليبي العام

سيطر الصليبيون خلال هذه الفترة على معظم بلاد الشام والجزء الشمالي من امارة الجزيرة وقد امتدت المناطق التي سيطروا عليها من غربي ديار بكر وآمد حيث امتدت حدود امارة الرها الصليبية وحتى البحر الابيض المتوسط واحاطت بأمارة حلب من الشمال والغرب وكانت مناطق نفوذهم تصل في بعض الاحيان حتى ابواب مدينة

حلب ، ثم امتدت جنوباً على طول الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط حتى مدينة عسقلان ، واما الاقسام الداخلية فقد امتدت الى الداخل بحيث لم يبق من الامارات الاسلامية في بلاد الشام بعيدة عن سيطرتهم سوى امارات دمشق وحمص وحماه . وقد اصبح الطريق الشمالي الذي يربط شمال العراق ببلاد الشام والذي يمر بمدينة الموصل معرضاً في اغلب اقسامه لغارات القوات الصليبية التي كانت تخرج من امارة الرها الصليبية . اما بالنسبة لساحة الحركات الجنوبية فقد سيطر الصليبيون على الموقف فيها وذلك لضعف الخلافة الفاطمية وسوء سياستها[٢٤] .

ادى ظهور حركة الجهاد التي ابتدأت بتولي الامير مودود امارة الموصل وانتهت الفترة الاولى منها باستشهاد الامير بلك الارتقي الى تحديد حركة التوسع الصليبية في بلاد الشام ولذلك اتجهت انظار الصليبيين نحو املاك الخلافة العثمانية ، كما انها ادت الى اضعاف الصليبيين في الشرق اضافة الى العوامل الاتية :ـ

١ ـ ان ادامة حركة الجهاد واستمرارها وعدم تراخي الجانب الاسلامي في ديمومتها ادى بالنتيجة الى مقتل اعداد كبيرة من المقاتلين الصليبيين وبصورة خاصة الفرسان منهم والذين كانوا يعتبرون خيرة فرسان اوربا الذين قدموا مع الحملة الصليبية الاولى[٢٥] .

٢ ـ ان اتساع مساهمة البيوتات التجارية الايطالية في الحروب الصليبية وبصورة خاصة البيوتات الجنوية والبندقية واشتراطها الفوز باكبر نصيب من الغنائم وحاجة الصليبيين الملحة لمساعداتهم في هذه الفترة بعد توتر العلاقات بينهم وبين الامبراطورية البزنطية وان استقرارهم في المناطق التي سيطر عليها الصليبيون وزيادة نفوذهم جعلهم يتدخلون في الشؤون السياسية للامارات الصليبية وقد ادى عملهم هذا الى انصراف الصليبيين عن شؤون الحرب والدفاع عن المناطق التي احتلوها .

٣ ـ بعد ان اتضحت نوايا وحقيقة الصليبيين للامبراطورية البزنطية ونزاعها معهم حول امارتي الرها وانطاكية ظهرت الخلافات فيما بينهم وفترت معاونة الامبراطورية للصليبيين وقد تغير الموقف بينهما عندما اخذت الامبراطورية

البزنطية تعمل لحسابها وقد اشتد الخلاف بين الطرفـين حتى ادى الى قيام الامبراطورية البزنطية بالاتفاق مع المسلمين ضد الصليبيين الـذين اكتشفت فيهم خطراً عـلى مصالحها .

٤ ـ فقد الصليبيون معظم فرسان الجيل الاول الصليبي نتيجة الحروب الطويلة والمستمرة التي خاضتها قواتهم ضد المسلمين ، وبعـد ان اتسعت اماراتهم وزاد غناهم وكثر الخير بين ايديهم فترت همتهم في القتال والدفاع عن كيانهم في الشرق واصبح من النادر ان نرى بينهم رجالاً من امثال بوهيمند النورماني وتانكرد وبولدوين ورايموند الذين كانوا قادة الحملة الصليبية الاولى والذين دفعهم ايمانهم بالحركة الصليبية بالرغم من اغراضهم المختلفة لانجاز اصعب المهام التي وقعت على عاتقهم ، وان افتقار الحركة الصليبية لمثل هؤلاء القادة جعل الضعف والوهن يدب بين صفوف الصليبيين الجدد[٣٦] .

مملكة بيت المقدس الصليبية

استمرت مملكة بيت المقدس الصليبية فارضة وصايتها عـلى جميع الامـارات الصليبية الاخرى في الشرق بوصفها اقوى الامارات والمسؤولة عن بقاء قوة الوجود الصليبي في بلاد الشام وكان الملك بولدوين الثاني يفرض نفسه على بقية الامارات بما كان يقوم به من اعمال عند الملمات ، فكان يسارع لنجـدة الامارات الصليبيـة كلما تعرضت للهجوم من قبل القوات الاسلامية . وفي عام ١١٣٠ ميلادية ـ ٥٢٥ هجرية بعد ان عالج الموقف الناتج في امارة انطاكية بعد مقتل اميرها بوهيمند الثاني وعاد الى بيت المقدس اخذ يفكر بمسألة ولايـة العهد لانـه لم ينجب من يخلفه عـلى العرش وبعـد مشاورات مع امراء مملكته وقع الاختيار على الامير فولك الفرنسي الذي قدم من فرنسا وتزوج ابنة الملك الكبرى فاصبح ولياً للعهد وهكذا انهى هذه المشكلة بالنسبة لمملكة بيت المقدس الصليبية[٣٧] .

ان اختيار الامير فولك ولياً للعهد اثار حفيظة الامير جوسلين امير الرها الذي كان يرى في نفسه الوريث الشرعي والانسب لعرش مملكة بيت المقدس بعد الملك بولدوين الثاني كما رفض الامير بونز امير طرابلس الدخول بطاعة الملك فولك بعد وفاة الملك بولدوين الثاني وان الاميرة اليس والدة امير انطاكية الصبي وابنة الملك بولدوين الثاني كانت من اشد الساخطين على هذا الاجراء ، الّا ان جميع هذه المعارضات لم تمنع الامير فولك هذا من تسلم عرش مملكة بيت المقدس بعد وفاة الملك بولدوين الثاني الذي اخذت صحته تتدهور خلال شهر آب من عام ١١٣١ ميلادية ـ ٥٢٥ هجرية بعد عودته من مدينة انطاكية وقد توفي يوم ٢١ آب عام ١١٣١ ميلادية(٢٨) ـ شوال ٥٢٥ هجرية .

امارة انطاكية

تولى الامارة فيها الامير بوهيمند الثاني الذي قدم اليها بعد ان بلغ سن الرشد ، فقد وصل ميناء السويدية في اوائل شهر آب عام ١١٢٦ ميلادية وقد توجه فوراً الى مدينة انطاكية حيث استقبله الملك بولدوين الثاني الذي كان وصياً على هذه الامارة فسلمه مسؤوليتها وقد تزوج هذا الامير ابنة الملك بولدوين الثاني الاميرة اليس .

كان بوهيمند الثاني شاباً طموحاً عند تسلمه المسؤولية في امارة انطاكية وقد استهل حكمه بتنظيم هجوم على كفرطاب فاستردها من امير حمص(٢٩) وفي عام ١١٢٧ ميلادية ـ ٥٢٢ هجرية تقدم الى مدينة حلب عندما ساءت الحال فيها الا انه لم يتمكن منها وفي هذه الفترة قامت خلافات شديدة بين بوهيمند الثاني وجوسلين امير الرها بدافع من مصالحهما الشخصية الا ان الملك بولدوين الثاني قام بتسوية هذه الخلافات . كان طموح بوهيمند الثاني يدفعه للقيام باعادة جميع الاراضي التي كانت تسيطر عليها امارة انطاكية زمن ابيه وقد قرر ان يستعيد مدينة عين زربه التي كانت في هذا الوقت تحت سيطرة الامير الارمني المدعو ثوروس الروبيني وبعد وفاته انتقلت الى حكم خلفه الامير ريو الاول . فتقدم بقواته في شهر شباط من عام ١١٣٠ ميلادية ـ ٥٢٤ هجرية باتجاهها فقام ريو الاول بالاستنجاد بالامير المسلم غازي بن دانشمند الذي كانت املاكه في هذا الوقت قد وصلت جبال طوروس ، لم تتعرض قوات امارة انطاكية لمقاومة تذكر من قبل الارمن وكانت قوات الامير غازي تكمن لها في الطريق فانقض عليها الفرسان المسلمون وتمكنوا

منها جميعاً ولم ينجح من قوات امارة انطاكية احد بما فيهم اميرها الذي قتل مع قواته خلال شهر شباط من عام ١١٣٠ ميلادية[٣٠] ـ ٥٢٥ هجرية . وبعد ذلك انتقل امر الامارة الى ارملته اليس وبعد ان اثيرت جملة مشاكل بينها وبين والدها الملك بولدوين الثاني تمكن الملك من السيطرة على الموقف وقد اعيدت وصايته على امارة انطاكية الصليبية مرة اخرى .

امارة الرها الصليبية

كانت امارة الرها الصليبية خلال هذه الفترة اكثر الامارات الصليبية فعالية فقد تقدمت قواتها الى مدينة حلب عندما تدهور الموقف في هذه المدينة وساءت اوضاعها وقد انسحبت هذه القوات بعد ان اخذ اميرها جوسلين مبلغاً من المال قدمه له اهالي مدينة حلب ، ثم اعاد جوسلين هجماته على أقاليم امارة حلب فتقدم على رأس قواته لحصار حصن صغير يقع الى الشمال الشرقي من مدينة حلب وبينما كان يتفقد قطعاته انهار به جرف فاصيب بجرح بليغ لم يرج شفاءه منه ، وفي هذا الوقت وردت اخبار قيام الامير غازي بن دانشمند بحصار مدينة كيسوم وهي من حصون امارة الرها الكبيرة فامر أبنه بالمسير لنجدتها وقد وردته انباء رفع الحصار عنها وهو في الطريق اليها فتوقف لتدهور صحته وقضى الموت علية وهو على قارعة الطريق ولما يمض على وفاة الملك بولدوين الثاني وقت طويل . وبوفاة هذين القائدين الصليبيين انتهى الجيل الاول من الصليبيين الذين وقع على عاتقهم واجب غزو الشرق المسلم وتأسيس الامـارات الصليبية فيـه وتسلم المسؤولية في هذه الامارات الجيل الجديد الذي لم يكن يحمل الاندفاع نفسه الذي كان عليه الجيل الاول .

هوامش الفصل العاشر

١ ـ انتوني ويست ـ الحروب الصليبية هامش صفحة ٨٢

٢ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٣٢
د . حسين مؤنس ـ نور الدين محمود / ١٥١ .

٣ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢١٧

٤ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٢٤

٥ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٣٤

ـ د. حسين مؤنس ـ نور الدين محمود / ١٤٧

٦ ـ البوازيج ـ قرية تقع شمال تكريت عند ملتقى الزاب بدجلة وهي تبعد حوالي ١٨٠ كم عن الموصل

٧ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٢٤

٨ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٣٥

٩ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/ ٢٨٠

١٠ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢١٨

١١ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٢٦

١٢ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢١٥

١٣ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣١٩

١٤ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٢٨

١٥ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٢١ هو ابو علي طاهر بن سعد المزرقاني .

١٦ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٤٥

١٧ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٢٨

ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٢١

١٨ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/ ٢٨٧

١٩ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٢٩

٢٠ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٢٥

٢١ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٢٩

٢٢ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٢٦

٢٣ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/ ٢٨٨

٢٤ ـ د. حسين مؤنس ـ نور الدين محمود / ١٥٣

٢٥ ـ المرجع السابق / ١٥٤

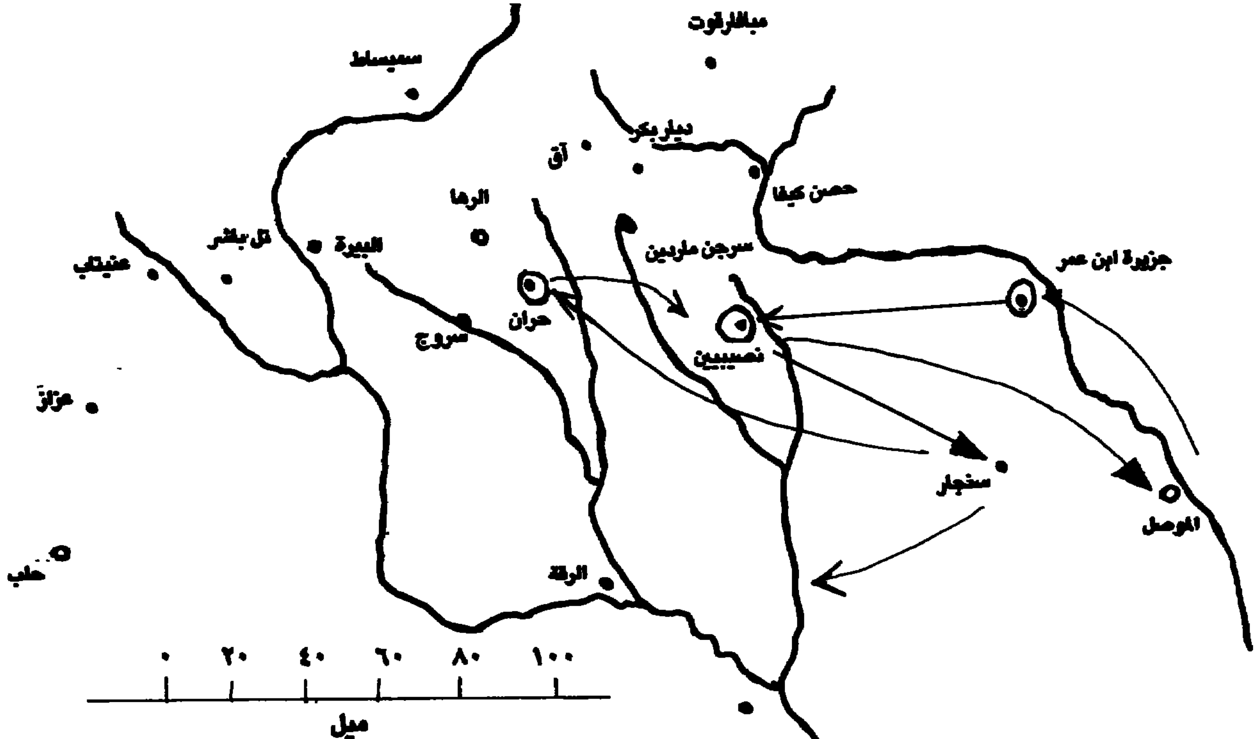
٢٦ ـ د. حسين مؤنس ـ نور الدين محمود / ١٥٥

٢٧ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٢٠

٢٨ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/ ٢٩٤

٢٩ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥١٦

٣٠ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/ ٢٩٢



خارطة رقم (١٠)
حركات عماد الدين شمال الموصل
عام ٥٢١ هجرية

الفصل الحادي عشر

استعدادات عماد الدين للجهاد

عماد الدين زنكي في الموصل

قرر عماد الدين زنكي بعد دخوله مدينة الموصل وقبل كل شيء ابعاد جاولي عنها فعينه امرأ على الرحبة التي تقع على نهر الفرات وامره بالمسير اليها فوراً وبذلك قد تخلص منه واصبح بالوقت نفسه تابعاً له ، وبعد ذلك اخذ ينظم شؤون مدينة الموصل الداخلية بدقة وبعد تعيين خاصته في المناصب المهمة في امارته اخذ يتهيأ لتأمين حدود امارته الشمالية فقرر الاستيلاء على المراكز المهمة التي تقع الى الشمال من مدينة الموصل فاستولى على جزيرة ابن عمر ونصيبين ومنطقة الخابور وحران[1] . وبذلك وضع المناطق الشمالية لمدينة الموصل تحت سيطرته وأمن حدود امارته الشمالية .

كان عماد الدين زنكي يرى من الضروري القضاء على امارة الرها الصليبية قبل القيام باية حركة ضد بقية الصليبيين في الشرق لما لهذه الامارة من موقع هام يهدد خطوط مواصلاته التي تربط مناطق الحركات في بلاد الشام مع امارة الموصل التي اصبحت في هذه الفترة القاعدة الرئيسية لادامة حركات الجهاد المقبلة . الّا ان عدم ملائمة ظروفه الحالية لتنفيذ هذا الغرض فقد قرر تأجيل ذلك الى ما بعد القيام بالامور الاخرى التي ستمهد السبيل لضمان النجاح عند تنفيذ هذا الواجب . هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى فانه كان يرى في كثير من الامراء المسلمين خطورة عليه اكبر من خطورة امارة الرها نفسها فاراد ان يتفرغ لهم قبل الاحتكاك بهذه الامارة القريبة منه .

عمليات زنكي شمال الموصل عام ٥٢١ هجرية

راجع خارطة رقم (١٠)

بعد ان استقر الامر لعماد الدين زنكي في مدينة الموصل وحواليها قرر القيام بعمليات تؤمن حدود امارته الشمالية[2] التي كانت مهددة من الاطراف الاتية :ـ

١ ـ امارة الاراتقة الموجودة في ماردين وحصن كيفا لشدة عداوتهم له فقد اعتقد هؤلاء الامراء بان وجود عماد الدين في الموصل خطراً عليهم وعلى اماراتهم المجزأة .

٢ ـ العشائر الكردية التي كانت تغير على الطرق والحواضر الموجودة في شمال منطقة الموصل وذلك لجهلها وعدم تقديرها مصالح الامة .

٣ ـ امارة الرها الصليبية التي كانت تهدد باستمرار اطراف امارتي الموصل والجزيرة .

وعلى هذا الاساس قرر القيام بعمليات محدودة في المنطقة الكائنة شمال امارتي الموصل والجزيرة لضرب اعدائه والسيطرة على المنطقة واخضاعها له[٣] . كانت جزيرة ابن عمر هدفه الاول وكان يسيطر عليها مماليك البرسقي ، تقدمت قوات عماد الدين زنكي بمحاذاة الضفة الشرقية لنهر دجلة حتى وصلت مقابل الجزيرة التي كانت تقع في الضفة الغربية لنهر دجلة فاتصل بمماليك البرسقي الذين كانوا فيها ليرضيهم فامتنعوا عليه رغم انه بذل لهم من العطاء الشيء الكثير[٤] .

وعندما لم تثمر معهم سياسة المسالمة امر قطعاته بالعبور والسيطرة على المنطقة الكائنة بين المدينة والنهر التي تعرف بالزلاقة وبعد قتال عنيف تمكنت قواته من السيطرة على هذه المنطقة ودفعت قوات المماليك الى داخل المدينة[٥] وبعد هذا النصر ضعفت مقاومة المدافعين فارسلوا يطلبون الامان من عماد الدين فاجابهم اليه ودخل المدينة على رأس قواته[٦] ، وبعد ان رتب الامور في جزيرة ابن عمر توجه نحو نصيبين التي كانت من املاك تمرتاش الارتقي صاحب ماردين فحاصرها عند وصوله لها . وعندما سمع تمرتاش بذلك توجه الى ابن عمه المدعو ركن الدولة داود بن سقمان الارتقي صاحب حصن كيفا يستنصره على زنكي وقواته فوعده المسير معه ونصرته وباشر بجمع قواته وقد عاد تمرتاش الى ماردين ليهيىء قواته الا ان عماد الدين شدد الحصار على مدينة نصيبين حتى اجبر المسؤولين فيها على الاتصال به لتسليمه المدينة[٧] ، وبعد ان فرغ من تسلم المدينة وتنظيم امورها توجه الى مدينة سنجار وحاصرها بعد ان امتنع من فيها عليه الّا انهم عادوا فصالحوه وسلموا المدينة اليه[٨] ، ومن هنا افرز قوة من جيشه تتالف من الفرسان وسيرها الى منطقة الخابور فسيطرت عليها كلها وهكذا دخلت هذه المنطقة تحت حكمه . اما هو فقد قاد قواته من سنجار بعد ان رتب الامور فيها وتوجه نحو مدينة حران وعندما اقترب منها خرج اهلها لاستقباله ودخلوا في طاعته وقد رأوا فيه مخلصهم وحاميهم من

الغارات الصليبية لقوات امارة الرها . وبعد ان دخل مدينة حران راسل جوسلين امير الرها وعقد معه هدنة لمدة سنتين[٩] لغرض كسب الوقت لتنفيذ خطته التي وضعها لمعالجة الامور في امارتي الموصل والجزيرة وتأمين حدودهما الشمالية .

كان لحركات الامير عماد الدين زنكي خلال هذه الفترة نتائج مهمة على امارتي الموصل والجزيرة فهو عندما تقدم الى جزيرة ابن عمر سالكاً الضفة الشرقية لنهر دجلة كان غرضه الحقيقي الظهور امام العشائر الكردية بقواته لتحذيرها من القيام باعمال في المستقبل من شأنها تهديد حدود امارته وعندما احتل جزيرة ابن عمر ونصيبين عزل الامراء الاراتقة شمال هذا الخط واظهر لهم قوته ومقدرته على مواجهتهم .

اما بالنسبة لامارة الرها الصليبية فان تقديره الصحيح للامور الذي دفعه لعقد هدنة معها لمدة سنتين كان له الاثر الكبير في مساعدته على السيطرة على امـارة حلب وتوحيدها مع امارتي الموصل والجزيرة[١٠] وبذلك سيطر على الموقف في شمال العـراق وشمال بلاد الشام ووحد هذه النواحي كما انه استغل فترة المعاهدة في الاستعداد وتهيئة قطعاته لتحقيق اهدافه المقبلة في القضاء على امارة الرها الصليبية ومواصلة الجهاد ضد الامارات الصليبية الاخرى[١١] .

حركة عماد الدين زنكي الى بلاد الشام

بعد ان استقر الموقف في امارتي الموصل والجزيرة للامير عماد الدين زنكي وبعد ان استقرت قوته التي ارسلها الى مدينة حلب في هذه المدينة قرر الحركة الى بلاد الشام لتهيئة الموقف لغرض استئناف عمليات الجهاد ، وقد تحرك على رأس قواته من مدينة الموصل الى مدينة حلب التي وصلها في ربيع عام ٥٢٢ هجرية ـ ١٢٨ ميلادية وقد احتل في طريقه مدينة منبج ومدينة بزاغه[١٢] ، وعندما اقترب من مدينة حلب خرج سكانها لاستقباله لانهم وجدوا فيه القائد الذي انقذهم من الصليبيين ومن الفوضويين فدخل عماد الدين زنكي مدينة حلب وهو يحمل في نفسه هدفاً سامياً وهو العمل على تحقيق وحدة بلاد الشام بضم امارة دمشق الى البناء الوحدوي الذي باشر في وضع لبناته الاولى في مدينة الموصل بعد توحيد مع امارات الجزيرة وحلب ، وكان يرى أن دخول امارة دمشق

الى هذه الوحدة هو غاية ما يسعى اليه ليكون لديه الامكانيات لمواجهة الخطر الصليبي ويتغلب عليه خاصة وان الاسباب قد تهيأت لذلك فقد مات طفتكين اتابك دمشق السياسي العجوز وخلفه ابنه تاج الملوك بوري الذي كان شاباً قليل الدراية[١٣] .

كان عماد الدين زنكي يرى ان وحدة بلاد الشام مع امارات الموصل والجزيرة هو الهدف الاسمى والطريق الصحيح لمواجهة الصليبيين والقضاء عليهم وقد اختمرت هذه الفكرة لدى زنكي منذ اشتراكه بعمليات الجهاد ضد الصليبيين التي كان يشترك فيها مع الامير مودود والامير آق سنقر البرسقي في ربوع بلاد الشام[١٤] .

اجتمعت كفاءة زنكي ومقدرته مع الظروف الملائمة في بلاد الشام ليقوم بدوره الفعال في تحقيق وحدة بلاد الشام مع امارتي الموصل والجزيرة وقد انجز الخطوة الاولى عندما ارسل قوة من الموصل الى مدينة حلب وتمت له السيطرة عليها بعد الثورة الداخلية التي قامت فيها ضد حكم قتلغ ابه . وقد قام زنكي بزيارة لبلاط السلطان محمود السلجوقي في بغداد فمنحه منشوراً بحكم الجزيرة وبلاد الشام وما اتصل بهما عام ٥٢٣ هجرية ـ ١١٢٩ ميلادية[١٥] وبذلك فانه اكتسب صفة الشرعية لحكم بلاد الشام والتدخل بشؤونها وقد ساعده على ذلك عدم وجود من يقف امام سيطرته من امراء بلاد الشام خاصة بعد سيطرته على مدينة حلب عدا امارة دمشق التي هي اكبر امارات بلاد الشام.واقواها .

بعد وصول عماد الدين زنكي الى مدينة حلب عام ٥٢٣ هجرية ارسل الى كل من تاج الملوك بوري اتابك دمشق وخيرخان بن قراجه امير حمص الذي دخل في معيته بعد وصوله مدينة حلب واخبرهما انه ينوي التعرض للصليبيين وانه لذلك يطلب معاونتهما وبناءاً على ذلك فقد حضر خيرخان على رأس قواته الى مدينة حلب اما تاج الملوك بوري فقد ارسل قوة تقدر بخمسمائة فارس مع بعض الامراء الى ابنه سونج امير حماه وامره ان يقود هذه القوة ويتجه الى مدينة حلب لمعاونة زنكي الذي وصلها قبل ذلك بقليل[١٦] . وبعد وصول هذه القطعات مدينة حلب استقبلها زنكي استقبالاً حافلاً الا انه من سير الاحداث المقبلة يظهر ان عماد الدين زنكي لم يطمئن الى هذين الاميرين لانهما سبق وان اتفقا مع المدعو اسماعيل العجمي زعيم طائفة الباطنية ضد اتابك دمشق تاج الملوك بوري وحاولا

اغتياله وبعد فشل مؤامرتهما لم يتمكن اتابك دمشق من معاقبتهما ولذلك فقد خشي زنكي على قطعاته من أية مؤامرة قد تحدث في المستقبل على حياته اوحياة احد من قادته ـ وهنا لعبت ظروف الخيانة دورها الكبير فقد قام خيرخان امير حمص بتحريض عماد الدين زنكي على امير حماه سونج بوري فقبض عليه وعلى امراء جيشه وتقدم بنفسه الى مدينة حماة فاستولى عليها لخلوها من قوات تدافع عنها وذلك يوم ٨ شوال عام ٥٢٤ هجرية ـ آب عام ١١٣٠ ميلادية[١٧] . وبعد ان رأى عماد الدين زنكي اعمال خيرخان في خيانته الاولى وتحريضه على حليفه سونج عرض زنكي عليه ان يبيعه مدينة حماه مقابل مبلغ من المال وبعد ان اخذ المال المطلوب من خيرخان هذا قام بحبسه في مدنية حلب ثم تقدم باتجاه مدنية حمص فحاصرها اربعين يوماً ولم يظفر بها حيث قام نواب خريخان وولده بالدفاع عن المدينة وعندما قدر ان لاموجب لبقائه مدة اطول انسحب الى مدنية حلب[١٨] ثم انسحب الى مدينة الموصل لاغراض الاستراحة واعادة تنظيم قواته .

وبعد انتهاء فترة الاستراحة واعادة التنظيم في مدينة الموصل تحرك عام ٥٢٤ هجرية ـ ١١٣١ ميلادية على رأس قواته قاصداً مدينة حلب[١٩] وبعد وصوله قام بتقدير للموقف وقرر ان يكون هدفه الاول حصن الاثارب الذي يبعد عن مدينة حلب بحوالي ٣٠ كيلومتر وقد اتخذه الصليبيون قاعدة متقدمة لهم لمهاجمة مدينة حلب وضواحيها وكان تأثيره كبيراً على امن وسلامة مدينة حلب وضواحيها[٢٠] ، تقدمت القوات الاسلامية باتجاه هذا الحصن فحاصرته وعندما وصلت اخبار حصار المسلمين للحصن الى مدينة انطاكية تقدمت قواتها لصد المسلمين ورفع الحصار عن هذا الحصن المهم وعندما وصلت اخبار تقدم قوات امارة انطاكية الصليبية الى الامير عماد الدين زنكي قرر ترك حصن الاثارب والتقدم لمواجهة القوات المتقدمة وضربها داخل مناطقها للتأثير على معنويات الصليبيين بصورة عامة . التقت القوات الاسلامية والصليبية على مسافة قريبة من حصن الاثارب وبعد قتال عنيف تغلبت القوات الاسلامية على القوات الصليبية التي انهزمت بعد ان تكبدت خسائر فادحة وبعد انتهاء المعركة عادت القوات الاسلامية الى محاصرة حصن الاثارب وشددت الهجمات عليه حتى تمكنت من فتحه عنوة فقتلت واسرت كل من بداخله ثم امر عماد الدين بهدم هذا الحصن فمحاه من على وجه الارض ولم يسكنه احد بعد

هذه المعركة[٢١] . ثم تقدمت القوات الاسلامية الى قلعة حارم فحاصرتها حتى طلب اهلها مهادنة عماد الدين زنكي على نصف دخلها فتركها على هذا الاتفاق وعاد الى حلب[٢٢] .

بعد وصول الامير عماد الدين زنكي الى مدينة حلب وردته معلومات تفيد بان الاراتقة قد يثيرون قلاقل على حدود امارتي الموصل والجزيرة فاضطر بعد تنظيم الامور في مدينة حلب وتعيين المدعو سوار بن اينكين ـ الذي كان في خدمة بوري اتابك دمشق ثم انفصل عنه والتحق بخدمة عماد الدين ـ اميراً لامارة حلب وامره بقتال الصليبيين لما كان يعهده فيه من الشجاعة[٢٣] . ثم عاد عماد الدين الى ولاية الجزيرة بعد الاخبار التي وصلته عن ماكان يقوم به حسام الدين تمرتاش امير ماردين وابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان امير حصن كيفا من اعمال على حدود هذه الامارة ، وقد قام هذان الاميران بتحشيد قواتهما التي بلغت مع من التحق بهم من التركمان حوالي عشرين الف مقاتل[٢٤] لمحاربة زنكي الذي اعتقدوا فيه خطراً على وجودهم . تقدمت قوات عماد الدين زنكي فحاصرت مدينة سرجى الواقعة بين نصيبين وماردين واثناء الحصار تقدمت قوات الاراتقة باتجاهها ثم التقت القوتان الاسلاميتان في هذه المنطقة وبعد معركة عنيفة كانت الغلبة فيها لقوات عماد الدين زنكي انهزمت قوات الاراتقة فسيطرت قوات عماد الدين على مدينتي سرجى[٢٥] ودارا ، وعند انسحاب داود بن سليمان الارتقي قامت قواته بنهب مدينة جزيرة ابن عمر فعقبته قوات عماد الدين زنكي حتى اوصلته حصن كيفا ثم انسحبت وتركته وذلك لمناعة المنطقة التي يقع فيها الحصن ووعورة الطرق المؤدية اليه وضيق هذه المسالك .

وخلال عام ٥٢٤ هجرية قام تاج الملوك بوري اتابك دمشق بأسر دبيس بن صدقة الذي كان هارباً من العراق باتجاه بلاد الشام وقد ضل الطريق فوقع في اسر اتابك دمشق وعندما سمع عماد الدين زنكي بذلك عرض على اتابك دمشق استبدال دبيس بن صدقة بولده سونج وبقية امراء بلاد الشام المحبوسين عنده[٢٦] وقد تم ذلك فاستقبل عماد الدين دبيساً هذا واكرمه واصبح في معيته .

عماد الدين زنكي والموقف في العراق

كان لوفاة السلطان محمود السلجوقي عام ٥٢٥ هجرية اثر كبير على اشغال عماد الدين زنكي عن اهدافه في بلاد الشام فان الاحداث التي وقعت في العراق عطلت اهتمام زنكي بساحة حركات بلاد الشام وابعدته عنها . فقد وقف زنكي الى جانب السلطان مسعود بن محمد السلجوقي في الصراع الذي كان دائراً بين ورثة السلطان محمود [٣٦ب] ففي عام ٥٢٦ هجرية ـ ١١٣٢ ميلادية تقدم عماد الدين زنكي على رأس قواته باتجاه بغداد بطلب من السلطان مسعود لاخضاعها لسيطرته الا ان قوات الخليفة المسترشد بالله العباسي الذي كان يؤيد السلطان سلجوق شاه تصدت لقوات عماد الدين زنكي قرب المعشوق[٣٧] فاوقعت بها هزيمة فانسحبت فلولها باتجاه مدينة تكريت التي كان دزدارها نجم الدين ايوب الذي قدم له المساعدة في العبور فكان ذلك سبباً باتصاله بزنكي الذي انسحب نحو مدينة الموصل واخذ يجمع قواته ويعيد تنظيمها[٢٨] ، وقد التحقت به قوات دبيس بن صدقة الذي كان قد اصبح بمعيته وبنفس السنة تقدمت هذه القوات بقيادة عماد الدين زنكي نحو بغداد[٢٩]فوصلت منطقة الدجيل[٣٠] حيث التقت بقوات الخليفة العباسي وبعد الدخول بمعركة شديدة معها تغلبت قوات الخليفة فيها انسحبت قوات عماد الدين زنكي شمالاً قاصدة مدينة الموصل[٣١] وقد استغل دبيس بن صدقة هذه الفرصة فترك حليفه واتجه الى منطقة الحلة وقام بجمع اتباعه الا ان الخليفة المسترشد بالله لم يغفل عنه فقد وجه اليه قوة بقيادة اقبال المسترشدي صاحب الحلة وقد تمكنت هذه القوة من الحاق الهزيمة بدبيس واتباعه وطردهم من المنطقة[٣٢] .

اصبح موقف عماد الدين زنكي بعد هذه الهزائم امام قوات الخليفة قلقاً وقد ادت هذه الاحداث الى ظهور حركة مناوئة له في العراق وفي بلاد الشام ومن قبل الجهات الاسلامية والصليبية ، اما بالنسبة للعراق فقد قام الخليفة المسترشد بالله العباسي الذي كان يتحلى بقوة الشخصية والعزم على ان يعيد للخلافة مظهرها القوي السابق فقام بعد الهزائم التي حلت بقوات زنكي وفي ربيع الاول عام ٥٢٧ هجرية بالتقدم نحو مدينة الموصل للاستيلاء عليها بقوة تقدر بثلاثين الف مقاتل[٣٣] . وعندما وصلت اخبار تقدم هذه القوة الى زنكي استنتج ما يأتي :ـ

١ ـ ان بقاءه داخل المدينة سوف يؤدي الى القضاء عليه فيما اذا تمكنت قوات الخليفة من احتلال المدينة اما بقاؤه في منطقة ما خارج المدينة مع قواته الضاربة فسوف يؤمن له الفرصة المناسبة لمواجهة الظروف ومعالجة الموقف بحرية اكثر .

٢ ـ ان قوة تحصينات مدينة الموصل وسهولة الدفاع عنها ستمنحها الفرصة للصمود تجاه قوات الخليفة .

٣ ـ ان مناعة اسوار وتحصينات مدينة الموصل سوف تجعلها تصمد مدة طويلة امام حصار قوات الخليفة وعند اطالة الوقت مع قيامه بالتعرض على معسكراتها وطرق مواصلاتها بهجمات سريعة ومباغته ومكثفة تقوم بها ارتال سريعة الحركة من قواته التي ستعسكر خارج المدينة ستجبر القوات المحاصرة على ترك الحصار تحت تأثير العامل الاداري الذي سيسوء نتيجة هذه العوامل .

ولذلك فانه قرر وضع الخطة التالية لمواجهة قوات الخليفة .

١ ـ قام بتقوية استحكامات واسوار مدينة الموصل وعززها بالمقاتلين الاشداء وعين نصير الدين جقر نائبه ليكون قائداً لادارة معركته الدفاعية من داخل المدينة[٣٤] .

٢ ـ خرج عماد الدين نفسه مع قواته الضاربة التي تتكون من الفرسان من مدينة الموصل وقد عسكرت في المناطق القريبة منها قبل وصول قوات الخليفة المسترشد بالله العباسي .

وصلت قوات الخليفة مدينة الموصل يوم عشرين رمضان عام ٥٢٧ هجرية وحاصرتها[٣٥] ، اما بالنسبة لعماد الدين زنكي فقد اتخذ من مدينة سنجار قاعدة له للاسباب الاتية :ـ

١ ـ تبعد هذه القاعدة عن مدينة الموصل بمسافة لاتساعد الخليفة بان يحاصر مدينة الموصل بقوات قليلة ويتقدم اليها لضرب القوات الضاربة الزنكية في مدنية سنجار اي انه لا يتمكن من تنفيذ الواجبين بوقت بواحد .

٢ ـ اذا تمكن الخليفة من احتلال مدينة الموصل فان عماد الدين سيتمكن من

الحركة الى مدينة حلب مع قواته ويتخذها مقراً لامارته .

٣ ـ تتمكن القطعات الزنكية من التعرض على خطوط موصلات الخليفة التي تربط بغداد بالموصل من هذه القاعدة بسهولة وتتمكن من العودة الى قاعدتها عند اللزوم[٣٦] .

ان الاسلوب الاعتيادي في الدفاع عن المدن قبل هذه الحركة هو ان تدخل القوة المدافعة الى داخل المدينة وتتخذ الترتيبات اللازمة لتقوية دفاعاتها وحشد ابراجها بالمقاتلين اي الدفاع عن المدينة من داخلها وقد يصبح الدفاع فعالاً فيقوم المدافع بعمليات خروج يهاجم قوات المحاصرين ليوقع بهم الخسائر ثم تعود القوات الى داخل المدينة . الا ان الاسلوب الذي اتبعه الامير عماد الدين زنكي هو ابداع جديد فقد قام بالدفاع عن مدينة الموصل من خارج المدينة وهذا يعدُّ تجديداً في فن الحرب وبذلك اصبح عماد الدين من المجددين في حقل هذا الفن فقد جعل من مدينة الموصل مصداً لقوات الخليفة واخذت قواته الضاربة الكائنة في قاعدة سنجار تهاجم الارتال الادارية ومعسكرات قوات الخليفة بسرايا سريعة الحركة تخرج من قاعدتها في مدينة سنجار ثم تعود بعد تنفيذها الواجبات[٣٧] . كان لهذه الهجمات آثار كبير على معنويات قطعات الخليفة وزادت من مشاكلها الادارية وبعد ان طالت مدة الحصار التي امتدت الى مايقرب من ثلاثة اشهر[٣٨] ولم تصل خلالها الى نتيجة اضطرت تحت تأثير العوامل السيئة التي خلقتها لها قوات عماد الدين زنكي على الانسحاب الى بغداد وهكذا نجت امارة زنكي من استيلاء الخليفة عليها .

هوامش الفصل الحادي عشر

١ ـ شاكر احمد ابو بدر ـ الحروب الصليبية والاسرة الزنكية / ٨٥

٢ ـ د عماد الدين خليل ـ عماد الدين زنكي / ٧١

٣ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٣٦

٤ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٢٤

٥ ـ شاكر احمد ابو بدر ـ الحروب الصليبية والاسرة الزنكية / ٨٥

٦ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٣٦

٧ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٥٠

٨ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٣٧

٩ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/ ٢٩١

١٠ ـ د. عماد الدين خليل ـ عماد الدين زنكي /٧٣

١١ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٣٧

١٢ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٢٦

١٣ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٥١

١٤ ـ د حسين مؤنس ـ نور الدين محمود / ١٦٣

١٥ ـ باركر ـ الحروب الصليبية / ١٥٥

١٦ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٢٨

١٧ ـ شاكر احمد ابو بدر ـ الحروب الصليبية والاسرة الزنكية / ٩٧

١٨ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٥٢

١٩ ـ المرجع السابق ١/ ٥٥٣

٢٠ ـ باركر ـ الحروب الصليبية / ١٥٥

٢١ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٤٢

٢٢ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٣١

٢٣ ـ شاكر احمد ابو بدر ـ الحروب الصليبية والاسرة الزنكية / ٩٩

٢٤ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٣٨

٢٥ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٣١

٢٦ ـ د. عماد الدين خليل ـ عماد الدين زنكي / ٧٦

٢٧ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٣٦

٢٨ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٤٣
٢٩ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٥٥٤
٣٠ ـ الدجيل ـ ناحية تقع شمال بغداد بحوالي ٨٠ كيلومتر
٣١ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٣٧
٣٢ ـ د. عماد الدين خليل ـ عماد الدين زنكي / ٥٣
ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٤٦
٣٣ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٥٥٤
٣٤ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٤٧
٣٥ ـ د. عماد الدين خليل عماد الدين زنكي / ٥٥
٣٦ ـ المرجع السابق / ٥٥ ـ ٥٦
٣٧ ـ المرجع السابق / ٥٥
٣٨ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٠٩

الفصل الثاني عشر

عماد الدين زنكي وبلاد الشام

بعد الهزائم التي حلت بقوات الامير عماد الدين زنكي في العراق وانشغاله عن بلاد الشام فقد دب الطمع في نفوس امراء بلاد الشام من مسلمين والصليبيين في الاستيلاء على املاكه وقد تعرضت بعض هذه الاملاك الى هجمات اعدائه .

امارة حلب

كانت امارة حلب خلال هذه الفترة من املاك عماد الدين زنكي وكان يحكمها الامير سوار نائباً عنه والذي وصفه الدكتور حسين مؤنس فقال « كان سوار جندياً جريئاً وثيق الصلة بقبائل التركمان »[1] . قام سوار هذا بجمع قواته وقادها في ربيع عام ٥٢٧ هجرية ـ ١١٣٣ ميلادية فهاجم امارة انطاكية واخذ يشدد هجماته على ضواحيها ويقتل من يتصدى له من قواتها ويسلب ما تقع يده عليه من اموالها ومحصولاتها حتى هدد مدينة انطاكية نفسها مما ادى بالنتيجة الى استغاثة الانطاكيين بـالملك فولك لتخليصهم من هجمات سوار وقواته ، فخف هذا لنجدتهم وعند وصوله الى مدينة صيدا ابلغ بان الامير بونز امير طرابلس الذي لم يكن على وفاق معه لحد هذا التاريخ قد اصطدم بمجموعة من ألقوات الاسلامية التي تغلبت عليه واجبرته على الفرار الى حصن بارين للتخلص من الوقوع باسرها وقد طاردته حتى حاصرته في الحصن المذكور[2] . قام الملك فولك بتغيير وجهته نحو حصن بصرين وتمكن من تخليص الامير بونز من الوقوع بايدي القوات الاسلامية[3] ، ثم تقدم بعد ذلك باتجاه قوات حلب التي كانت في منطقة قريبة من مدينة انطاكية وتمكنت قواته من دفعها الى الخلف واجبرتها على الانسحاب الى مدينة حلب[4] بعد معركة دارت بينها وبين القوات الاسلامية قرب قنسرين[5] وقد تقدمت القوات الصليبية حتى وصلت ضواحي مدينة حلب فقام الامير سوار بجمع قواته ثم هاجم القوات الصليبية فدحرها وانتصر عليها واجبرها على التراجع الى مدينة انطاكية بعد ان اوقع فيها خسائر كبيرة[6] . وفي الوقت نفسه تقدمت قوة صليبية من امارة الرها الى ضواحي مدينة حلب بعد تراجع قوات الملك فولك الى مدينة انطاكية فخرجت اليها قوات امارة حلب تساعدها قوات امارة بعلبك بقيادة الامير حسان البعلبكي فقضت عليها جميعاً قتلاً واسراً وعادت الى مدنية حلب[7] . وفي اليوم السابع عشر من جمادي الاخرة عام ٥٢٧ هجرية قام الامير سوار بغارة على مدينة تل باشر فخرجت قواتها لصده وعندما

اصطدمت بالقوات الاسلامية خارج المدنية دارت معركة عنيفة بين الطرفين قتل من القوات الصليبية حوالي الف مقاتل ثم عادت قوات امارة حلب الى قاعدتها منتصرة(٨) .

امارة دمشق

توفي تاج الملوك بوري اتابك دمشق في اليوم الحادي والعشرين من شهر رجب عام ٥٢٦ هجرية(٩) واصبح ابنه شمس الملوك اسماعيل اتابكاً لمدينة دمشق الذي اتصف بالشجاعة والاقدام وقد بدأ عهده باستعادة حصن بانياس من الصليبيين (١٠) ، فقد جهز قوة قادها بنفسه وبحركة مباغتة تمكن من محاصرة هذا الحصن في اليوم الاول من شهر صفر من عام ٥٢٧ هجرية واخذت قواته تشدد الحصار عليه وتديم زخم الهجوم بحركات زحف متتابعة وقد قاد بنفسه احدى الهجمات حيث ترجل عن حصانه وتقدم نحو الحصن وتبعه جنده حتى وصلوا سور الحصن تحت ستار من رماة السهام مدة اربعة ايام حتى تم الاستيلاء عليه ثم عاد شمس الملوك اسماعيل الى دمشق بعد ان قرر شؤون هذا الحصن(١٢) .

وبعد وصول شمس الملوك اسماعيل الى دمشق اخذ يعد العدة لمهاجمة مدينة حماه مستغلاً انشغال زنكي في العراق وقد كانت مدينة حماه في هذه الفترة تابعة لامارة حلب التي كانت من املاك زنكي ، وقد استخدم اسلوب الكتمان في تنفيذ استعداداته ليباغت المدافعين ، الا انه رغم اجرآت الكتمان التي طبقها فقد وصلت اخبار استعداداته الى امير حماه فاخذ يستعد لمواجهة قوات دمشق(١٣) . تقدمت قوات دمشق قاصدة مدينة حماة اواخر شهر رمضان عام ٥٢٧ هجرية مستغلاً انشغال اهالي المدينة وحاميتها بترتيبات عيد الفطر المبارك وتمكنت من دخول المدينة بعد ان اشتدت هجمات هذه القوات عليها واخذ القتال يزداد ضراوة في الطرقات حتى رأى امير حماه ان لامفر من الاستسلام وقد استسلمت المدينة بعد ان اخذت عهود الامان وعادت الى سيطرة امارة دمشق(١٤) . وفي شهر محرم من عام ٥٢٨ هجرية ـ ١١٣٣ ميلادية حشد شمس الملوك اسماعيل قطعاته وخرج قاصداً حصن شقيف تيرون(١٥) وكان المدعو الضحاك بن جندل اميراً عليه وكان يهادن الصليبيين وذلك لان هذا الحصن يقع على خطوط

مواصلاتهم التي تربط الشمال بالجنوب وبعد انتقاله الى امارة دمشق ذات القوة العسكرية التي يحسب لها حساب فان خطوط مواصلاتهم هذه اصبحت تحت تأثير قوات دمشق فقام الملك فولك بتحشيد قواته وتقدم الى وادي حوران فخرب مدنه ونهب خيراته ، وعندما علم شمس الملوك بما قام به الصليبيون من اعمال في وادي حوران جمع قواته وتقدم لمعالجتهم وعندما وصل المنطقة عسكر في منطقة تواجه معسكرات الصليبيين وقد جرت بين الطرفين مناوشات استمرت عدة ايام(١٦) وهنا لعبت الخدعة دورها الفعال لصالح قوات امارة دمشق فقد قام شمس الملوك بترك قوات قليلة تواجه القوات الصليبية وتثبتها في وادي حوران ثم انسحب مع القسم الاعظم من قواته ودخل المناطق الصليبية فهاجم مدن عكا والناصرة وضواحيهما ومدينة طبرية وضواحيها وقامت قواته بالاستيلاء على كل ما وجدته من غنائم واعملت سيوفها بالصليبيين الذين تصدوا لها تقتيلاً وتأسيراً وقد سبت اعداداً هائلة من الغزاة واخذت اموالهم ومواشيهم وخربت واحرقت مالم تقو على حمله من املاك الصليبيين .

ثم انسحبت دون ان تشعر بحركتها القوات الصليبية التي كانت في وادي حوران ، وحالما وصلت اخبار النكسة التي اصابت مناطق الصليبيين انسحبت قواتهم من وادى حوران وبعد ان رأت نتائج اعمال القوات الاسلامية التي جعلتها غير قادرة على مواجهة امارة دمشق سعت في طلب الهدنة مع شمس الملوك الذي عاد الى دمشق آخر ذي الحجة عام ٥٢٨ هجرية(١٧) .

عودة عماد الدين زنكي الى بلاد الشام

دامت حرب الحدود بين امارة حلب والصليبيين طيلة الفترة التي ابتعد فيها زنكي عن بلاد الشام وذلك لانشغاله بالاحداث التي جرت في العراق ، وبعد ان استقر الموقف في العراق للسلطان مسعود السلجوقي الذي عمل زنكي لحسابه اول الامر وبعد ان عادت قوات الخليفة المسترشد بالله العباسي الى بغداد وفشل حصارها لمدينة الموصل عاد زنكي اليها واخذ يعمل جاهداً لتصفية المواقف المناوئة له في شمال العراق بخاصة تلك التي كان يثيرها الاراتقة والاكراد .

لقد رأى عماد الدين زنكي بثاقب بصره وحسن تقديره ان مجاهدة الخونة من الامراء المسلمين هو جزء لايتجزأ من الجهاد ضد الغزاة المعتدين ، وبعد ان استقر له الموقف في امارة حلب قدر ان امارة دمشق هي حجر العثرة الكبير الذي سيقف بينه وبين الجهاد ضد الصليبيين من جهة والعقبة الكبيرة ضد وحدة بلاد الشام تحت سيطرته من جهة اخرى . وكان يرى ان الموقف الحالي لايساعده على مهاجمة هذه الامارة واحتلالها بالقوة على الرغم من انه هاجم قسماً من اطرافها فقد احتل مدينة حماه عام ٥٢٤ هجرية وحاصر مدينة حمص الا انه لم يتمكن منها . وبعد ان رأى اندفاع شمس الملوك اسماعيل اتابك دمشق الجديد فقد ترك التعرض لمدينة دمشق خلال هذه الفترة من حكمه . الا ان اسماعيل هذا لم يبق على سيرته الاولى في متابعة الجهاد بل ان سيرته في رعيته اخذت تسوء بعد ان تعرض لمحاولة اغتيال من قبل احد المماليك فاخذ الشك الى نفسه طريقاً فقام بقتل من يشتبه به حتى اخاه المدعو سونج[١٨] وقام بمصادرة اموال بعض امرائه واستولت الشكوك وعدم الثقة على جميع تصرفاته حتى اوصلته الى التفكير بالهروب من الموقف المحيط به الى منطقة بعيدة عن مدينة دمشق فاختار حصن خرفند[١٩] واخذ يفكر بمدينة دمشق ولمن يتركها من بعده فاختار عماد الدين زنكي الذي اعتقد فيما يبدو انه اقوى الامراء المسلمين وهو الذي سوف يستطيع ان يضرب على ايدي اعدائه الموجودين في دمشق والذين اخذوا يتآمرون عليه فكتب الى عماد الدين زنكي الذي كان في هذا الوقت بمدينة الموصل يطلب منه الحضور فوراً الى دمشق ليسلمها له ويخبره بانه اذا تأخر عن المجييء فسوف يسلمها الى الصليبيين[٢٠] .

كانت هذه فرصة عماد الدين زنكي الذهبية التي كان ينتظرها منذ توحيد امارتي حلب والموصل الّا ان العوامل التالية حالت دون تنفيذ هذه الخطوة :ـ

١ ـ عدم وجود مؤيدين للامير عماد الدين زنكي داخل مدينة دمشق وبصورة خاصة بين المسؤولين عن الاوضاع فيها وخوفهم من عماد الدين زنكي وكان على رأس المعارضة والدة شمس الملوك اسماعيل التي كانت تطمح في نقل الحكم الى ولدها شهاب الدين محمود ـ اي ان المعارضة القوية التي كانت في دمشق والتي كانت مستغلة خيرات هذه الامارة لمصالحها الخاصة حالت دون تنفيذ رغبة

شمس الملوك اسماعيل بتسليم الامـارة الى عماد الدين وقـد عملت على قتله فنجحت في تنفيذ ذلك قبل وصول زنكي الى دمشق[٢١] .

٢ ـ ان وجود عماد الدين في مدينة الموصل خلال هذه الفترة جعله بعيداً عن مدينة دمشق بمسافة امنت لاعدائه الوقت الكافي لتدبير مؤامراتهم فيها ونجاحها في اغتيال الاتابك شمس الملوك وهكذا ضاعت الفرصة امام عماد الدين زنكي لضم امارة دمشق لدولة الوحدة .

قتل اتابك دمشق شمس الملوك اسماعيل يوم الرابع عشر من ربيع الثاني عام ٥٢٩ هجرية وكان المدبر لقتله والدته وقد نودي باخيه شهاب الدين محمود اتابكاً على دمشق وفي هذا الوقت وردت الاخبار الى مدينة دمشق بتقدم عماد الدين زنكي وعبوره نهر الفرات قاصداً مدينة دمشق والذي قام بارسال رسل امامه الى دمشق وعندما وصلت هذه الرسل الى دمشق كان الموقف قد تغير لغير صالحه وقد اخبروا من قبل المسؤولين في مدينة دمشق بامتناعهم عن تسليم المدينة الى زنكي ، وعندما عادت هذه الرسل الى عماد الدين اخبرته بجلية الامر ورفضهم تسليم المدينة له واستعدادهم لمقاومته[٢٢] ، الا ان عماد الدين لم يقنع بما سمع بل واصل تقدمه نحو مدينة دمشق وعندما وصل مدينة حماة انضم اليه صاحبها الامير شمس الخواص[٢٣] .

وصلت قوات عماد الدين مدينة دمشق اوائل شهر جمادي الاولى عام ٥٢٩ هجرية فنزلت اولاً بارض عذراء ثم تقدمت الى ارض القُصير الواقعة في شمال مدينة دمشق وقد كانت ضياع مدينة دمشق قد اخليت ودخل اهلها مدينة دمشق خوفاً من قوات عماد الدين ، ثم انتقلت بعد ذلك الى العقبة القبلية او مايسمى بميدان الحصى الواقع جنوب مدينة دمشق وقد اخذت قواته تناوش المدافعين الا انها لم تدخل معهم بقتال جدي . وبعد ان رأى عماد الدين زنكي ان هناك اتفاقاً جماعياً لمحاربته من قبل اهالي ومسؤولي مدينة دمشق وكان للمدعو معين الدين أنر احد مماليك طفتكين اتابك دمشق السابق مواقف مشهودة ضد عماد الدين والدفاع عن المدينة بما له من خبرة في القتال وامور الحصار[٢٤] لما لها الأثر الكبير في السيطرة على الموقف في مدينة دمشق وبعد ان رأى زنكي عدم جدوى قتاله الذي لن يوصله الى نتيجة وعزم المدافعين على الدفاع رأى من الانسب

حل الموضوع بطريق سلمي فقد ارسل الى الامير شهاب الدين محمود وطلب حضوره الى معسكره لاتمام الصلح معه فلم يجب شهاب الدين الدعوة بل ارسل اخاه تاج الملوك بهرام شاه بدلاً عنه ، وفي هذا الوقت وصل الى معسكر عماد الدين رسول من الخليفة المسترشد بالله العباسي يطلب منه ترك المدينة والرحيل عنها[٢٥] . وبعد اتمام الصلح بين الطرفين تركت قوات عماد الدين مدينة دمشق في اليوم الثاني من شهر جمادي الاولى عام ٥٢٩ هجرية ـ منتصف آذار عام ١١٣٥ ميلادية قاصدة مدينة حلب وعند وصولها مدينة حماه قدم اهالي المدينة شكاوى ضد اميرها شمس الخواص ونوابه فقرر عزله وعين آخر بدله ، وعندما مرت قوات عماد الدين زنكي بمدينة حمص هاجمت اقليمها واستقات كل ما وقعت عليه يدها من المواشي واحرقت زروعها ثم واصلت طريقها باتجاه مدنية حلب[٢٦] وبعدها الى الموصل[٢٧] .

مواصلة عمليات الجهاد

شغلت احداث العراق عماد الدين زنكي مرة اخرى بعد ان عاد الى الموصل عام ٥٢٩ هجرية في اثناء غيابه كان الامير سوار نائب زنكي في حلب بطل الجهاد في المنطقة فقد قام يعاونه امير حماة بتحشيد قواته التي بلغ تعدادها ثلاثة الآف فارس[٢٨] بغزوة جريئة على امارة انطاكية الصليبية التي كانت تعاني من كثرة الاضطرابات الداخلية[٢٩] . دخلت القوات الاسلامية اراضي امارة انطاكية بصورة مباغتة واخذت تهاجم القرى والمناطق الصليبية حتي تمكنت من اجتياح على مايزيد على مائة قرية صليبية وتستولي على ما تصادفه من حيوانات واموال تعود للصليبيين وتقتل من يتصدى لها منهم حتى وصلت ميناء اللاذقية فخربته ثم انسحبت الى حصن شيزر وهي تسوق معها مايقرب من مائة الف رأس من الحيوانات المختلفة وسبعة الآف اسير صليبي عدا المواد العينية التي استولت عليها وقد تركت المناطق الصليبية دون ان يتمكن الصليبيون من التعرض لها فوصلت حصن شيزر في اليوم الحادي عشر من شهر رجب من عام ٥٣٠ هجرية ـ ١١٣٥ ميلادية[٣٠]

لم يكتف المسلمون بهذا النصر الذي حققه الامير سوار نائب زنكي في مدينة حلب

والذي ادى الى اضعاف امارة انطاكيه وتحطيم معنويات الصليبيين فيها ، بل كان هذا النصر حافزاً لامارة دمشق التي قامت بعد وصول اخبار هذا النصر اليها بتحشيد قوات كبيرة بقيادة المملوك بزواش الذي اصبح مقدم عسكرها وقد تقدمت هذه القوة في شهر رجب من عام ٥٣١ هجرية ـ ١١٣٧ ميلادية باتجاه امارة طرابلس الصليبية فاصطدمت بقوات امارة طرابلس عندما وصلت على مقربة من قلعة صنجيل (الواقعة قرب مدينة طرابلس) عام ٥٣١ هجرية ـ اواخر شهر اذار عام ١١٣٧ ميلادية.ودارت معركة حامية بينهما كان النصر فيها لقوات امارة دمشق التي تمكنت من قتل اعداد كبيرة من الصليبيين ومن جملتهم اميرها بونز واسر اعداد منهم وغنم المسلمون غنائم كثيرة من المناطق التي تسيطر عليها هذه الامارة وفي طريق عودتهم الى دمشق حاصروا حصن وادي ابن الاحمر وملكوه عنوة(٣١) . وبالوقت نفسه قام امير حماه بقيادة قواته واحتل حصن الخربة(٣٢) .

وبعد ان استقر الموقف في العراق سيطر السلطان مسعود السلجوقي على بغداد واقصى الخليفة المسترشد بالله العباسي عن الخلافة في اليوم السابع عشر من شهر ذي القعدة عام ٥٢٩ هجرية ـ نهاية آب ١١٣٥ ميلادية وبعد ان حصل زنكي على تأييد السلطان مسعود والخليفة العباسي المقتفي وعالج الموقف في المناطق الشمالية لامارة الموصل والجزيرة تحرك في شهر شعبان من عام ٥٣١ هجرية من الموصل قاصداً بلاد الشام لمواصلة الجهاد ، وبعد ان وصل مدينة حلب كانت فكرة وحدة بلاد الشام تدفعه للسيطرة على امارة دمشق الا ان الظروف الحالية لم تساعده على ذلك فقرر تقطيع اوصال هذه الامارة بالاستيلاء على المدن والاقاليم التابعة لها كخطوة اولى(٣٣) ولذلك فانه بعد ان هيأ قواته واستنفذ الوسائل السلمية مع معين الدين انر الذي ارسل له حاجبه المدعو صلاح الدين محمد الياغيسياني لمفاوضته فلم يصل معه الى نتيجة فتقدم باتجاه حمص اكبر اعمال امارة دمشق وضرب طوق الحصار حولها وقد استمر في محاصرتها حتى يوم عشرين شوال عام ٥٣١ هجرية(٣٤) ـ ١١٣٧ ميلادية . وفي هذا الوقت وردت اخبار الى عماد الدين تفيد بأن قوات صليبية خرجت من امارة طرابلس غايتها مساعدة مدينة حمص(٣٥) ومن توافق الاحداث ان معين الدين انر هذا كان له اتصال مع

الصليبيين قبل وصول عماد الدين زنكي الى بلاد الشام عام ٥٣١ هجرية ـ خاصة وأن الاحداث المقبلة ستثبت انه اتفق مع الصليبيين ضد زنكي ـ وقد اتفقوا على الوقوف جبهة واحدة ضد زنكي حين اعتقدوا فيه الخطر الحقيقي الذي يهدد وجودهم في بلاد الشام ، لذلك اضطر عماد الدين الى الانسحاب من حول مدينة حمص والتقدم لمواجهة القوات الصليبية التي كانت بقيادة امير طرابلس الجديد المدعو رايموند الثاني . وبعد ان اصطدمت القوتان الاسلامية والصليبية تراجعت هذه الاخيرة امام ضغط القوات الاسلامية عليها الى منطقة التلول الواقعة قرب قلعة بصرين[٣٦] لحماية نفسها من الابادة فتقدمت القوات الاسلامية وحاصرتها في قلعة بصرين يوم عشرين شوال عام ٥٣١ هجرية ـ ١١٣٧ ميلادية وامام قوة وضخامة القوات الاسلامية اضطر رايموند الثاني امير طرابلس المحاصر مع قواته على طلب المساعدة من الملك فولك ملك بيت المقدس الذي كان في هذا الوقت قد حشد قطعاته وتقدم لمساعدة امارة انطاكية التي ارتبكت امورها بعد القضاء على قواتها واميرها ، فاضطر الملك على تغيير وجهته بعد تسلمه طلب النجدة من امير طرابلس رايموند الثاني وتقدم حتى وصل منطقة قلعة بصرين .

كانت خطة الامير عماد الدين زنكي لمواجهة الموقف قبل وصول قوات مملكة بيت المقدس الصليبية لنجدة امير طرابلس المحصور في بصرين تقتضي بتطبيق حركة المطرقة والسندان ، فقد قام بتقسيم قواته الى قسمين احتل القسم الاول والمؤلف من المقاتلين المشاة مواضع له امام تقدم القوات الصليبية وكان واجبه صد هذه القوات وايقاف تقدمها في المنطقة الشرقية لتلول النصيرية . اما القسم الثاني والمؤلف من قوات الفرسان فقد اخفاه في مكمن جانبي وكان واجبه ضرب القوات الصليبية بعد توقفها امام المشاة الاسلامي . تقدمت القوات الصليبية باتجاه الشرق وعند خروجها من بين التلول المحيطة بقلعة بصرين اصطدمت بقوات المشاة الاسلامي التي وضعها عماد الدين مصداً لها وقد تمكنت القوات الصليبية المهاجمة من الحصول على بعض التقدم باتجاه الشرق وعندما رأى عماد الدين ابتعاد الفرسان الصليبيين نسبياً عن قوات المشاة الصليبي خرجت قوات المطرقة من مكمنها وهاجمت قوات المشاة الصليبي وتمكنت من القضاء عليها بسهولة وبسرعة وسيطرت على كل ما كان بيد القوات الصليبية من

المعسكرات والمواضع[٣٧] . وعندما ارتدت قوات الفرسان الصليبية ورأت ماحل بقوات المشاة انحطت معنوياتها فهاجمتها القوات الاسلامية بشدة وسرعة وتمكنت من القضاء عليها فاضطر الملك فولك ملك بيت المقدس الى الهروب مع قسم قليل من قواته باتجاه قلعة بصرين وتحصن بها وقد سبق النظر فارسل في طلب النجدة[٣٨] من كل من امير الرها جوسلين وامير انطاكية وبطرك بيت المقدس قبل ان يتم المسلمون فرض الحصار التام على قلعة بصرين ، اما بالنسبة لامير طرابلس المدعو رايموند الثاني فقد وقع في الاسر . وهكذا عادت القوات الاسلامية محاصرة فلول القوات الصليبية في قلعة بصرين مرة اخرى[٣٩] .

اشتد الحصار على القوات التي في داخل قلعة بصرين وقلت الاقوات لديهم وانقطعوا عن العالم الخارجي لسد جميع المنافذ من حولهم وقد انحطت معنوياتهم حتى اخذوا يفكرون بالاستسلام[٤٠] . ومن الناحية الاخرى فقد باشرت قوات امارة الرها الصليبية وقوات امارة انطاكية وماتبقى من قوات مملكة بيت المقدس بالتحشد في نهاية شهر تموز عام ١١٣٧ ميلادية ـ ٥٣١ هجرية بالبقيعة لانقاذ الملك الا انهم لم يتمكنوا من ايصال ذلك اليه ، وعندما اخذت مؤونة المحاصرين بالنفاد تقدم الملك بطلب الى الامير عماد الدين زنكي لمعرفة شروطه للاستسلام . الا ان عماد الدين بعد ان قدر الموقف وعلم بتحشد القوات الصليبية لم يفرض شروطاً قاسية على الملك فولك ليشجعه على الاستسلام قبل حركة القوات الصليبية المتحشدة في البقيعة . فقد وافق على اطلاق سراح المحصورين والاسرى مقابل تسليمه قلعة بصرين ومبلغ خمسين الف دينار يدفعها الملك له فوافق الملك على ذلك وتم تسليم القلعة والمال المطلوب من الصليبيين وهكذا اطلق سراح الملك فولك وقواته المحصورة مع الاسرى[٤١] .

كانت النتائج الظاهرة لقبول عماد الدين زنكي اطلاق سراح الاسرى والمحصورين غير متناسبة والنصر الذي احرزته القوات الاسلامية عند بصرين الا ان الواقع الحقيقي يثبت غير ذلك ويجعل تقدير عماد الدين زنكي للعوامل بعيدة المدى صحيحاً وان تساهله في محله وان هذه الشروط نفسها كانت اكبر بكثير من ضواهرها وذلك اذا لاحظنا العوامل الاتية :ـ

١ ـ غاية الحرب القضاء على القوات المعادية وقد تمكنت القوات الاسلامية بعملياتها عند بصرين من القضاء على معظم قوات مملكة بيت المقدس وامارة طرابلس وبذلك ازداد ضعف الصليبيين وقلت مصادرهم البشرية .

٢ ـ لم تكن قلعة بصرين ثمناً رخيصاً فهي تقع في منطقة تسيطر على مدن حماة وحمص وكانتا من اهداف عماد الدين السوقية التي يتوخى السيطرة عليها لاضعاف امارة دمشق[٤٢]

٣ ـ لم يرغب عماد الدين الدخول بقتال مع القوات الصليبية القادمة لانقاذ الملك فولك فلا بد وانه قدر امكانيات قطعاته بعد العلميات التي خاضتها حول مدنية حمص وعند قلعة بصرين وقد قدر ان اية خسارة تلحق بها قد تؤدي الى ضياع ما كسبته من آثار النصر الذي احرزته عند بصرين، كما ان اي نكسة تصيبه في هذا الوقت بالذات ستفيد حكام دمشق وتبعده عن تحقيق هدفه في ضمها الى وحدته المنشودة فيتخلص من حكامها ويتفرغ لمجاهدة الصليبيين .

٤ ـ كانت هنالك اخبار اشيعت بان جيشاً بزنطياً يتقدم نحو بلاد الشام وقد اقلقته هذه الاخبار لان خشيته على مدينة حلب جعلته يسرع في تصفية الموقف والعودة الى هذه المدينة لحمايتها .

٥ ـ كان من نتيجة الاتفاق ان اعترف الملك فولك ملك بيت المقدس باحتلال المسلمين للمراكز الصليبية التي كان قد احتلها عماد الدين زنكي والواقعة شرق نهر العاصي عام ٥٢٩ هجرية ـ ١١٣٥ ميلادية وهي معرة النعمان وزردنا وكفر طاب[٤٣] .

دخول مدينة حمص حكم زنكي

بعد ان قدر عماد الدين زنكي موقفه بعد عمليات بصرين فاستنتج ان احتلال مدينة دمشق والسيطرة عليها بالقوة امر ليس بالهين في الوقت الحاضر خاصة وانه كان يخشى العقبة الاخيرة والقوية التي تقف امام توحيد بلاد الشام فقد رأى ان احسن وسيلة للسيطرة عليها هو اضعافها باقتطاع اوصالها بالتدريج وقد ابتدأ اولاً بمدينة حماة التي احتلها عام ٥٢٤ هجرية ثم تقدم الى مدينة حمص وحاصرها عام ٥٢٤ الاّ انه لم يتمكن

منها فانسحب ثم هاجمها مرة اخرى عام ٥٢٩ هجرية عندما كان عائداً من محاصرة مدينة دمشق . وقد عاد عام ٥٣١ هجرية الى حمص وحاصرها وقد اضطر الى الانسحاب من حولها لمعالجة القوات الصليبية المتقدمة لانقاذها ثم عاد لمحاصرتها مرة اخرى عام ٥٣٢ هجرية ولم يفلح بالاستيلاء عليها . وقد تأكد نتيجة تجاربه السابقة ان مدينة حمص تعتبر بحق من امنع المعاقل التابعة لامارة دمشق وان دخولها في طاعته سيعزز موقفه كثيراً وسيقربه من هدفه الرئيسي الا وهو ضم امارة دمشق الى دولته ، الّا انه قدر ان احتلال هذه المدينة بالقوة سيكلفه تضحيات كبيرة في قواته وبالنظر لحرصه الشديد على قواته وخاصة امام المدن الاسلامية فجعله ذلك يفكر بطريقة سلمية وجديدة توصله الى غرضه دون قتال . فقد رأى ان زواجه من الاميرة صفوة الملك زمرد خاتون ابنة الامير جاولي ووالدة الامير شهاب الدين محمود امير دمشق[٤٤] والتي كان لها تأثير كبير في حكم امارة دمشق وان زواجه منها سيحقق له اهدافه . فارسل الرسل الى الامير شهاب الدين محمود يعرض الامر عليه ويطلب موافقته على اتمام هذا الزواج فوافق على ذلك وعقد لعماد الدين وهو في مخيمه حول مدينة حمص في يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان عام ٥٣٢ هجرية[٤٥] وكان نتيجة هذا الزواج تسليم مدينة حمص لعماد الدين ومنح واليها معين الدين أنر حصن بصرين بدلاً عنها .

كانت هناك عوامل اخرى اجبرت شهاب الدين محمود على منح مدينة حمص لعماد الدين وذلك لتأمين كسب مساعدته في معالجة المواقف التالية :ـ

١ ـ خوف الامير شهاب الدين محمود من عودة غزو رومي آخر يتجه الى مدينة دمشق بمساعدة الصليبيين .

٢ ـ كات هناك اشاعات تفيد بان الصليبيين سيهجمون على دمشق وان خوفه من هذا الهجوم دفعه لمنح مدينة حمص لعماد الدين لضمان مساعدته فيما اذا تعرضت مدينة دمشق للهجوم الصليبي المتوقع .

ومن الحصون التي دخلت حكم زنكي عند تقدمه لمحاصرة مدينة حمص حصن المجدل الواقع في سهل البقاع وبعد ذلك راسله امير بانياس ودخل في طاعته وهكذا تمت الخطوة الكبيرة في اهداف زنكي[٤٦] .

هوامش الفصل الثاني عشر

١ ـ د. حسين مؤنس ـ نور الدين محمود / ١٦٠

٢ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٤٠

ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٤١

٣ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/ ٣٠٨

٤ ـ د. حسين مؤنس ـ نور الدين محمود / ١٦١

٥ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٥٥

٦ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٣٩

٧ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٤١

٨ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٤٠

٩ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٣٣

١٠ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٥٥

١١ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٣٧

١٢ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٣٩

١٣ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٣٨

١٤ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٤٠

١٥ ـ شقيف تيرون ـ حصن يقع في الجبل المطل على مدينتي بيروت وصيدا

١٦ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٤٢

١٧ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٤٣

١٨ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٥٦

١٩ ـ شاكر احمد ابو بدر ـ الحروب الصليبية والاسرة الزنكية / ١٠١

٢٠ ـ د. عماد الدين خليل ـ عماد الدين زنكي / ٢٢١

٢١ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٤٦

٢٢ ـ المصدر السابق / ٢٤٧

٢٣ ـ شاكر احمد ابو بدر ـ الحروب الصليبية والاسرة الزنكية / ١٠٣

٢٤ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٥٦

٢٥ ـ د. عماد الدين خليل ـ عماد الدين زنكي / ٢٢٣

٢٦ ـ ابن العديم ـ زبدة الحلب ٢/٢٥٢

٢٧ ـ شاكر احمد ابو بدر ـ الحروب الصليبية والاسرة الزنكية /١٠٣

٢٨ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٥٥

٢٩ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٥٥٨

٣٠ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٥٣

٣١ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٥٥٩

٣٢ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٥٨

٣٣ ـ د. عماد الدين خليل ـ عماد الدين زنكي ١٢٥

٣٤ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٥٧

٣٥ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٢٤

٣٦ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٥٩

ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٥٩

٣٧ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٥٩

٣٨ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٢٥

٣٩ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٥٧

٤٠ المصدر السابق / ٨ / ٣٥٧

رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٢٦

٤١ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٥٩

٤٢ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٢٧

٤٣ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/٥٦٠

٤٤ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٥٩

٤٥ ـ ابو الفدا ـ المختصر ٣/١٢

٤٦ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٥٩

الفصل الثالث عشر

الامبراطورية البزنطية وبلاد الشام

سبق ان رأينا كيف نقض الصليبيون جميع الاتفاقيات التي عقدت بينهم وبين الامبراطور الكيوس كومنين والتي تنص على تسليم كل ما يحتله الصليبيون من اراضي ومدن كانت تابعة للامبراطورية البزنطية قبل ان يستولي عليها المسلمون وبصورة خاصة امراء النورمان الذين اسسوا امارتهم الصليبية في مدنية انطاكية ، ولم يكتفوا بالسيطرة على هذه المنطقة بل اشتد العداء بينهم وبين الامبراطورية البزنطية بحيث دفعهم هذا العداء الى مهاجمة مدن قيليقية واحتلالها زمن بوهيمند وتانكـرد[1] ، وهكذا اصبحت اراضي الامبراطورية البزنطية عرضة لهجمات الصليبيين حتى ظهور الامير عماد الدين زنكي وتسلمه مسؤولية الجهاد ضد الصليبيين الذين دخل معهم بمعارك متعددة ادت نتائجها اخيراً الى اضعاف الصليبيين في الشرق .

وبعد ان انتقل الحكم في الامبراطورية البزنطية الى الامبراطور حنا كومنين عام ١١١٨ ميلادية الذي اتصف بكونه جندياً يحب القتال ويخرج مع الجيوش وقد قضى معظم سنوات حكمه على رأس جيوشه[2] . وبعد ان تسلم الامبراطور حنا كومنين السلطة قرر تحقيق الاهداف الاتية :ـ

١ ـ اعادة حدود الامبراطورية في الانضول الى ما كانت عليه قبل الغزو السلجوقي الذي هدد مدينة القسطنطينية نفسها[3] .

٢ ـ استرداد مدينة قيليقية من الحكام الارمن .

٣ ـ استرداد مدينة انطاكية من الصليبيين او اجبارهم على الاعتراف بسيادة الامبراطورية البزنطية عليهم واعتبار انطاكية اقطاعية تـابعة للامبـراطورية البزنطية يحكمها الصليبيون عوضاً عنهم[4] .

كان الموقف الاسلامي خلال هذه الفترة في الانضول مساعداً للامبراطور البزنطي على تحقيق هدفه الاول فقد ادت الخلافات التي ثارت بين امراء سلاجقة الروم وامراء بني دانشمند الى اضعاف الطرفين كما ان الخلافات التي نشبت بين امراء البيت الحاكم في قونية عاصمة سلطنة سلاجقة الروم والصراع الذي حدث بين السلطان مسعـود واخيه الامير عرب اضعف السلطنة وقد شغلت هذه الخلافات والمنازعات الى اخـلاد المسلمين في الانضول الى الدعة وعدم المبالاة وذلك بسبب من عدم وجود قيادة طموحة

الهم من جهة والى قيام الامبراطور حنا كومنين بعدة حملات بين عامي ١١٣٠ ـ ١١٣٢ ميلادية ضد السلاجقة والدانشمنديين كانت نتائجها انه تمكن من استرداد عدة مواقع كانت تابعة لسلطنة سلاجقة الروم وتمكن من السيطرة على الساحل الجنوبي للبحر الاسود الى مابعد طرابزون شرقاً(٥) وهكذا تمكن الامبراطور حنا كومنين من تحقيق هدفه الاول وذلك بدفع حدود امبراطوريته الى الشرق .

بعد ان حقق الامبراطور حنا كومنين هدفه الاول على حساب سلطنة سلاجقة الروم وامارة الدنشمنديين وابعاده الخطر عن القسطنطينية فقد ساعدته العوامل التالية على التقدم الى منطقة قيليقية لتحقيق هدفه :ـ

١ ـ بعد ان انشغل المسلمون في الانضول بالمنازعات الداخلية فيما بينهم فترت حركة الجهاد الاسلامية واصاب الضعف الامارات الاسلامية التي في ساحة حركات الانضول وان ضعف هذه الامارات جعلها تخلد الى السكون وعدم الحركة وقد ساعد هدوء نسبي اتاح الفرصة للامبراطور البزنطي لأن يتجه نحو تحقيق هدفه الثاني وهو استرداد منطقة قيليقية من الامراء الارمن .

٢ ـ ان تحسن العلاقات بين الامبراطورية البزنطية وبين البندقية وجنوة ادى الى تفرغ الامبراطور للتوجه نحو الشرق(٦) .

٣ ـ ادت النكسات التي اصيب بها الصليبيون في الشرق بعد الهزائم التي الحقها بهم عماد الدين زنكي الى اضعاف القوات الصليبية في الشرق بعد خسرانها معظم مقاتليها مما جعلها بحاجة الى مساعدة الامبراطورية البزنطية .

كانت الخطوة التالية للامبراطور حنا كومنين هو التهيؤ لتحقيق هدفه الثاني وهو استعادة منطقة قيليقية التي كان يسيطر عليها الارمن والصليبيون فقام بتحشيد جيوشه في مقاطعة اخياليا في ربيع عام ١١٣٧ ميلادية ـ ٥٣١ هجرية وبعد اكمال تحشده تقدم باتجاه الشرق وامر الاسطول البزنطي بالتقدم بمحاذاة الساحل لمساندة القطعات البرية وحماية جناحها الايمن واستمر تقدم القطعات البزنطية حتى وصلت مدينة مرسين عام ١١٣٧ ميلادية ثم واصلت تقدمها فاستولت بسهولة على المدن الرئيسية في مقاطعة قيليقية وهي مدن طرسوس وآذنه والمصيصه(٧) ثم اتجهت بعد ذلك شمالاً باتجاه مدينة

عين زربه اليت تحصن بها الامير الارمني ليو فوصلتها القوات البزنطية وضربت طوق الحصار من حولها واخذت المجانيق تضرب اسوارها واستمر حصارها سبعة وثلاثين يوماً وقد تمكنت القوات البزنطية من الاستيلاء عليها ودخولها خلال شهر تموز من عام ١١٣٧ ميلادية[٨] وبعدها استمرت القوات البزنطية بمعالجة الحصون الارمنية حتى فرضت سيطرتها على منطقة قيليقية كلها ثم اتجهت جنوباً فاحتلت آسوس والاسكندرونة وهكذا دخل بلاد الشام وظهرت امام اسوار انطاكية يوم ٢٩ آب ١١٣٧ ميلادية ـ ذي القعدة ٥٣١ هجرية وعسكرت على الضفة الشمالية لنهر العاصي[٩] . وهكذا تمكن الامبراطور حنا كومنين من تحقيق هدفه الثاني واصبح امام الصليبيين وجهاً لوجه .

كان جيش امارة انطاكية في هذا الوقت خارج الامارة بقيادة اميرها المدعو رايموند بواتيه الذي توجه على رأس قواته لانقاذ الملك فولك الذي كان محاصرا من قبل الامير عماد الدين زنكي في قلعة بصرين[١٠] . وبعد ان اطلق سراح الملك فولك من الحصار عادت قوات امارة انطاكية الى قاعدتها لتجد الامبراطور حنا كومنين قد شرع بحصارها وقد تمكنت هذه القوات من الدخول الى المدينة قبل ان يكتمل حصارها[١١] . قام الامبراطور البزنطي بنصب اسلحة الحصار وشرعت بقصف استحكامات المدينة وقد استمر القصف عدة ايام ، وبالنظر لعدم مساعدة موقف امير انطاكية الداخلي وولاء السكان المحليين للامبراطورية البزنطية وعدم الاطمئنان لهم وانقطاع المساعدات الخارجية عنه كل هذه العوامل اجبرته على مفاتحة الامبراطور حنا كومنين بالصلح وقد عرض عليه الاعتراف بتبعيته له فلم يوافق على ذلك بل طلب منه التسليم دون قيد او شرط فاضطر رايموند ان يطلب من الامبراطور اخذ رأي الملك فولك ملك بيت المقدس وارسل رسالة الى الملك فولك يشرح له فيها الموقف فكانت اجابة الملك غير مشجعة فقد اجابه بأن مدينة انطاكية هي جزء من الامبراطورية البزنطية كما نصت جميع المعاهدات السابقة التي عقدت بينها وبين الصليبيين الاوائل على ذلك وهو نفسه يعترف بذلك[١٢] ولاينكره . وبعد ان ورد جواب الملك فولك أسقط في يد الامير رايموند واجبر على عقد اتفاق مع الامبراطور البزنطي نصت بنوده على مايأتي :ـ

١ ـ يقوم الامير رايموند بزيارة الامبراطور حنا كومنين في معسكره ويقسم امامه يمين الولاء له .

٢ ـ تفتح ابواب مدينة انطاكية ويدخلها الامبراطورالبزنطي ويدخل قلعتها .

٣ ـ اذا استولى البزنطيون تساعدهم قوات امارة انطاكية الصليبية على مدنية حلب وماجاورها فان على رايموند المبادرة بتسليم مدينة انطاكية الى الامبراطورية البزنطية على ان يعوض بدلها بالامارة الجديدة التي ستؤسس من مدن حلب وحمص وحماة وشيزر .

وقد وافق الامير الانطاكي على ذلك وزار الامبراطور في معسكره واعلن تبعيته له الا ان الامبراطوير لم يدخل مدينة انطاكية بل اكتفى برفع علمه على قلعتها[١٣] . وبالنظر لقرب حلول فصل الشتاء فقد عادت قوات الامبراطورية البزنطية الى مقاطعة قيليقية لغرضين مهمين هما :ـ

١ ـ اكمال فتحها والقضاء على مايبقى من المقاومات الارمنية التي كانت لاتزال موجودة في بعض قلاع هذه المنطقة .

٢ ـ لقضاء فترة الشتاء في سهل قيليقية .

والظاهر من سير الاحداث ان اتفاقاً بين الصليبيين في الشرق وبين الامبراطور البزنطي كان قد تم على مهاجمة امارة حلب حيث تم التخطيط للقيام بحملة صليبية كبرى في الربيع القادم تشترك فيها قوات الامبراطورية البزنطية[١٤] وقد تحددت اهداف هذه الحملة بما يأتي :ـ

١ ـ تحطيم قوة الامير عماد الدين زنكي التي اعتبرت الخطر الحقيقي على الامارات الصليبية في الشرق والقضاء على امارة شيزر التي قدمت الولاء له .

٢ ـ احتلال مدينة حلب وحماه وحمص وشيزر واقامة امارة صليبية جديدة فيها وينصب امير رايموند بواتيه اميراً عليها ويعود اقليم انطاكية الى الامبراطورية البزنطية[١٥] .

وبالنظر لخطورة موقف الامارات الصليبية وخوفها من قوات الامير عماد الدين زنكي فقد اختار الامبراطور حنا كومنين ـ الذي كان يفضل بقاء الامارات الصليبية بينه

وبين قوات عماد الدين ـ ان يقضي فصل الشتاء في سهل قيليقيه بعد ان قضت قواته على مقاومات الامراء الارمن فيها ليكون قريباً من ساحة حركات بلاد الشام . وقد قدم اليه وهو في هذا المكان الامير بولدوين صاحب مرعش واعلن تبعيته له وطلب حمايته من الهجمات الاسلامية ، وبموجب الخطة التي اتفق عليها مع القادة الصليبيون قام بارسال سفارة الى عماد الدين ليوهمه بانه لاينوي البدء بمهاجمته[16] .

الهجوم على امارة حلب

دلت الاحداث التي وقعت عام ٥٣٢ هجرية ـ ١١٣٨ ميلادية على ان الاتفاق قد تم بين الامبراطور البزنطي وقادة الصليبيين قبل مغادرته اقليم انطاكية على تنظيم هجوم مشترك يستهدف امارة حلب والحواضر الاسلامية الاخرى التي تقرر تأليف امارة صليبية منها وذلك لتأمين الاهداف الاتية :ـ

١ ـ دفع خطر الهجمات الاسلامية على منطقة تل باش التي اشتكى منها اميرها عندما حضر امام الامبراطور البزنطي في سهل قيليقية واعلن تبعيته له وطلب منه حمايته من هذه الهجمات .

٢ ـ احتلال اقليم امارة حلب ومدن حماه وحمص وشيزر لانشاء امارة صليبية جديدة فيها ينصب رايموند بواتيه اميراً عليها بعد تسليم اقليم انطاكية الى الامبراطورية البزنطية .

وعلى هذا الاساس قامت قوات الامبراطورية البزنطية والقوات الصليبية بالاستعداد للعمليات المقبلة خلال شتاء عام ٥٣٢ هجرية ١١٣٨ ميلادية ، وقبل ان يحين موعد الحركة قامت سلطات امارة انطاكية وبموجب تعليمات الامبراطور حنا كومنين باعتقال التجار المسلمين القادمين من مدينة حلب ومن الاقاليم الاسلامية الاخرى كجزء من خطته الامنية التي اتبعتها لمنع تسرب المعلومات الى الجهات الاسلامية وتأمين المباغتة[17] .

تقرر أن تكون منطقة تحشد القوات المشتركة قرب مدينة انطاكية وعليه فقد تقدمت القوات البزنطية في نهاية شهر اذار باتجاه منطقة التحشد وهناك التقت بقوات

امارة انطاكية وقوات امارة الرها .

تقدير القوات

تألفت القوات المشتركة الصليبية من :ـ

١ ـ جيش الامبراطورية البزنطية بقيادة الامبراطور حنا كومنين وقد شكل القو الضاربة للقوات الصليبية وبذلك فان الامبراطور البزنطي اصبح القائد العا لهذه القوات .

٢ ـ قوات امارة الرها الصليبية بقيادة اميرها جوسلين الثاني .

٣ ـ قوات امارة انطاكية الصليبية بقيادة اميرها رايموند بواتيه .

٤ ـ كتيبة من فرسان الداوية[١٨] .

يصعب تقدير عدد هذه القوات بصورة دقيقة الّا انه يمكن اعطاء تقدير تخميني مقارب للحقيقة بدرجة جيدة بالاعتماد على الظروف المحيطة بكل امارة ، وبالنظر للخسائر الكبيرة التي حلت بالقوات الصليبية في العمليات الاخيرة قرب بصرير فان كلًا من امارتي الرها الصليبية وانطاكية الصليبية لايمكنها ان تجهز اكثر من قوة تقدر بحوالي ثلاثة الآف مقاتل . اما الجيش الامبراطوري الذي كان يشكل القوة الضاربة للقوات الصليبية فكان يزيد كثيراً عن هذه الاعداد وبالنظر للواجبات التي انجزها في قيليقية وامارة انطاكية فلا يمكن تقديره باقل مما يتراوح بين الخمسة عشر الف مقاتل والعشرين الف مقاتل يضاف الى هذه القوات كتيبة من فرسان الداوية التي لايزيد عدد مقاتليها عن بضعة مئات من الفرسان فيكون التقدير العام للجيش الصليبي المشترك والذي اصبح الامبراطور حنا كومنين قائداً له بين العشرين والخمسة والعشرين الف مقاتل[١٩] .

التقدم الصليبي

وضع الامبراطور حنا كومنين القائد العام للقوات المشتركة خطته على اساس الحصول على المباغته في مدينة حلب وقد اختار التقدم في هذا الوقت . بالذات وذلك

للمعلومات التي وصلته عن خلو مدينه حلب من القطعات لان اميرها سوار كان مع قواته مشتركاً في حصار مدينة حمص عام ٥٣٢ هجرية ولذلك فانه قدر ان بعد القوات الاسلامية عن مدينة حلب سيهيىء له الوقت الكافي لمهاجمتها واحتلالها[٢٠] .

تقدمت القوات المشتركة يوم التاسع عشر من شهر رجب عام ٥٣٢ هجرية ـ اوائل نيسان عام ١١٣٨ ميلادية[٢١] واحتلت مدينة البلاط[٢٢] ثم تقدم باتجاه حصن بزاغه الواقع الى الشمال الشرقي من مدينة حلب فوصلتها يوم ٢١ رجب من عام ٥٣٢ هجرية ـ ٣ نيسان عام ١١٣٨ ميلادية فطوقتها واخذت تهاجمها واستمر القتال شديداً بينها وبين حامية المدينة الصغيرة مدة خمسة ايام حتى تمكنت منها في اليوم الخامس والعشرين من شهر رجب عام ٥٣٢ هجرية ـ الثامن من نيسان عام ١١٣٨ ميلادية ثم قضت القوات الصليبية في المنطقة عشرة ايام اخرى في ملاحقة الهاربين من اهالي المدينة[٢٣] وخلال هذه الفترة تمكن قسم من الاهالي من الوصول الى مدينة حلب ونقلوا الى مسؤوليها اخبار التقدم الصليبي وبذلك اضاعت هذه القوات عنصر المباغتة الذي بنت عليه خطتها لمهاجمة مدينة حلب[٢٤] . ارسل مسؤولو مدينة حلب اخبار التقدم الصليبي الى الامير عماد الدين زنكي الذي كان يحاصر مدينة حمص في هذا القوت وطلبوا منه ارسال قوة للدفاع عن مدينة حلب باسرع مايمكن .

طبق الامير عماد الدين زنكي نفس خطته التي طبقها للدفاع عن مدينة الموصل ضد قوات الخليفة ـ فقد ارسل قوة بقيادة نائبه على مدينة حلب الامير سوار فوراً وقد تمكنت هذه القوة من الوصول الى مدينة حلب ودخولها قبل وصول القوات الصليبية المشتركة التي تكشف امرها وتمكنت هذه القوة من اتخاذ تدابير الدفاع الفعالة لحماية مدينة حلب ضد الغزو الصليبي[٢٥] وقد احتفظ الامير عماد الدين زنكي بقواته الضاربة خارج مدينة حلب وقد اتخذ من مدينة حماه قاعدة له .

تقدمت القوات الصليبية باتجاه مدينة حلب فوصلتها يوم الاربعاء الخامس من شعبان عام ٥٣٢ هجرية[٢٦] ـ ١١٣٨ ميلادية فنزلت ارض الناعورة ثم تركوها في اليوم الثاني وعسكروا على نهر القويق وارض السعدي وبعد الاستطلاع قرر الامبراطور القيام بهجوم على اسوار المدينة . وفي اليوم التالي قامت القوات الصليبية بهجوم على

اسوار مدينة حلب من ناحية الجنوب والغرب ـ من ناحية برج الغنم ـ الا ان قوات امارة حلب قامت بعملية خروج عزومة واصطدمت بالقوات المهاجمة وتمكنت من ايقاع اكبر الخسائر بينها واضطرتهم الى الانسحاب الى معسكراتهم[٢٧] . وبعد ان قدر الامبراطور البزنطي موقفه واستنتج انه لايستطيع احتلال المدنية لمناعتها وقوة حاميتها الدفاعية قرر الانسحاب من حولها وبعد ثلاثة ايام قضتها القوات الصليبية أمام اسوار مدينة حلب انسحبت نحو الجنوب وجعلت هدفها احتلال المدن والحصون الواقعة الى الجنوب من مدينة حلب بعد ان اعجزتهم قوات امارة حلب بحركات الخروج التي كانت تهاجم معسكراتهم[٢٨] . كان حصن الاثارب هدفهم الاول وعندما سمعت حامية الحصن بتقدم الصليبيين نحوه احرقت مالم تستطع حمله وتركته وانسحبت فسيطر الصليبيون عليه وتركوا فيه الاسرى والسبايا من اهالي بزاغه مع حراسة قليلة وقد تمكن بعض الاسرى من الهروب والوصول الى مدينة حلب حيث نقلوا اخبار الحامية الضعيفة التي تركها الصليبيون في حصن الاثارب فخرج الامير سوار على رأس قوة سريعة الحركة من لمدينة حلب وهاجم حصن الاثارب وتمكن من القضاء على الحامية الصليبية واستخلاص الاسرى والسبي المسلمين منهم ثمّ عاد الى مدينة حلب في اليوم الحادي عشر من شهر شعبان عام[٢٩] ٥٣٢ هجرية ـ ١١٣٨ ميلادية .

تقدمت القوات الصليبية بعد ان تركت حصن الاثارب باتجاه الجنوب فاستولت على معرة النعمان فاستولت عليها يوم ١٢ شعبان عام ٥٣٢ هجرية ـ ٢٥ نيسان ١١٣٨ ميلادية ثم تقدمت نحو كفرطاب التي تركتها حاميتها خوفاً من تقدم هذه القوات الضخمة يوم ١٤ شعبان عام ٥٣٢ هجرية ـ ٢٧ نيسان ١١٣٨ ميلادية ثم اتجهت نحو قلعة شيزر فوصلتها يوم ١٥ شعبان ـ ٢٨ نيسان وكان اميرها ابوا العساكر سلطان بن علي الذي استنجد بعماد الدين[٣٠] الذي كان مع قواته قريباً الى مدينة حماة وفي يوم الخميس التاسع من شعبان عام ٥٣٢ هجرية ـ ٢٢ نيسان عام ١١٣٨[٣١] تحرك من معسكره هذا الى سلمية اما اثقال المعسكر فقد ارسلها الى الرقة وبقي على قيادة قواته من الفرسان فقط[٣٢] وذلك لتفوق القوات المعادية عليه .

توخت القوات الصليبية المشتركة احتلال قلعة شيزر للاسباب الاتية :ـ

١ ـ لاعتقادها بان الامير عماد الدين زنكي لن يسارع لنجدتها وذلك لعدم دخولها في حكمه[٣٣] .

٢ ـ ان احتلال قلعة شيزر من قبل الصليبيين يجعلهم يسيطرون على اواسط وادي نهر العاصي .

٣ ـ يمكن اتخاذ قلعة شيزر موضعاً وقاعدة قوية لمنع عماد الدين زنكي من التقدم اكثر في بلاد الشام[٣٤] لانها تقع قريبة من الطرق التي تربط حلب بدمشق .

تمكنت القوات الصليبية من الاسراع في محاصرة قلعة شيزر ونصبت المجانيق الكبيرة لقصفها والاسراع في شن الهجمات عليها وتمكنت من احتلال جانب من اسفل المدينة واخذت المجانيق تقصف المدينة وشددت القوات من هجماتها لغرض الاسراع في احتلالها .

بعد وصول اخبار الحصار الصليبي لقلعة شيزر الى الامير عماد الدين الذي كان على رأس قواته المقاتلة في منطقة السلمية تقدم باتجاه قلعة شيزر واتخذ قاعدة امينة في المنطقة التي تقع بين مدينة حماه وقلعة شيزر على ضفة نهر العاصي الشرقية[٣٥] قام عماد الدين بتقدير للموقف وبعد ان رأى تفوق القوات المشتركة الصليبية عليه بنسبة كبيرة استنتج عدم امكانه القيام بهجوم واسع لازاحة القوات الصليبية من حول قلعة شيزر وعلى هذا الاساس وضع خطة لمعالجة الموقف تتضمن النقاط التالية :ـ

١ ـ القيام بحركات مخادعة ليعطي صورة غير حقيقية عن حجم قطعاته فكان يخرج يومياً من قاعدته الامينة ويتجه نحو مدينة شيزر ويستعرض قواته امام القوات الصليبية ويقوم بحركات اراءة امام القوات الصليبية للتأثير على معنوياتها .

٢ ـ كان يرسل سرايا سريعة الحركة وذات معنويات عالية لمهاجمة المجموعات الصليبية التي تبتعد عن قطعاتها لايقاع الخسائر فيها والتأثير على معنويات القطعات الصليبية الاخرى .

٣ ـ استخدم الخدعة مع القيادة الصليبية فكان يراسل الامبراطور حنا كومنين ويطلب منه النزول من مواضعهم الكائنة في المنطقة الجبلية حول قلعة شيزر الى

المنطقة السهلة لمجابهة قواته لغرض سحب القوات الصليبية من حول قلعة شيزر واعطاء صورة غير حقيقية عن حجم قطعاته وقد انطلت عليهم هذه الخدعة بحيث جعلت الامبراطور حنا كومنين يعتقد ان قوات الامير عماد الدين زنكي الرئيسية متخفية في محل ما وكان يظهر امام القوات الصليبية بقوات قليلة ليوهمها ويورطها بالهجوم عليه بعد ان ترك مواضعها من حول قلعة شيزر(٣٦) .

٤ ـ اتبع الامير عماد الدين سياسة الايقاع بين الحلفاء لتفريق صفوفهم فقد ارسل الى الامبراطور البزنطي يحذره من قادة الصليبيين وارسل الى قادة الصليبيين يحذرهم من الامبراطور واخبرهم بان سيطرة الامبراطور على اي موقع سيهدد وجودهم في الشرق(٣٧) . وقد انتجت سياسته هذه نتائج ايجابية بحيث جعلت القوات الصليبية لامارتي الرها وانطاكية تتخلى عن الجيش البزنطي في هجماته على قلعة شيزر وتركته وحيداً امامها وهي تقف موقف المتفرج(٣٨) . ولم يقف الخلاف بين الصليبيين والبزنطيين عند هذا الحد بل تعدا ه الى نشوب الخلاف بين الامراء الصليبيين انفسهم فقد خاف الامير رايموند من ضياع امارة انطاكية منه فيما اذا نجحت القوات الصليبية في احتلال مدنية حلب وتأسيس امارة له فيها بموجب الاتفاق الذي عقد بينه وبين الامبراطور البزنطي وبذلك سيصبح في خط المواجهة الاسلامي ويفقد حياة اللهو والدعة التي كان يعيشها في امارة انطاكية(٣٩) . وقد رأى الامير جوسلين امير الرها ان مصلحته تتعارض ووجود الامير رايموند بواتيه في امارة حلب وكره ان يكون قريباً منه وهكذا ادى عدم توافر حسن النية بين قادة الصليبيين من جهة وبينهم وبين الامبراطور البزنطي من جهة اخرى الى ضياع مبدأ التعاون بين القوات الصليبية المشتركة وقداثر ذلك على نتائج اعمالها الى مدى بعيد .

٥ ـ كان لمبدأ طرح الاشاعات اثر كبير على القيادة الصليبية المشتركة فقد طرحت اشاعات مختلفة عن حركة قوات اسلامية كبيرة الى المنطقة فقد اشيع بان نجدات من امارة الاراتقة قد اتجهت الى بلاد الشام(٤٠) وقيام قوة من امارة

دمشق لتعزيز قوات عماد الدين كما اشيع بان السلطان مسعود سلطان سلاجقة فارس وبناءاً على طلب من عماد الدين قد سير قوات كبيرة الى بلاد الشام(٤١) .

٦ ـ وبناء على طلب من الامير عماد الدين زنكي قامت قوات سلاجقة الروم وبني دانشمند بمهاجمة خطوط مواصلات الامبراطورية البزنطية ومواقعها(٤٢) للتأثير على الامبراطور البزنطي واجباره على العودة الى الانضول . ومن ناحية اخرى فان امير شيزر اتصل بالامبراطور البزنطي وعرض عليه الانسحاب مقابل مبلغ من المال يدفع له وهدايا تقدم له .

كل هذه العوامل اجبرت الامبراطور حنا كومنين على ان يقرر الانسحاب من حول قلعة شيزر وقد بدأت قواته بالانسحاب الى مدنية انطاكية يوم ثمانية رمضان عام ٥٣٢ هجرية ـ الحادي والعشرين من نيسان عام ١١٣٨ ميلادية(٤٣) وقد استغرقت فترة الحصار اربعين يوماً(٤٤) وقد تركت القوات الصليبية معدات الحصار بعد انسحابها فسيطرت عليها القوات الاسلامية وقامت قوات الامير عماد الدين زنكي بمطاردة القوات المنسحبة ولم يترك لها فرصة الوقوف حتى اوصلها مدينة انطاكية وقد استولت قواته على كثير من مخلفاتهم وظفرت باعداد كثيرة ممن تخلفوا عن القوات الرئيسية(٤٥) . وقام الامير عماد الدين زنكي بارسال من يخبر السلطان مسعود في بغداد بانسحاب الصليبيين من بلاد الشام وتفاصيل الموقف الذي جرى(٤٦) .

بعد انسحاب قوات الامبراطورية البزنطية الى منطقة قيليقية وعودة قوات امارة الرها الصليبية الى قاعدتها الرئيسية(٤٧) قام عماد الدين باستعادة كفرطاب ٥٣٢ هجرية ـ مايس ١١٣٨ ميلادية واستعاد معرة النعمان وبزاغه والاثارب في خريف نفس السنة(٤٨) وهكذا خسر الصليبيون كل ما حققوه من مكاسب نتيجة حملة الامبراطور البزنطي ، ثم قام عماد الدين بعد ذلك بغارة على حصن عرقة التابع لامارة طرابلس الصليبية وتمكن من احتلاله واسر من فيه من الصليبيين(٤٩) .

كان من اهم نتائج حملة الامبراطور البزنطي ان تجدد العداء بين الامبراطورية البزنطية والصليبيين وان هذا العداء مضافاً اليه ضعف الصليبيين في الشرق خلال هذه

الفترة ادى الى النتائج الاتيه .

١ ـ قيام الامبراطور حنا كومنين بتجريد حملة جديدة عام ١١٤٢ ميلادية غرضها احتلال انطاكية بالقوة وتثبيت حقوق الامبراطورية البزنطية في المناطق التي كانت تابعة لها في بلاد الشام ، الا ان هذه الحملة التي تقدمت من مقـاطعة قيليقية اكتفت بالاغارة على الاقاليم والقرى المجاورة لمدينة انطاكيـة[٥٠] . ثم عادت الى قيليقية لتقضي فصل الشتاء في مدينة المصيصة[٥١] .

٢ ـ أمنت الفرصة للامير عماد الدين للعودة الى الموصل لمعالجة المواقف التي حدثت في شمال العراق وان وجوده في مدينة الموصل جعله يفكر جدياً في القضاء على امارة الرها الصليبية التي اصبحت شبه منعزلة بعد ان دب الضعف في الامارات الصليبية الاخرى وانشغالها بمشاكلها الداخلية التي كان اهمها حرب الحدود التي خاضتها امارة انطاكية الصليبية مع قوات امارة حلب .

وبعد هذه الاحداث عاد الامير عماد الدين زنكي الى الموصل لمعالجة المـواقف فيها .

هوامش الفصل الثالث عشر

١ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٦١

٢ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٣٨

٣ ـ المرجع السابق ٢/ ٣٣٥

٤ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٦٤

٥ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٣٧

٦ ـ المرجع السابق ٢/ ٣٣٨

٧ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٥٨

٨ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٦٦

٩ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٦١ الكامل ٨/٣٥٨

١٠ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٦١

١١ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٨٨

١٢ المرجع السابق ٢/ ٣٤١

١٣ ـ المرجع السابق ٢/ ٣٤١

١٤ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٦٨

١٥ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٤٣

١٦ ـ د. عماد الدين خليل ـ عماد الدين زنكي / ٣٤٣
رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٤٣

١٧ ـ المرجع السابق ٢/ ٣٤٤ ـ د. عماد الدين خليل ـ عماد الدين زنكي /١٤٤

١٨ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/ ٣٤٤

١٩ ـ لم يذكر اي تقدير لهذه القطعات على كثرة المراجع وبالنظر لاهمية العملية فقد حاولت جهد امكاني ومن دراسة ظروف الامارات الصليبية ومقارنة الواجبات التي انجزتها هذه القطعات الوصول لهذا التقدير التقريبي لها .

٢٠ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٥٩

٢١ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٦٥ ـ رنسيمان تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٤٤

٢٢ ـ البلاط ـ من ـ اعمال مدينة حلب وهي مدينة كورة الخوار وقد خربت

٢٣ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٦٥

٢٤ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٦٩

٢٥ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٥٩
٢٦ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٦٥
٢٧ ـ المرجع السابق / ٢٦٥
٢٨ ـ د. عماد الدين خليل ـ عماد الدين زنكي / ١٤٥
٢٩ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٧٠ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٦٥
٣٠ ـ د. عماد الدين خليل ـ عماد الدين زنكي / ١٤٥
٣١ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٦٦
٣٢ ـ المرجع السابق / ٢٦٦
٣٣ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٤٥
٣٤ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٧٠
٣٥ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٩٠
٣٦ ـ عاشور ـ الحرخة الصليبية ١/ ٥٧١
٣٧ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٥٦ الكامل ٨/ ٣٩٠
٣٨ ـ شاكر احمد ابو بدر ـ الحروب الصليبية والاسرة الزنكية / ١٣٥ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٧٢
٣٩ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٧٢
٤٠ ـ د. عماد الدين خليل ـ عماد الدين زنكي / ١٤٧
٤١ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٩٠
٤٢ ـ د. عماد الدين خليل ـ عماد الدين زنكي / ١٤٦
٤٣ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٦٦
٤٤ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٦٤
٤٥ ـ المرجع السابق ٨/ ٣٩٠
٤٦ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٧٤ ـ ابن الاثير الكامل ٨/ ٣٩٠
٤٧ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٦٦
٤٨ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٥١
٤٩ ـ شاكر احمد ابو بدر ـ الحروب الصليبية ـ والاسرة الزنكية / ١٣٧
٥٠ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية / ٢ / ٣٥٧
٥١ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ١/ ٥٧٥

الفصل الرابع عشر

عماد الدين زنكي وامارة دمشق

كان من نتائج فشل حملة الامبراطور البزنطي حنا كومنين على بلاد الشام وتصدى عماد الدين زنكي للقوات الغازية ودوره الفعال في اجبارها على الانسحاب من حول قلعة شيزر ومطاردتها حتى دخولها مدينة انطاكية زيادة اهمية الدور الذي كان يقوم به الامير عماد الدين زنكي من وجهة نظر العالم الاسلامي الذي اخذ ينظر اليه على اعتبار انه مجاهد اسلامي قدير جدير بقيادة القوى الاسلامية ضد الصليبيين . اما بالنسبة لعماد الدين نفسه فانه لازال يرى ان وحدة بلاد الشام مع امارات الجزيرة والموصل هي الطريق السليم للتخلص من الصليبيين وقد عمل طيلة الفترة السابقة لتحقيق هذه الوحدة مستخدماً السياسة مرة والقوة مرة اخرى ولم يبق امامه للسيطرة على بلاد الشام وتحقيق وحدته فيها الا امارة دمشق التي كانت تعتبر العقبة الاخيرة في تحقيق حلمه وبصورة خاصة بعد ان تمكن من ضم مدينتي حمص وحماه المهمتين الى حكمه وبعد ان تحسنت العلاقات بينه وبين الامير شهاب الدين محمود اتابك دمشق الذي تزوج والدته .

ويظهر من سير الاحداث انه كانت هنالك جبهة داخل مدينة دمشق تعارض هذه الوحدة وتحاربها بكل ما أوتيت من قوة لانها كانت ترى في الامير عماد الدين زنكي خطراً على وجودها لما كان يتمتع به من كفاءة قتالية وبعد نظر سياسي وكان المملوك معين الدين أنر يترأس هذه الجبهة بدافع من مصالحه الخاصة والذي كان يحقد على الامير عماد الدين زنكي بعد خروجه من مدينة حمص المهمة بعد زواج زنكي من الاميرة زمرد خاتون والدة اتابك شهاب الدين محمود[1] والظاهر ان حقد معروف الدين جعله يتآمر على الاتابك شهاب الدين محمود ويتفق مع اخيه جمال الدين محمد بن بوري صاحب بعلبك ـ ويؤيد ذلك وجود معين الدين أنر على مسرح الاحداث فوراً وسيطر على الموقف في مدنية دمشق وارسل الى الامير جمال الدين محمد يستدعيه الى دمشق فحضر هذا واصبح اتابكاً لمدينة دمشق وقد فوض امر دولته الى معين الدين أنر الذي سارع الى الزواج من والدة جمال الدين محمد واصبح بعد فترة قصيرة المتصرف بامور دمشق وقد زاد هذا الزواج من نفوذه[2] .

ان تطور الاحداث في امارة دمشق جعلت الامير بهرام شاه اخي شهاب الدين محمود والذي كان يرى لنفسه الحق في امارة دمشق اكثر من اخيه جمال الدين محمد فلنجأ الى الامير عماد الدين يطلب مساعدته في تثبيت حقه في امـارة دمشق ، وطلبت الاميرة زمرد خاتون والدة شهاب الدين محمود من زوجها عماد الدين التدخل لأخذ الثأر من قتلة ابنها[٣] .

اعتبر زنكي هذه الطلبات فرصته الثمينة للتدخل في شؤون امارة دمشق وحجة بالغة لاحتلالها وفي شهر ذي القعدة من عام ٥٣٣ هجرية ترك الموصل قاصداً بـلاد الشام[٤] ، واثناء تقدمه الى دمشق ارسل وفداً الى معين الدين أنر يعرض عليه المغريات العظيمة مقابل تسليمه مدينة دمشق دون قتال فلم يوافق وبالنظر لكون مدينة بعلبك هي امارة معين الدين هذا فقد جعلها اول هدف له فتقدم اليها وحاصرها يوم عشرين ذي الحجة عام ٥٣٣ هجرية وضيق عليها بعد ان شدد هجماته على اسوارها التي نصب امامها اربعة عشر منجنيقاً كانت ترميها ليل نهار حتى ارغم اهلها على الاستسلام فدخل المدينة اولاً وبعد ذلك استسلمت له قلعتها[٥] . ان انشغـال الامير عمـاد الدين زنكي باحتلال مدنية بعلبك أمن الوقت الكافي لمعين الدين أنر للاخـذ باسبـاب الدفاع التي تساعده في الوقوف بوجه قوات الامير عماد الدين وبعد سماع اهالي دمشق بما فعله زنكي مع المدافعين عن قلعة بعلبك الذين اعدمهم بعد ان اعطاهم عهد الامان خافوه وتمسكوا بالدفاع عن مدينتهم فضلاً عن كونهم يوالون عائلة الاتابك بوري كثيراً[٦] . وبعد ان استقر الموقف لعماد الدين في مدينة بعلبك ورتب امورها تقدم باتجاه مدينة دمشق خلال شهر ربيع الاول من عام ٥٣٤ هجرية فوصل البقاع وارسل الى جمال الدين محمـد اميرها الجديد يعرض عليه امارة حمص او بعلبك مقابل تسليمه مدينة دمشق[٧] حقناً للدماء وكان جمال الدين يميل الى هذا الحل الاّ ان معين الدين أنر الذي اصبح في هذا الوقت صاحب الكلمة العليا في مدينة دمشق لم يوافق واجبر اميرها على رفض عرض عماد الدين زنكي ، فكان من نتيجة ذلك ان تقدمت قوات زنكي الى دمشق فوصلت داريا

في اليوم الثالث عشر من شهر ربيع الاول من عام ٥٣٤ هجرية[٨] ، وهنا اصطدمت طلائع هذه القوات بقوات خفيفة من قوات امارة دمشق وكان النصر لقوات زنكي وانهزمت فلول قوات دمشق بعد ان تكبدت خسائر كبيرة الى داخل المدينة . ثم تقدمت قوات زنكي بعد هذه المعركة الى مدنية دمشق فنزلت منطقة المصلى[٩] وهنا جرت معركة بين قوات امارة دمشق التي تحشدت وتهيأت للقتال وبين قوات الامير عماد الدين زنكي كانت الغلبة فيها لقوات الامير عماد الدين زنكي التي اوقعت بالدماشقة خسائر كبيرة ووقع كثير من جند دمشق اسرى بيد القوات الزنكية وقد ساء موقف المدينة بعد هذه المعركة بحيث اوشكت على الوقوع بيد قوات عماد الدين ، الاّ ان عماد الدين لم يرغب بدخول المدينة عنوة فابقى قواته حول اسوارها وارسل الى اميرها جمال الدين محمد يعرض عليه مرة اخرى العرض السلمي الذي سبق ان قدمه له حقناً للدماء الا ان معين الدين أنر ومن ورائه مؤيديه اخذ يخوف جمال الدين هذا من غدر عماد الدين بهم بعد تسلمه المدينة كما فعل ذلك في قطعات قلعة بعلبك فرفض عرض زنكي وعاد القتال بين الطرفين بعد عشرة ايام من توقفه[١٠] . وخلال هذه الفترة توفي امير دمشق جمال الدين محمد يوم ٨ شعبان من عام ٥٣٤ هجرية وهو الذي يميل الى التفاهم مع عماد الدين حقناً للدماء وانقطع الامل بوفاته في حل المشكلة سلمياً[١١] .

تمكن معين الدين أنر وبطانته من تنصيب الامير مجيد الدين أبق بن جمال الدين محمد اميراً على دمشق وبعد وصول هذه الاخبار الى عماد الدين تقدم نحو المدينة واخذ يهاجمها بشدة وكان يتوقع حدوث خلاف بين المسؤولين فيها يستفيد هو منه الاّ ان ذلك لم يحدث بل جابهت قواته مقاومة عنيفة وثباتاً من جانب قوات امارة دمشق مما جعله يخفف من هجماته ويكتفي بمحاصرتها ، وهنا لعبت الخيانة والاطماع الشخصية دورها الفعال في الوقوف ضد وحدة بلاد الشام مع امارات شمال العراق وذلك لتشكيل جبهة واحدة تقف بوجه الغزاة الصليبيين الذين احتلوا مساحات كبيرة من ارض العرب فتحركت هذه الخيانة في نفس معين الدين أنر الذي قدر ان مصلحته الشخصية اصبحت على وشك الزوال فزاد حقده على عماد الدين بطل الجهاد الاسلامي بعد ان شدد الخناق حول مدينة دمشق واصبحت الاحداث تسير كما خطط لها .

قام معين الدين أنر بالبحث عن حليف له يخرجه من المأزق الذي هو فيه فلم يجد من يقف الى جانبه من الامراء المسلمين فمد يده الى العدو الغاصب فبعث بسفارة الى الملك فولك ملك بيت المقدس برئاسة اسامة بن منقذ يطلب مساعدته على دفع عماد الدين عن مدينة دمشق[١٢] واخذ يقنع الاعداء بان وجود عماد الدين في دمشق يعد خطراً على وجودهم في بيت المقدس فكان هذا العرض فرصة للملك فولك لتحقيق ما يأتي :ـ

١ ـ الافادة من قوات امارة دمشق في مساعدة الصليبيين عند الاصطدام بقوات عماد الدين التي كانت تشكل الخطر الحقيقي على الوجود الصليبي في دمشق[١٣] .

٢ ـ كانت مملكة بيت المقدس تسعى لتأمين حدودها الشرقية والجنوبية وان محالفة امارة دمشق لها امنت حدودها الشرقية واصبح لدى الملك فولك الوقت الكافي والمصادر التي يجعله يحصر اهتمامه بتأمين حدود مملكته الجنوبية فقط وقد ساعده هذا الموقف على القيام بانشاء عدد من الحصون قرب مدنية عسقلان.ثم قام ببناء حصن الكرل شرق البحر الميت والى الجنوب منه فاصبح هذا الحصن وحصن الشربل متساندين ويعدان خط الدفاع الامامي الاول عن مدنية القدس[١٤] .

٣ ـ رأى الملك فولك في عرض معين الدين أنر هذا فرصته الملائمة للحصول على مكاسب مالية وتوسعيه على حساب الامارات الاسلامية ونتيجة لذلك فقد تعهد معين الدين أنر بان يدفع للملك فولك عشرين الف دينار شهرياً طيلة مدة قيام القوات الصليبية بمساعدته على اساس[١٥] نفقاتها وان يقوم بمساعدة الملك فولك بالاستيلاء على حصن بانياس الذي كان تابعاً لعماد الدين زنكي[١٦] . وقد تم الاتفاق بين معين أنر الذي كان يمثل امارة دمشق والملك فولك ملك بيت المقدس[١٧] وبموجب هذا الاتفاق تقدمت القوات الصليبية بقيادة الملك فولك خلال شهر نيسان من عام ١١٣٩ ميلادية ـ ٥٣٤ هجرية بعد ان ارسل الى رايموند بواتيه امير انطاكية يطلب منه التقدم قاصداً منطقة الجليل لمساعدته ، وقد تم تحشد القوات الصليبية عند طبرية ومن هنا قام الملك بارسال قوات

استطلاع خفيفة للامام[١٨] لاستطلاع الموقف .

بعد وصول اخبار تقدم القوات الصليبية الى الامير عماد الدين قرر ترك محاصرة مدينة دمشق والتقدم الى اقليم حوران لمواجهتها قبل ان يترك الفرصة لانضمام قوات دمشق اليها وقد شرع بالتقدم في اليوم الخامس من شهر رمضان عام ٥٣٤ هجرية[١٩] . يم يجازف الملك فولك بعبور نهر الاردن والتقدم نحو القوات الزنكية الموجودة في اقليم حوران وحده لذلك بقيت القوات الصليبية قرب طبرية وبعد ان رأى الامير عماد الدين زنكي بقاء القوات الصليبية في معسكراتها عاد لمحاصرة مدينة دمشق فنزل منطقة عذرا الواقعة شمال المدينة في اليوم الرابع والعشرين من شهر شوال عام ٥٣٤ هجرية وقام باحراق عدة ضياع واقعة في المرج والغوطة . وفي هذا الوقت وردت معلومات الى عماد الدين تفيد بان القوات الصليبية تتقدم باتجاه مدينة دمشق لمساعدتها فقدر موقفه واستنتج عدم مساعدة موقف قواته لقمابلة القوات الصليبية زائداً قوت امارة دمشق فقرر الانسحاب من المنطقة وفي يوم السبت السابع والعشرين من شهر شوال عام ٥٣٤ هجزية ـ اوائل مايس عام ١١٤٠ ميلادية باشرت قواته بالانسحاب نحو بعلبك وعد وصولها ارسل يطلب النجدات لمواجهة الموقف الجديد[٢٠] .

تقدمت القوات الصليبية بقيادة الملك فولك باتجاه دمشق فوصلتها بعد انسحاب عماد الدين الى بعلبك واجتمع الملك بمعين الدين أنروطاليه بمساعدته في احتلال حصن بانياس كما ينص الاتفاق الذي عقد بينهما[٢١] . ثم تقدمت القوات الصليبية وقوات امارة دمشق باتجاه حصن بانياس وقبل تقدمها باسبوع كان امير حصن بانياس المدعو ابراهيم ين طوغت قد خرج باتجاه مدنية صور للاغارة عليها وكان يقدو قوة صغيرة وعندما كان في طريقه صادفته قوات امارة انطاكية الصليبية التي كانت متجهة لمعاونة االلك فولك في عملياته ضد عماد الدين فاصطدم ابراهيم بن طوغت بهذه القوات التي كانت متفوقة على قواته بنسبة كبيرة فتمكنت من التغلب عليه وقد استشهد هو نفسه في المعركة

وانسحبت بقية قوته الى حصن بانياس بعد ان جمعت المتطوعين من البقاع وقد دخلت الحصن واستعدت للدفاع عنه[٢٢] .

اجتمعت القوات الصليبية التي كانت تضم مملكة بيت المقدس وقوات امارة انطاكية وقوات امارة دمشق الاسلامية حول حصن بانياس وقام معين الدين أنر تساعده القوات الصليبية بتشديد الهجمات على حصن بانياس حتى ضاقت على المدافعين السبل وبعد ان قلت الاقوات قدروا ان لا مفر من الاستسلام ، فاستسلم الحصن الى معين الدين أنر فاخذه وسلمه الى الصليبيين ثم عادت قوات دمشق الى قاعدتها[٢٣] .

بقي الامير عماد الدين زنكي يراقب الموقف من مدينة بعلبك ولم يجازف بالتقدم لنجدة حصن بانياس وذلك للاسباب الاتية :ـ

١ ـ تفوق القوات المعادية بنسبة كبيرة وعدم ورود نجدات جديدة له من جهة وان سقوط حصن بانياس بسرعة لعدم استطاعة حاميته الصمود مدة طويلة لكسب الوقت وان مقتل قائد الحامية خارج الحصن له اثر كبير على صموده .

٢ ـ كان الامير عماد الدين زنكي يعتبر رمزاً للجهاد الاسلامي ضد الصليبيين وكان للانتصارات التي حققها على الصليبيين اثر كبير على معنوياتهم وهذا جعله حذراً خلال هذه الفترة واراد ان لايعطي للصليبيين فرصة للنصر عليه تؤدي بالنتيجة الى رفع معنوياتهم والتقليل من سمعته كقائد لم يتمكن الصليبيون من قهره لحد الآن .

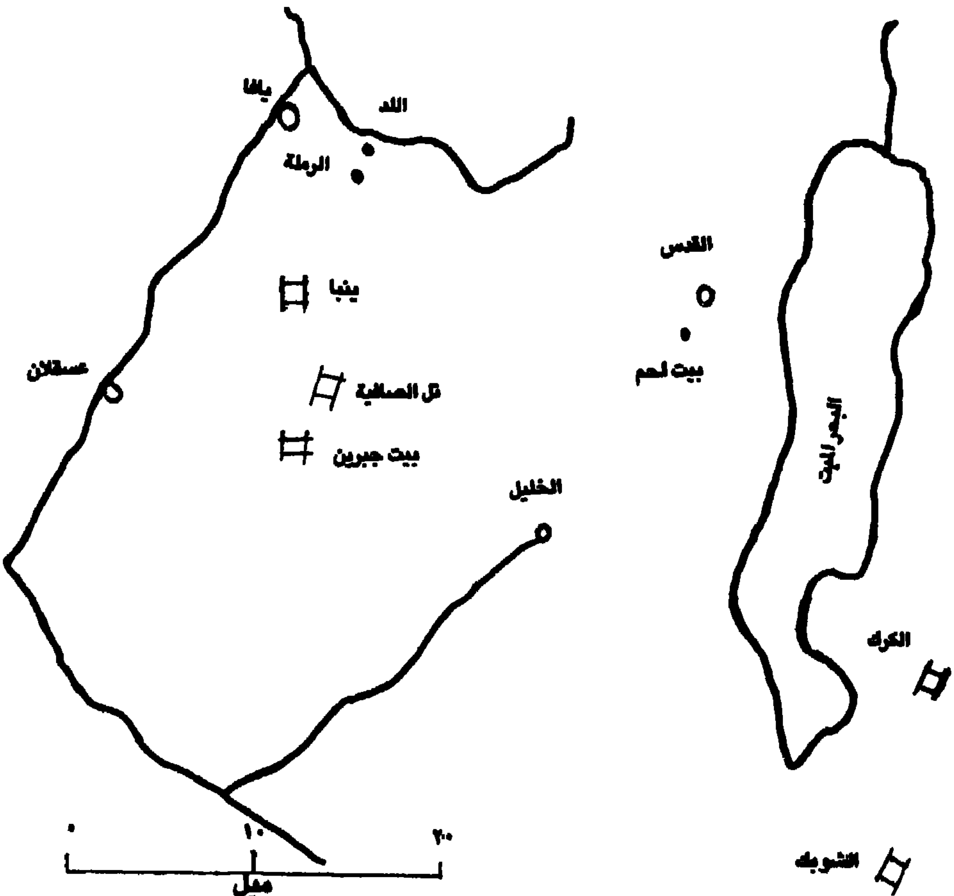
وعندما وصلته اخبار سقوط حصن بانياس بيد معين الدين أنر وقيام هذا الخائن بتسليمه للصليبيين وعودته الى دمشق قرر القيام بحركة انتقامية مفاجئة على اقليم امارة دمشق فقد نظم قواته على شكل ارتال خفيفة وسريعة الحركة وجهها الى اقليم حوران والفوطة من اعمال امارة دمشق وسريها للاستيلاء على كل ما تصل اليـه ايديهم من الماشية والاموال والارزاق ثم تقدم هو يقود رتلاً من قواته الخاصة الى مدينة دمشق ليمنع قواتها من التدخل باعمال ارتاله التي ارسلها الى اقليمي حوران والفوطة[٢٤] .

تقدم الامير عماد الدين زنكي على رأس رتله الرئيسي الى مدينة دمشق ليلاً فوصلها

فجر يوم السبت الموافق السابع من شهر ذي القعدة عام ٥٣٤ هجرية ـ ٢٢ حزيران ١١٤٠ ميلادية[٣٥] وتقرب من سور المدينة ولم يشعر به احد وعند مطلع الفجر فوجيء اهالي دمشق بقوات عماد الدين حول مدينتهم فخرجت قوات دمشق لمواجهتها الا ان عماد الدين لم يقرر الاشتباك معها بقتال جدي فقد كانت غايته عدم اعطاء المجال لقوات امارة دمشق بالتدخل في الغارات التي شنتها ارتاله السيارة التي توجهت نحو اقليم حوران والفوطة لجمع الغنائم . وبعد ان اخذت ارتـاله تتجمع مـع غنائمهـا في مرج راهط[٣٦] وبعد ان اكتمل تجمع ارتاله انسحب الى بعلبك ومنها الى مدنية حلب ثم ترك ساحة حركات بلاد الشام بعد ان خشي على مدنية دمشق من معين الدين أنر الذي توقع انه سوف يسلمها الى الصليبيين فيما اذا استمر هو على مضـايقتها[٣٧] . ولم تشهـد السنين المقبلة فعاليات مهمة بعد تدعيم التحالف بين الخائن معين أنر والصليبية فقد اقتصرت جميع الفعاليات في ساحة حركات بلاد الشام على بعض الغارات الحدودية التي قامت بها قوات امارة حلب بين عامين ٥٣٦ هجرية و ٥٣٨ هجريـة . فقد قـامت قوة اسلامية في عام ٥٣٦ هجرية بقيادة لجة التركي الذي ترك امارة دمشق والتحق بخدمة عماد الدين زنكي بعد اتفاق معين الدين أنر مع الصليبيين بغارة على مناطق الصليبيين اوقعت بهم خسائر تقدر بسبعمائة قتيل اضافة الى الغنائم التي حصل عليها[٣٨] ، وفي نفس السنة قام الامير علم الدين بن سوار بغارة على منطقة انطاكية وعاد بالغنائم . كما صدت قوات امارة حلب غارة للصليبيين على منطقة بزاغه ، كما قام الامير سوار نائب عماد الدين في حلب بهجوم على القوات الصليبية لامارة انطاكية واستطاع ان يهزمها ثم عبر العاصي وعاد بالاسرى من قواتهم وغنم منهم الكثير عام ٥٣٨ هجرية .

التحالف الدمشقي الصليبي وأثره على حركة الجهاد
راجع خارطة رقم (١١)

كان للتحالف الذي عقد بين أمارة دمشق ومملكة بيت المقدس الصليبية آثار كبيرة على حركة الجهاد الاسلامية من جهة وعلى تثبيت مصالح الصليبيين من جهة اخرى[٣٩]



خارطة رقم (١١)

الحصون الصليبية في ساحة العمليات الجنوبية

اما هذه الاثار فهي مايلي :ـ

١ ـ امّا بالنسبة لحركة الجهاد الاسلامي فقد ادى هذا الحلف الى تجميد هذه الحركة لمدة طويلة فعندما رأى عماد الدين ان قواته غيركافية لمواجهة قَوات هذا التحالف وان حقد الخائن معين الدين أنر عليه قد يدفعه الى تسليم مدينة دمشق للصليبيين نكاية به فقد اضطر الى الانسحاب من ساحة حركات بلاد الشام عام ٥٣٤ هجرية ـ ١١٤٠ ميلادية تحت تأثيرُ هذه العوامل ونتيجة لذلك فان ساحة حركات بلاد الشام لم تر عمليات كبيرة ضد الصليبيين طيلة الفترة التي اعقبت هذا التاريخ وحتىٰ مجييء نور الدين محمـود بعد مقتـل الامير عمـاد الدين زنكي .

٢ ـ أن انسحاب الامير عماد الدين زنكي من ساحة حركات بلاد الشام جعله يحصر اهتمامه في المناطق الشمالية لامارتي الموصل والجزيرة وقد دفعه ذلك الى التفكير جدياً بالقضاء على امـارة الرها الصليبيـة التي حان وقت معـالجتها والقضاء عليها حسب تقديره وبعد ان اصبح تحقيق هدفه بضم امارة دمشق للوحدة التي كانت تشغل تفكيره كله بعيداً عن التحقيق .

٣ ـ كان الملك فولك يفكر بالوسائل التي تساعده على تأمين حدود مملكته من جميع الجهات، الا ان هجمات عماد الدين المتلاحقة على الصليبيين لم تسمح له بالتفرغ لتأمين حدود مملكته فقد كانت الامـارات الصليبية كلهـا واقعة تحت تـأثير الهجمات التي تقوم بها القوات الاسلامية ومن جميع الجهات .

٤ ـ ورغم استكانة جبهة الحركات الجنوبيـة فان حـدود مملكة بيت المقـدس الجنوبية كانت خالية من القلاع والحصون التي تؤمن حمايتها وان تحـالف امارة دمشق مع مملكة بيت المقدس أمن لها حدودها الشمالية وبصورة خاصة بعد احتلال حصن بانياس وتسليمه للصليبيين والى جانب حصن بانياس قام الملك فولك ببناء قلعة صفد عام ١١٤٠ ميلاديةعلى جبل مرتفع يشرف على الجزء الشمالي من اقليم الجليل وتسيطر على طريق دمشق[٣٠] ـ عكا . وان هذا التحالف وما اعقبه من انسحاب عماد الدين من الميدان قد يسر الوقت والجهود اللازمة

للملك فولك لتحويل اهتمامه الى الحدود الجنوبية والجنوبية الشرقية ، فقد امر الملك فولك بتشديد ثلاث قلاع ضخمة على الحدود الجنوبية لملكته وذلك لدرء خطر الغارات التي كان يشنها المصريون من وقت لآخر من مدينة عسقلان قاعدتهم الامامية وتلافي قلة عدد المقاتلين فقد قام بتشديد القلاع والحصون التي تعوض عن هذا النقص[٣١] . فقد قام بتشيد القلعة الاولى في يبنا التي تبعد عشرة اميال الى الجنوب الغربي من مدينة اللدد تتحكم ي منطقة غزيرة بالمياه وتسيطر على طريق عسقلان – يافا وطريق عسقلان الرملة[٣٢] كما شيدت القلعة الثانية الى الجنوب من يبنا على تل يدعى تل الصافية ، اما القلعة الثالثة فقد شيدت في بيت جبرين وتقع هذه القلعة على الطريق الذي يربط مدينة عسقلان بمدينة حبرون. كان لهذه القلاع اثر فعال في حماية الحدود الجنوبية لملكة بيت المقدس الصليبية كما انها اتخذت فيما بعد قواعد متقدمة للقوات الصليبية التي غزت مصر[٣٣] .

اما بالنسبة للحدود الجنوبية الشرقية فقد تيسر الوقت للملك فولك ان يهتم بالمنطقة الواقعة جنوب وشرق البحر الميت حيث كانت هذه المنطقة منفذاً للمغيرين من قوات العشائر العربية التي كان هدفها الاغارة على مملكته للحصول على الغنائم الا ان هذه الغارات لم تكن منتظمة وعلى نطاق واسع بل كان لها آثار كبيرة على عدم استقرار المنطقة بحيث اجبرت الملك فولك على الاهتمام بهذه المنطقة ، فعلاوة على حصن الشوبك الواقع الى الجنوب من البحر الميت وبالنظر لعدم كفالية هذا الحصن في منع المتسللين من قوات العشائر العربية فقد امر الملك فولك ببناء حصن الكرك الذي اطلق عليه اسم حجر الصحراء لمناعته[٣٤] وقد اصبح الحصنان خط دفاع المملكة ضد المتسللين من العرب كما انه اصبح كهذين الحصنين واجب آخر علاوة على حماية حدود المملكة من المتسللين فقد كان لهما آثار كبيرة في السيطرة على طرق المواصلات التي كانت تربط مصر ببلاد الشام ..

وخلال شهر تشرين الثاني من عام ١١٤٣ ميلادية توفي الملك فولك في مدينة عكا

بعد ان قام بجهد كبير في تدعيم حدود مملكته وانشاء القلاع والحصون اللازمة لتأمين هذه الحماية كما انه تمكن من التحالف مع امارة دمشق وهذا غاية ما كانت تطمح به سياسة الملك فولك الذي رأى ان على الصليبيين ان لايمتنعوا عن التفاهم مع المسلمين لكي تستديم اماراتهم في الشرق[٣٥] . وقد خلفه في حكم مملكة بيت المقدس الصليبية ابنه بولدوين البالغ من العمر الثالثة عشرة تحت وصاية والدته ميليسند التي تمكنت بدهائها من السيطرة والانفـراد في حكم المملكة .

هوامش الفصل الرابع عشر

١ ـ د حسين مؤنس نور الدين محمود / ١٦٩ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/ ٣٦٤

٢ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ٢/ ٥٨٤

٣ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٦٩

٤ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٦٤ ـ د. عماد الدين خليل عماد الدين زنكي / ١٤٨

٥ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٦٩

٦ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/ ٢٦٣ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٦٥

٧ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٧٠ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٦٧

٨ ـ داريا ـ ضاحية من ضواحي مدينة دمشق .

٩ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٦٧ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٧٠

١٠ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٦٧

١١ ـ د حسين مؤنس نور الدين محمود / ١٦٨ ـ ولايستبعد الاتهام الذي توجه الى معين الدين انر حول مقتل امير دمشق جمال الدين محمد بعد ان رأى تقبله للحل السلمي الذي عرضه عليه عماد الدين زنكي كما تآمر على قتل اخيه من قبل .

١٢ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٧٢

١٣ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ٢/ ٥٨٦

١٤ ـ د. حسين مؤنس نور الدين محمود / ١٧١

١٥ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٧٢

١٦ ـ عاشور الحركة الصليبية ٢/ ٥٨٦

١٧ ـ المرجع السابق ٢/ ٥٨٦

١٨ ـ امن خروج امارة دمشق من قتال الصليبيين حدود مملكة بيت المقدس الصليبية من الشمال ومن الشرق ولم يقف الامر عند هذا الحد بل اصبح جيش هذه الامارة الاسلامية يشارك الصليبيين في قتالهم المسلمين كما فعل عند حصن بانياس الذي احتلته القوات الاسلامية عام ٥٢٦ هجرية ١١٣٢ ميلادية واصبح تابعاً لعماد الدين زنكي . وان معين الدين انر هذا يشبه الى حد كبير الخائن انور السادات رئيس جمهورية مصر العربية عندما وقع مع اليهود اتفاقيات كمب ديفيد التي كان الغرض منها :ـ

١ ـ اخراج مصر من حضيرة المقاومة العربية والكفاح المسلح المستمر وتامين حدود اسرائيل الجنوبية لتتفرغ للجبهات الاخرى وتعمل بحرية وهي مطمئنة على حدودها الجنوبية .

٢ ـ تحاول اسرائيل دائماً قتل روح الكفاح المسلح المستمر في نفوس العرب على اساس ايهامهم بانها اقوى منهم جميعاً وانهم لن يستطيعوا القضاء عليها ، وعليه يجب التفاهم معها والعيش بسلام مزعوم عن طريق الاتفاقيات الانفرادية مع الدول العربية المحيطة بها .

المؤلف

١٩ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٦٧

٢٠ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٧٢

٢١ ـ المصدر السابق / ٢٧٢

٢٢ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٦٧

٢٣ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٧٣

٢٤ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٨/ ٣٦٨

٢٥ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ٢/ ٥٨٧

٢٦ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٧٣

٢٧ ـ د. حسين مؤنس نور الدين محمود / ١٧١

٢٨ ـ شاكر احمد ابو بدر ـ الحروب الصليبية والاسرة الزنكية / ١٣٨

٢٩ ـ باركر ـ الحروب الصليبية / ٥٠

٣٠ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ٢/ ٥٨٨

٣١ ـ فيلد مارشال منتجمري ـ الحرب عبر التاريخ ٢/٢٥٢

٣٢ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٦٨

٣٣ ـ د. حسين مؤنس نور الدين محمود / ١٧١

٣٤ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٧٠

٣٥ ـ المرجع السابق ٢/ ٣٦٧

الفصل الخامس عشر

القضاء على امارة الرها الصليبية

كان عماد الدين طيلة الفترة التي سبقت التحالف الدمشقي الصليبي قد حصر اهتمامه وكرس جهوده لتحقيق وحدته المنشودة التي اخذت الحيز الكبير من تفكيره ، ولذلك فانه عقد هدنة موقتة مع الامير جوسلين امير الرها في بداية تقدمه من الموصل نحو بلاد الشام لغرض ضمان عدم قيام هذه الامارة باعمال قتالية ضده ولم يتعرض هو شخصياً لهذه الامارة طيلة الفترة التي كان مشغولاً خلالها في ساحة حركات بلاد الشام .

وبعد التحالف بين الخائن معين الدين أنر والملك فولك وبعد ان قدر الامير عماد الدين ان بقاءه في ساحة حركات بلاد الشام ليس بصالح القضية الاسلامية وان استمرار تضييقه على مدينة دمشق قد يدفع الخائن معين الدين أنر الى تسليم المدينة للصليبيين نكاية به وتحت تأثير هذه العوامل ترك ساحة حركات بلاد الشام واتجه الى الموصل عام ٥٣٤ هجرية .

الموقف الصليبي العام

---

١ ـ بعد ان توفي الملك فولك ملك مملكة بيت المقدس الصليبية عام ١١٤٣ ميلادية خلفه على عرش المملكة ابنه الصبي واصبحت ارملته ميتسيلند وصية على العرش[١] وبالنظر لضعف اوضاع هذه المملكة خلال هذه الفترة فان سيطرتها على الامارات الصليبية الاخرى اصبحت ضعيفة بدرجة جعلت هذه الامارات لاتعترف بتبعيتها للمملكة في كثير من المواقف وكان ذلك سبباً في تشتيت القوى الصليبية في الشرق والقضاء على روح التعاون فيما بينها .

٢ ـ ومن ناحية اخرى فان الكره الذي كان يحمله الامير جوسلين الثاني امير الرها للامير رايموند[٢] بوانيه امير انطاكية والذي كان يعتبر تابعاً له جعل جوسلين هذا يخلع تبعيته لامارة انطاكية وينفرد في ادارة حكم امارته ، وان تقدم امير انطاكية على رأس قوة باتجاه مدينة حلب واحتلال المناطق لها حتى مدينة بزاغه وقيام جوسلين الثاني في هذا الوقت بعقد هدنة مع الامير سوار[٣] نائب زنكي في مدينة حلب جعلت الامير سوار يتفرغ لمواجهة قوات امارة انطاكية وكانت هذه

الهدنة سبباً في توسيع شقة الخلاف فيما بين امارتي الرها وانطاكية .

٣ ـ بعد ان توفي الامبراطور حنا منين وانسحاب الجيش البزنطي من منطقة قيليقية وانسحاب عماد الدين من ساحة حركات بلاد الشام وبعد ان تم تنصيب الامبراطور مانويل كومنين قدم الامير رايموند بواتيه امير انطاكية طلباً الى الامبراطور البزنطي يطلب فيه تسليم مدن قيليقية التي كانت تسيطر عليها امارته واحتلها الامبراطور حنا كومنين(٤) وعندما رفض الامبراطور مانويل هذا الطلب قام رايموند بواتيه بغزو منطقة قيليقية واحتلال مدنها مما دفع الامبراطور الى تجريد حملة بحرية وبرية وجهها الى مقاطعة قيليقية ادت بالنتيجة الى طرد قوات امارة انطاكية من المقاطعة ومطاردتها حتى اوصلتها الى اسوار مدينة انطاكية(٥) وقد ادت هذه الحملة الى اضعاف امارة انطاكية الى الدرجة التي جعلتها غير قادرة على الحركة عندما قام عماد الدين بمهاجمة مدينة الرها .

الموقف الاسلامي

كان من نتيجة التحالف بين امارة دمشق والصليبيين ان تجمد الموقف خلال هذه الفترة وانصرفت مملكة بيت المقدس الى تدعيم موقفها الدفاعي على الجبهات الاخرى كما ان امارة دمشق تجنبت خلال حكم معين الدين أنر التحرك على جبهات القتال الصليبية ، اما بالنسبة لامارة حلب فقد انشغلت بحرب الحدود التي اقتصرت على القيام بغارات كانت تتبادلها مع امارة انطاكية الا ان قوات امارة حلب كان الكثر فعالية من قوات امارة انطاكية ، اما بالنسبة للموقف بين امارة حلب والامارة الرها الصليبية فقد تجمد بعد عقد الهدنة بين الامير سوار نائب زنكي وبين الامير جوسلين امير الرها .

اما بالنسبة لساحة الحركات الجنوبية فان الموقف فيها كان لايشكل خطراً على الوجود الصليبي خلال هذه الفترة وذلك لموقف الخلافة الفاطمية الهزيل ، وقد امن الموقف على هذه الساحة الملك فولك بعد ان امر ببناء الحصون التي اصبحت بعد ان اكمل بناؤها خط الدفاع الاول عن المملكة من جهة الجنوب .

بعد ان وصل عماد الدين زنكي مدينة الموصل واكملت قطعاته فترة الطلبة تنظيم

كافية وبعد ان اسقط ساحة حركات بلاد الشام من حساباته اخذ يفكر جدياً بمهاجمة امارة الرها الصليبية والقضاء عليها لتأمين طرق مواصلاته التي تربط قاعدته الرئيسية بساحة حركات بلاد الشام(٦) والتي كانت هذه الامارة مصدر تهديد لها باستمرار . وقد اصبحت ظروف عماد الدين ملائمة للقيام بهذا اواجب الا انه كان ينتظر الفرصة المناسبة وكان حبه للجهاد قد دفعه بمهاجمة هذه الامارة حيث لم يبق امامه ساحة حركات تشبع رغبته في الجهاد سوى امارة الرها الصليبية بعد ان تركه ساحة حركات بلاد الشام .

لقد ساعدت الظروف خلال هذه الفترة عماد الدين تحقيق هدفه الذي اخذ يخطط له دون ان يبوح لاحد بما ينوي عمله ـ وبالاضافة الى العوامل المساعدة التي ذكرناها في الموقف الصليبي والتي ادت الى ضعف موقفهم القتالي وقلة كفاءة ومقدرة قادتهم كان الموقف الاسلامي يعتبر عماد الدين رمز القيادة والجهاد في العالم الاسلامي فعندما يطلق نداء الجهاد لمقاتلة الصليبيين يتقاطر على جيشه الآف المتطوعين من المجاهدين من مختلف القوميات الاسلامية ودون تميز . وكان يرقب الاضواء العامة في المنطقة كلها وهو في مدينة الموصل ، فبعد وفاة الامبراطور حنا كومنين وخروج قوات الامبراطورية البزنطية التي كانت في هذا الوقت تمثل القوة الصليبية الرئيسية في المنطقة وانشغال خلفه مانويل بتدبير شؤون امبراطوريته الداخلية والقتال الذي نشب بين قواته وقوات امارة انطاكية في مقاطعة قيليقية مما ادى الى تزايد الخلاف بين الامبراطورية البزنطية والصليبيين في الشرق(٧) ، كما ان عدم وجود ملك قوي في هذه الاثناء يحكم مملكة بيت المقدس وينظم علاقات الصليبيين جعل الخلافات تتجسم فيما بين الامارات الصليبية الاخرى وبصورة خاصة الخلافات التي كانت بين امير انطاكية وامير الرها .

ان هذه العوامل جعلت عماد الدين يقرر ان الوقت قد حان لضرب امارة الرها الصليبية والقضاء عليها وذلك باحتلال مدينة الرها المراكز الصليبية الاخرى الكائنة شرق نهر الفرات فاخذ يعد العدة لذلك دون ان يظهر ماينوي عليه من اغراض لاحد .

كان جوسلين الثاني امير الرها قد عقد تحالفاً مع قره ارسلان الارتقي امير ديار بكر اعتبره عماد الدين موجهاً ضده(٨) ونتيجة لهذا الحلف اعتقد جوسلين الثاني انه قد

امن على عاصمة امارته من أي هجوم يأتيها من الشرق والذي كان متوقعا من امارة الموصل ، وقد اعتقد جوسلين الثاني ان اي تقدم يحصل من قبل عماد الدين قاصداً امارته سوف يصطدم اولاً بأمرة حلفائه الاراتقة وسيؤمن ذلك له الوقت الكافي للعودة الى مدينة الرها للدفاع عنها وكان تقديره هذا خاطئاً لانه عندما خرج على رأس قواته باتجاه مدينة حلب لملاقاة قوات امارة انطاكية التي تقدمت في هذا الوقت حتى وصلت مدينة بزاغة الواقعة الى الشمال الشرقي من مدينة حلب تغيرت الظروف وتمكن الامير سوار نائب زنكي في حلب من عقد هدنة مع جوسلين الثاني ادت بالنتيجة الى طرد قوات امارة انطاكية من المنطقة وبعدها توجهت قوات امارة الرها الى تل باشر[9] للراحة ، وهكذا اتاحت الفرصة الكاملة لعماد الدين للتقدم نحو مدينة الرها وكانت عيونه التي بثها لمراقبة الموقف قد اخبرته بخلو مدينة الرها من اميرها وقواتها[10] .

تقدم عماد الدين نحو مدينة الرها

تعدّ مدينة الرها من المدن الحصينة لها اسوار قوية تجعل لها القدرة على الصمود بوجه الغزاة وتتحمل الهجمات القوية والحصار الطويل[11] . وكانت المدينة في هذا الوقت خالية من المقاتلين لتقدم اميرها جوسلين الثاني على رأس قواته غرباً وقد ترك امر الدفاع فيها الى السكان الارمن ولم يعر الدفاع عنها اي اهمية لثقته بمناعتها وامكانياتها الدفاعية واطمئنانه الى التحالف الذي عقده مع الاراتقة الذين سيشغلون عماد الدين عند تقدمه . الا ان عماد الدين كان دقيقاً في تقديره للموقف وقد وضع خطته لاحتلال مدينة الرها وكانت ذات شقين هما :ـ

١ ـ خطة التقدم من الموصل الى مدينة الرها . بيت هذه الخطة على مبدأين اساسيين هما :ـ

آ ـ المباغتة

ب ـ سرعة التقدم

اما بالنسبة للمباغتة فقد استهدف خداع العدو فاصدر اوامره بالتقدم على اساس ان هدفه مدينة ديار بكر وشرع في التقدم باتجاهها وقد سبق ذلك بانه لم يفصح

لاي احد بانه هدفه الحقيقي كان مدينة الرها وان شدة كتمانه جعل الصليبيين يعتقدون ان حركته هذه لن تتجاوز مدينة ديار بكر[١٢] .

اما بالنسبة لسرعة التقدم فقد قرر بعد وصوله منطقة ديار بكر الحركة باسرع مايمكن والوصول الى مدينة الرها بحيث ان حركته هذه سوف لن تعطي الوقت اللازم لاميرها جوسلين الثاني للعودة الى مدينة الرها ودخولها والتحصن بداخلها[١٣] .

٢ ـ اما خطة احتلال مدينة الرها فكان عامل الوقت هو المهم في وضعها فكانت تقضي بعدم اطالة مدة الحصار والاسراع باحتلالها وذلك لسببين هما :ـ

آ ـ عدم اعطاء الفرصة للقوات الصليبية ان تتجمع وتتقدم لرفع الحصار عن مدينة الرها .

ب ـ عدم اعطاء الفرصة للصليبيين للتفاهم مع الامبراطورية البزنطية وقيام الاخيرة بارسال قواتها لنجدة مدينة الرها قبل سقوطها .

عدّ عماد الدين تحالف جوسلين الثاني مع قره ارسلان امير ديار بكر موجهاً ضده وهكذا وجد عذراً لمهاجمة مدينة الرها[١٤] التي كان قد تحالف مع اميرها جوسلين ، كان عماد الدين يرقب الموقف في منطقة بلاد الشام بعين القائد الخبير الذي يعرف كيف ومتى يقتنص الفرص لضرب عدوه ومتى يحجم ليجنب قطعاته مرارة الهزيمة فكان في هذا الوقت من خريف عام ٥٣٨ هجرية ١١٤٤ ميلادية يرقب المنازعات التي كانت دائرة بين جوسلين الثاني امير الرها ورايموند بواتيه امير انطاكية اللذين اخذت العلاقات تزداد سوءاً[١٥] بينهما حتىٰ قدّر انها بلغت درجة من السوء بحيث انعدم التعاون بينهما خاصة بعد الهدنة التي عقدها جوسلين الثاني مع الامير سوار امير حلب . كما ان وفاة الامبراطور حنا كومين وانشغال خلفه بمشاكله الداخلية وان قيام رايموند بواتيه امير انطاكية بمهاجمة منطقة قيليقية اجبرت الامبراطور البزنطي الجديد على تجريد حملة لطرد الصليبيين من منطقة قيليقية وقد زادت هذه العملية من كره البزنطيين للصليبيين وجعلت الامير عماد الدين يستنتج ان التعاون بين الامبراطورية البزنطية والصليبيين اصبح مستحيلاً خلال هذه الفترة اما بالنسبة لمملكة بيت المقدس فانها اصبحت بعيدة

عما يجري في امارة الرها بعد وفاة الملك فولك وان عدم وجود ملك قوي يحكمها خلال هذه الفترة جعلها غير مستعدة للقيام بمغامرة حربية[١٦] . اما موقف امارة دمشق المعادي بعماد الدين فقد قدر انها لن تستطيع القيام باي عمل عسكري ضده بدون مساعدة الصليبيين في الوقت الحاضر وبالنظر لضعف الموقف الصليبي العام فقد قدر انها سوف لن تستطيع استغلال انشغاله بمحاصرة مدينة الرها وتقوم باعمال حربية ضده .

وبعد مناقشة جميع هذه العوامل استنتج زنكي ان الموقف العام اصبح مساعداً للقيام بمهاجمة امارة الرها والقضاء عليها وان هذه الفرصة يجب ان لاتضيع منه[١٧] فقام في خريف عام ٥٣٨ هجرية عام ١١٤٤ ميلادية بتطبيق خطته في التقدم .

تقدم عماد الدين على رأس قواته من مدينة الموصل باتجاه منطقة ديار بكر كجزء من خطة المخادعة التي سبق ان وضعها وجعلها في الوقت نفسه لضرب الامراء الاراتقة الذين حالفوا جوسلين الثاني امير الرها فاستولى على مدن طنزة واسمرد وجيزان وحصون الدوق ومطليس دبانسبة وذي القرنين وكلها من اعمال امارة ديار بكر ثم تقدم باتجاه ماردين فاستولى على حصون حملين والموزر وتل موز التي كانت تابعة لامارة الرها الصليبية[١٨] . وبعد ان نظم الامور في المناطق التي احتلها اتجه الى امارة آمد وهكذا اطبق خطته المخادعة التي رسمها لقواته التي حاصرت مدينة آمد واخذ ينتظر المعلومات من وكلائه في مدينةحران . وعندما رأى جوسلين الثاني انشغال عماد الدين بقتال الاراتقة قدر انه سوف لن يكون له من الوقت مايساعده على مهاجمة مدينة الرها[١٩] رغم استيلائه على بعض الحصون التابعة الى امارته وعلى هذا الاساس ترك جوسلين الثاني مدينة الرها متوجهاً الى بلاد الشام للالتقاء بقوات امارة انطاكية والاتفاق معها لمهاجمة مدينة حلب .

قام وكلاء عماد الدين زنكي الذين كانوا في مدينة حران بنقل موقف مدينة الرها اليه وخلوها من القطعات التي كانت مسؤولة عن الدفاع عنها[٢٠] ، وهنا اصدر عماد الدين امراً الى صلاح الدين الياغيسياني بقيادة كتيبة من الفرسان بالحركة الى مدينة الرها وقد تقدمت هذه القوة ليلة ٦ جمادي الآخرة عام ٥٣٩ هجرية ١١٤٤ ميلادية

وبالنظر لسوء الاحوال الجوية فقد ضلت هذه الكتيبة الطريق ولم تصل الى مدينة الرها الآ في اليوم التالي وبعد وصول عماد الدين اليها . وفي اليوم نفسه قام عماد الدين بارسال الرسل الى الامارات والقبائل الاسلامية يطلب منهم مشاركته حصار مدينة الرها[٢١] ، وفي صبيحة يوم ٦ جمادي الآخرة تحرك مع قواته باتجاه مدينة الرها وقد ترك اثقاله ومعسكراته في الخلف فوصلها في نفس اليوم (٦ جمادي الاخرة عام ٥٣٩ هجرية ـ ٢٨ تشرين ثاني ١١٤٤ ميلادية) حيث قطعت قواته مسافة تقرب من سبيعن كيلومتر وفي يوم واحد وقد تمكنت قطعاته من محاصرة مدينة الرها بنفس اليوم واخذت جموع المجاهدين تتقاطر على معسكره بالالاف[٢٢] . وبعد وصول المجاهدين وانضمامهم الى جيشه اخذ يشدد الحصار على المدينة ويطبق خطته في ادامة زخم الهجوم على اسوارها لفتحها باسرع مايمكن وقد قدّر ان جوسلين الثاني اميرها وقواته الموجودة حالياً في تل باشر لن يستطيع التقدم وحده الى مدنية الرها وقد خشي جوسلين من ابادة قطعاته من قبل قوات عماد الدين التي تفوقت عليه بنسبة كبيرة لوتقدم لوحده وبعد ذلك يستولي على مدينة الرها ولذلك فانه احجم عن التقدم وارسل يطلب النجدات من امارة انطاكية ومن مملكة بيت المقدس ، وبالنظر للعلاقات السيئة بين جوسلين وبين رايموند بوتيه امير انطاكية فلم يتلق اية مساعدة منه هذا مع العلم ان امارة انطاكية كانت في هذا الوقت واقعة تحت تأثير الهجوم البزنطي الذي طرد قواتها من منطقة قيليقية . اما مملكة بيت المقدس فقد اصدرت الملكة أمرها بتوجيه نجدة الى امارة الرها الا ان فقدان الحماس لدى المسؤولين في هذه المملكة جعل هذه النجدة تتحرك متأخرة ولم تصل منطقة تل باشر الابعد سقوط مدينة الرها بيد عماد الدين زنكي[٢٣] وهكذا بقي جوسلين الثاني امير الرها في تل باشر ينتظر قدوم النجدات[٢٤] .

سقوط مدينة الرها ٢٦ جمادي الآخرة عام ٥٣٩ هجرية ـ ٢٣ كانون اول ١١٤٤ ميلادية

كان جوسلين الثاني قد استصحب معه جميع قادته وترك امر الدفاع عن المدينه لسكانها الارمن وعندما تقدمت القوات الاسلامية وحاصرت المدينة كان رئيس اساقفة اللاتين المدعو هيو الثاني قد تولى امر قيادة المعركة الدفاعية عن المدينة وقد تضامن معه

كل من اسقف الارمن المدعو يوحنا واسقف السريان المدعو باسيل[٢٥] ، وقد تضامن سكان المدينة جميعهم للقيام بالمهمات الدفاعية رغم محاولة عماد الدين استمالة السكان المحليين من الارمن والسريان الى جانبه واغرئهم بالتخلص من الحكم الصليبي الجائر ، وبعد ان يئس عماد الدين زنكي من الوصول الى نتيجة مع السكان المحليين اخذ يشدد هجماته على اسوار المدنية وقد نصب عليها المجانيق التي كانت ترميها ليل[٢٦] نهار وقد اتخذ كل ما من شأنه ان يساعده في الاستيلاء على المدينة باسرع مايمكن خوفاً من وصول النجدات الصليبية الى جوسلين وتحول دون الاستيلاء عليها[٢٧] .

وقد طبق عليها الحصار حتى قلت الميرة في داخلها كما انه شدد من هجماته على اسوارها التي كانت تحت تأثير رماة السهام الذين انتشروا من حول المدينة وفي كل مكان بحيث لم يتركوا مجالاً لاحد بأن يدافع عن الاسوار بصورة فعالة وكان القصف عليها مستمراً وجاء بالاختصاصيين من خراسان وحلب الذين لهم الخبرة في انتخاب الاماكن التي يمكن منها ثقب الاسوار وكان هؤلاء يعملون باستمرار فتمكنوا من احداث ثقوب في الاسوار في عدة اماكن واستمروا بعمل انفاق تحت الارض حتى وصلوا اسفل السور وتحت اسس إبراجه فعلقوا الاسس على الاخشاب بعد ان جوفوا اسفلها وهيأوا هذه الاخشاب للحرق بوضع كميات كبيرة من الاخشاب تحتها وبعد ان تأكد عماد الدين بنفسه من تمام العمل امر باحراقه وبعد ان احرقت النيران مساند اسس السور واكلتها وقع السور في الحال وهاجم المسلمون البلد[٢٨] وبعد ذلك دخلت القوات الاسلامية المدينة واشتد القتال بين الطرفين واخذت القوات الاسلامية بالتقدم.وتطهير اقسام المدينة من المقاتلين وفي يوم السبت الموافق السادس والعشرين من شهر جمادي الاخرة عام ٥٣٩ هجرية الثالث والعشرين من شهر كانون اول عام ١١٤٤ ميلادية وبعد حصار دام اربعة اسابيع تمكن المسلمون من احتلال مدينة الرها وقلعتها بالقوة بعد ان قضوا على جميع المقاتلين الصليبيين والارمن الذين كانوا يتعاونون معهم في الدفاع عن المدينة[٢٩] . وتدفقت القوات الاسلامية الى داخل المدينة تنهب لاموال وتسبي النساء والاطفال وتتعقب المقاتلين حتى طهرت المدينة منهم وسيطرت على الموقف بصورة تامة .

بعد ان اكمل عماد الدين احتلال مدينة الرها رأى ان يتبع سياسة خاصة تجاه

سكانها ليضرب مثلا للمدن الاخرى التي كان ينوي تطهيرها من الصليبيين وقد اعتمد في هذه السياسة عدم تخريب المدن التي يحتلها وعدم اعطاء المجال لقواته لنهب خيراتها وسبي اهلها لذلك فانه اصدر امراً الى مقاتليه بالكف عن العدوان ورد ما اخذوه من اموال الى اصحابها وما سبوه من نساء واطفال الى ذويهم[30] وقد اطاع جنده فردوا كل شيء الى صاحبه[31] . كما انه اراد ان يكسب ثقة السكان من المحليين المسيحيين الى جانبه فقد احاط برعايته وعطفه سكانها من الارمن والسريان وسمح لكل من غادر المدينة منهم هرباً من بطش الصليبيين بالعودة اليها وقد امر بالمحافظة على كنائس الارمن والسريان وعدم التعرض لها بسوء[32] .

عاد الهدوء الى مدينة الرها بفعل سياسة عماد الدين الحكيمة وشرع بعمارة ماخرب منها وعين علي كوجك امير اربيل اميراً عليها وقام بمنح المسيحيين المحليين قدراً من الاستقلال الذاتي وقد شجعهم على دعوة اخوانهم واقاربهم للقدوم الى المدينة والسكن فيها بعد ان قضى على الوجود الصليبي، الا انه رغم كل هذه الاجراءات التسامحية من قبل عماد الدين فان الارمن الذين والوا الصليبيين لم يرضوا عن نظام الحكم الجديد[33] ، وبعد ان نظم الامور في مدينة الرها تقدم عماد الدين باتجاه قلعة سروج التي تعتبر ثاني مدن امارة الرها والتي تقع الى الجنوب الغربي من مدينة الرها وتمكن من الاستيلاء عليها عام ٥٣٩ هجرية كانون الثاني ١١٤٥ ميلادية وتمكن بعد ذلك من احتلال جميع المناطق التي سيطر عليها الصليبيون شرق الفرات ولم يبق امامه من حصونهم غير مدينة البيرة الواقعة على نهر الفرات وكانت من حصون الصليبيين المنيعة فتقدم اليها وحاصرها وشرع في مهاجمتها وقد احكم حصاره من حولها بحيث تمكن من قطع الاتصال بينها وبين العالم الخارجي[34] ، وبعد ان اشتدت مضايقته لها واصبح قاب قوسين او ادنى من الاستيلاء عليها لعبت الخيانة دورها في مدينة الموصل مركز امارته وقاعدة حركاته الرئيسية مما اجبره على تغيير خططه وترك اهداف جهاده والعودة الى الموصل فوراً ـ وخلاصة الموقف ان الملك الب ارسلان بن السلطان محمود الذي كان في الموصل وكان ينتظر وفاة ابيه ليتولى السلطة من بعده وكان نصير الدين جقر واخبروه بانه لو قتل نصير الدين جقر فسوف لن يبقى مع زنكي من يسنده من القواد فصدق ذلك

وقام بقتل نصير الدين جقر عندما دخل عليه والقى رأسه الى اصحاب عماد الدين وبعد ان رأى هؤلاء رأس نصير الدين تجمعوا مع قواتهم الموالية لعماد الدين وقاتلوا انصار الب ارسلان وتمكنوا من القبض عليهم مدبري الفتنة وبعد ان وصل الخبر الى عماد الدين ترك محاصرة البيرة فوراً وتوجه شرقاً للحفاظ على وحدة[٣٥] البلاد وبعد انسحاب عماد الدين باتجاه مدينة الموصل رأت الحامية الصليبية التي كانت مسؤولة عن مدينة البيرة انه من الاسلم لها ان تضع قلعة البيرة تحت حماية حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي امير ماردين[٣٦] وعلى هذا الاساس لم يبق من المناطق التي كانت تسيطر عليها امارة الرها شرق الفرات شيىء واقتصرت المناطق التي بقيت تابعة للامير جوسلين الثاني على المناطق الواقعة غرب الفرات واشهارها تل باشر ومرعش وسميساط وغيرها من القرى الصغيرة .

نتائج سقوط مدينة الرها بيد زنكي

تعدّ امارة الرها الصليبية الموضع الجنبي على طرق المواصلات التي تربط المشرق الاسلامي ببلاد الشام واصبحت هذه الطرق تحت تأثير القوات الصليبية لهذه الامارة طيلة الفترة التي كانت تسيطر فيها على المنطقة ، ومن ناحية اخرى فان هذه الامارة كانت تشكل القاعدة الرئيسية المتقدمة للقوات الصليبية التي كان من اهدافها البعيدة الوصول الى من الموصل وبغداد وان سيطرة هذه الامارة على مناطق اسلامية واسعة وممتدة نحو الشرق باتجاه الموصل جعل القوات الصليبية قريبة من هذه المراكز الاسلامية المهمة ، وان هذه الامارة كانت تهدد باستمرار المناطق الشمالية لامارة الجزيرة والموصل فقد وصلت ممتلكاتها الى نواحي ماردين اما غارات قواتها فقد وصلت الى نواحي آمد ماردين ونصيبين والرقة واضطرت امارة الجزيرة على اخلاء الاقسام الشمالية منها تحت تأثير الغارات الصليبية التي كانت تخرج من هذه الامارة وان سيطرتها على مناطق واسعة كان سبباً في عزل المناطق الاسلامية التي كانت في الانضول عن تلك التي في العراق وفارس وحالت دون التعاون فيما بينها[٣٧] .

ان سقوط امارة الرها وازالة النفوذ الصليبي عن المناطق التي كانت تقع شرق

الفرات افقد الصليبيين هذه الميزات كلها فقد جعل الطرق التي تربط العراق ببلاد الشام امينة ومفتوحة باستمرار لتسيير النجدات الاسلامية(٣٨) التي كانت تـأتي من الشرق قاصدة بلاد الشام ، كما انها ازالت خطورة وجود قاعدة امـامية للصليبيـين في هذه المنطقة(٣٩) والتي كانت تشن غاراتها باستمرار على المناطق الشمالية لامارتي الموصل والجزيرة وامارة حلب من بلاد الشام(٤٠) وان القضاء على هذه الامارة لازال هذا الخطر وبصورة خاصة عن امارة حلب التي اخذت قواتها تعمل على جبهة واحدة بعد ان كانت محاطة بالقوات الصليبية من الشمال والغرب كما ان ميزان القوى في هذه الامارة تغير بحيث اصبحت هي التي تهدد الحصون والمراكز الصليبية بعد ان كانت تتلقى الضربات من الشمال والغرب وبعد ان كانت قواتها تعمل على عدة جبهات اصبحت تعمل على جبهة تعمل على جبهة واحدة ولذلك فان موقفها انقلب من وضع الدفاع الى وضع الهجوم .

ان امارة الرها الصليبية التي اندفعت كثيراً نحو الشرق والتي كان موقعها الى شمال الامارات الصليبية الاخرى قد جعلها تؤمن الحماية اللازمة لحدود هذه الامارات من ناحية الشمال والتي عرض سقوطها هذه الامارات لهجمات القوات الاسلامية من هذه الناحية وان سقطوها قد اعتبر بداية النهاية للوجود الصليبي في الشرق فقد تيقظت نفوس المسلمين بعد ان ذاقت حلاوة النصر الكبير فارتفعت معنوياتهم واخذوا يعملون جاهدين لادامة هذا النصر وعدم اعطاء الفرصة للصليبيين مرة اخرى للوقوف امـام حركة الجهاد الاسلامية التي كان هدفها القضاء على الصليبيين وتخليص البلاد من شرورهم(٤١) .

اما بالنسبة للصليبيين فان **سقوط** امـارة الرها حـطم معنويـاتهم(٤٢) وازال من اذهانهم تلك النشوة التي حققوها خلال الستة والاربعين سنة التي مضت من عمـر الامارات الصليبية واصبح المستقبل امامهم مظلماً وقاتماً . وان كل رد الفعـل الذي حققوه بعد سقوط مدينة الرها انهم اكتفوا ببعض الاجراءات السياسية لتحديد خطر الامير عماد الدين زنكي عليهم ، ففضلاً عن حلفهم مع معين الدين أنر المتصرف بامور امارة دمشق فقد حالفوا الاراتقة الذين كان الامير زنكي يهدد اماراتهم باستمرار ، وما تسليم مدينة البيرة الى الامير حسام الدين تمرتاش الارتقي امير ماردين(٤٣) الاخطوة

لتوسيع شقة الخلاف بينه وبين عماد الدين ومحاولة لاشعال نار الفتنة بين الامارات الاسلامية لتخفيف الضغط عن الامارات الصليبية . ومن الناحية الاخرى فان سقوط امارة الرها الصليبية اثار مخاوف الصليبيين كاهم فقامت الدعوة لمطالبة اوربا بارسال حملة صليبية جديدة لانقاذ الموقف(٤٤) فانتجت هذه الدعوة الحملة الصليبية الثانية .

اما بالنسبة للقوات التي ارسلتها مملكة بيت المقدس لنجدة الرها فلم تصل في الوقت المطلوب وقد بقيت في منطقة قريبة من مدينة انطاكية فقام عماد الدين قوات قوية مؤلفة من القوات النظامية والمجاهدين التي قامت بهجوم على القوات الصليبية لمملكة بيت المقدس وتمكنت من القضاء عليها وهربت فلولها الى داخل الامارات الصليبية(٤٥) .

استشهاد عماد الدين زنكي

٧ ربيع الثاني ٥٤١ هجرية ـ ١٤ ايلول ١١٤٦ ميلادية

بعد أن رتب عماد الدين الامور في مدينة الرها ترك فيها حامية صغيرة ثم تقدم يقود بقية قواته لطرد الصليبيين من بقية المدن والحصون الكائنة شرق نهر الفرات وانتهى اخيراً بمحاصرة مدينة البيرة(٤٦) وكان وجوده على رأس قواته في هذه المنطقة يعتبر حماية لمدينة الرها رغم قلة الحامية التي تركها فيها وذلك لقربه منها ، وبعد ورود اخبار الفتنة في مدينة الموصل ترك حصار مدينة البيرة واتجه نحوها(٤٧) ولم يخطر بباله ان يترك قوة كافية مع امير الرها الجديد للدفاع عنها خلال الفترة التي يبتعد فيها جيش الميدان الذي كان يقوده بنفسه وهي قريبة عهد بالفتح الاسلامي ، والظاهر ان خطورة الموقف في مدينة الموصل واهمية هذه المدينة بالنسبة له جعلته يتجاهل موقف مدينة الرها ويعد العدة للتوجه اليها . وبينما هو مشغول بذلك اذ الاخبار ترده بانتهاء الفتنة وسيطرة رجاله ومؤيديه على الموقف في مدينة الموصل فارسل من يتولى الامر فيها ن قبله وبذلك فقد اشلغته هذه الفتنة عن الاستيلاء على مدينة البيرة(٤٨) . وبعد ان وردته اخبار انتهاء الفتنة في مدينة الموصل اخد يعد العدة لاعداد حملة كبيرة هيأ معها معدات كثيرة تستخدم في تخريب الاسوار ومجانيق عديدة وبعد ان استكمل استحضارات هذه الحملة قرر التقدم لاستئناف حركة الجهاد ـ وقد اورد ابن العديم في كتابه زبدة الحلب يقول ان نية زنكي كانت متجهة خلال هذه الفترة نحو فتح مدينة دمشق وان هذه الاستحضارات

الكبيرة التي اتخذها تتناسب وما تحتاجه مدينة دمشق من الاستعدادات[٤٩] .

وبعد ان رأى السكان الارمن في مدينة الرها ضعف الحامية الاسلامية التي فيها وابتعاد جيش الميدان التابع لعماد الدين عن المنطقة قام هؤلاء السكان بالتآمر على الحامية الاسلامية في مدينة الرها[٥٠] وقامو بدعوة جوسلين الثاني امير الرها السابق لتسليمه المدينة الا ان اخبار هذه المؤامرة انكشفت للامير علي كوجك نائب زنكي في المدينة وقد تمكن من احباطها في الوقت الذي كان فيه عماد الدين زنكي وجيشه يتقدم قريباً من هذه المدينة عام ٥٤٠ هجرية ـ مايس ١١٤٦ ميلادية وبعد وصول اخبار هذه المؤامرة الى عماد الدين امر بالتقدم نحو مدينة الرها وبعد وصوله اليها اصدر امراً باعدام مدبري هذه المؤامرة وطرد من اشترك من السكان الارمن فيها من مدينة الرها[٥١] .

اصبحت دولة عماد الدين زنكي تضم المناطق التي تمتد بين امارة الموصل وامارة دمشق وقد اضيفت اليها المناطق الواسعة التي كانت تسيطر عليها امارة الرها الصليبية والواقعة شرق نهر الفرات ولم يبق من امارة بلاد الشام خارج دولة وحدته هذه غير امارة دمشق التي تبدأ حدودها من جنوب بعلبك والتي حاول جاهداً ولعدة مرات ضمها الى وحدته الّا ان محاولاته لم تنجح وقد انسحب اخيراً بعد ان خشي من قيام معين الدين أنر الذي اصبح المتصرف بالامور فيها تسليمها للصليبيين من شدة حقده على عماد الدين زنكي . وبقيت بعض الجيوب الصغيرة داخل المناطق التي كان يسيطر عليها ومنها حصن جعبر الواقع على نهر الفرات بين مدينتي الرقة وبالس وكان اميره سالم بن مالك العقيلي فاراد عماد الدين السيطرة على هذا الحصن وفي صيف ٥٤١ هجرية ـ ١١٤٦ ميلادية[٥٢] تقدم على رأس قواته باتجاه هذا الحصن وقد تقدمت قواته من مدينة بعد افرز رتلًا منها سيره باتجاه قلعة فتك التي كانت تجاور جزيرة ابن عمر[٥٣] .

وصلت قوات عماد الدين قلعة جعبر وقد ضربت طوق الحصار من حولها واشتد القتال بينها وبين قوات سالم **العقيلي** المدافعة عن الحصن الذي بقي صامداً بوجه همات قوات عماد الدين الذي رغب ان يتسلم القلعة دون قتال فعرض ذلك على اميره الا ان هذا رفض طلبه . وفي اليوم السادس من شهر ربيع الثاني من عام ٥٤١ هجرية ـ ١٤ ايلول من عام ١١٤٦ ميلادية[٥٤] اغتيل عماد الدين زنكي وهو نائم بين قواته وقد اغتالته

اليد الاتمه التي كانت في الحقيقه تدبر لذلك منذ امد بعيد اذا ما علمنا ان اغتياله جاء على يد غلام.اصله صليبي غربي اكرمه ورعاه وجعله من اقرب المقربين اليه[٥٥] وذلك لما قام به هذا المجاهد الكبير من اعمال مجيدة اعزت الاسلام والمسلمين فقد كان يعتبر الخطر الذي يهدد الكيان الصليبي في الشرق بالزوال . فقد تسلم هذا المجاهد مسؤولية الجهاد بعد وفاة الامير بلك الارتقي وكان رائداً من رواد الوحدة الذي كان يرى ان وحدة بلاد الشام مع امارات الموصل والجزيرة ضرورة لتحقيق الهدف الاسمى وهو القضاء على الصليبيين في الشرق ولذلك فانه حمل لواء هذه الوحدة واصبحت هدفاً سوقياً من اهدافه التي كانت تسير جنباً الى جنب مع حرصه على استمرار حركة الجهاد والوحدة التي وضع اسسها ونذر نفسه لتحقيقها منذ تسلمه المسؤولية في امارة الموصل وحتى وفاته ، ولم تتمكن القوات الغازية من التغلب عليه او التأثير على مسيرة الجهاد التي قادها خلال تلك الفترة التي انحصرت بين تاريخ تسلمه المسؤولية ووفاته قرب قلعة جعبر ـ وقد صدق اهالي قلعة جعبر الذين صاحوا بالقاتل عندما علموا بمقتل عماد الدين زنكي « لقد قتلت المسلمين كلهم بقتله » .[٥٩]

كانت هذه منزلة الشهيد زنكي في قلوب المسلمين بما حققه لهم من انتصارات على الغزاة كان لها الاثر الكبير في رفع معنوياتهم ووضعهم على طريق الجهاد والتضحية الذي ينتهي دائماً بالنصر ، وبما انني مؤرخ للحروب الصليبية ولست مؤرخاً لشخصية عماد الدين زنكي فانني اكتفي بما ذكرته من اعماله المجيدة التي قام بها للعالم الاسلامي توجت بالقضاء على اول الامارات الصليبية في الشرق واترك مايتحلى به هذا القائد والمجاهد الكبير من صفات تبعده عن الشبهات الى من يؤرخ لسيرته . وباختصار فان زنكي كان قائداً فذاً خاض غمار الحرب بعد ان عرف فنونها وكان من المجددين في فن الحرب ، قاد جنوده من نصر الى نصر اكسبه حبهم واحترامهم وان سيرته في جنده جعلت هذه الالوف من الجند النظاميين ومن المجاهدين المتطوعين الذي ينتمون لمختلف القوميات يلتفون حوله ويطيعون اوامره وتمكن وقيادته من توجيههم كيفما شاء وفرض شخصيته عليهم فاطاعوه ونفذوا اوامره عن رضا ورحابة صدر وماتنفيذ اوامره بعد سقوط مدينة الرها برد الاموال والسبي الى اصحابها الاّ مثل مجسم لشخصية هذا

القائد ومقياس لمدى تعلق جنوده به ـ فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً[٥٧] .

هوامش الفصل الخامس عشر

١ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢ /٣٧٦

٢ ـ المرجع السابق ٢ /٣٧٨

٣ ـ المرجع السابق ٢ /٣٧٨

٤ ـ د. حسين مؤنس نور الدين محمود / ١٧٣

٥ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢ /٣٧٨

٦ ـ د. عماد الدين خليل عماد الدين زنكي / ١٤٩

٧ ـ المرجع السابق ١٥٠ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢ /٣٧٨

٨ ـ المرجع السابق /١٥١

٩ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ٢ /٥٩٢

١٠ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٦٧ ـ ابن العديم ـ زبدة الحلب ٢ /٢٧٨

١١ ـ شاكر احمد ابو بدر ـ الحروب الصليبية والاسرة الزنكية / ١٤١

١٢ ـ د. عماد الدين خليل عماد الدين زنكي / ١٥١

١٣ ـ المرجع السابق /١٥٢

١٤ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ٢ /٥٩١

١٥ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢ /٣٧٨

١٦ ـ د عماد الدين خليل عماد الدين زنكي / ١٥٢

١٧ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٧٩ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٩ /٨

١٨ ـ شاكر احمد ابو بدر ـ الحروب الصليبية والاسرة الزنكية / ١٤٢

١٩ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٩ /٧

٢٠ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢ /٢٧٩

٢١ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٧٩

٢٢ ـ د. عماد الدين خليل عماد الدين زنكي / ١٥٢

٢٣ ـ المرجع السابق /١٥٢

٢٤ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢ /٣٨٠

٢٥ ـ المرجع السابق ٢ /٣٧٩

٢٦ ـ شاكر احمد ابو بدر ـ الحروب الصليبية والاسرة الزنكية / ١٤٣٠

٢٧ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٦٩

٢٨ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٧٩

٢٩ ـ حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ٤ /٢٤٨

٣٠ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٦٩ ـ د عماد الدين خليل عماد الدين زنكي / ١٥٢

٣١ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٩/٨
٣٢ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ٢/٥٩٢
٣٣ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٨٢
٣٤ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٨٠
٣٥ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٩/٩
٣٦ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ٢/٥٩٤
٣٧ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٨٣
٣٨ ـ د حسين مؤنس نور الدين محمود / ١٧٦
٣٩ ـ د. عماد الدين خليل عماد الدين زنكي / ١٥٤
٤٠ ـ شاكر احمد ابو بدر ـ الحروب الصليبية والاسرة الزنكية / ١٤٧
٤١ ـ د. عماد الدين خليل،عماد الدين زنكي / ١٥٣
٤٢ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٨٣
٤٣ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ٢/٥٩٥
٤٤ ـ د. عماد الدين خليل عماد الدين زنكي / ١٥٤
٤٥ ـ باركر ـ الحروب الصليبية / ٥٣
٤٦ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٧٠
٤٧ ـ د. عماد الدين خليل عماد الدين زنكي / ١٥٧
٤٨ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٩/٩
٤٩ ـ ابن العديم ـ زبدة الحلب ٢/ ٢٧٠
٥٠ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٨٥
٥١ ـ د. عماد الدين خليل عماد الدين زنكي / ١٥٧
٥٢ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٧٣
٥٣ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٩/١٢
٥٤ ـ شاكر احمد ابو بدر ـ الحروب الصليبية والاسرة الزنكية / ١٥٥
٥٥ ـ ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق / ٢٨٤ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٧٢
٥٦ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ٢/٥٩٧
٥٧ ـ من اراد الاطلاع على تفاصيل اكثر عن اسباب اغتيال هذا المجاهد فليراجع كتاب الدكتور عماد الدير خليل ـ عماد الدين زنكي الصفحات من ١٨٢ ـ ١٨٧

الفصل السادس عشر

الموقف بعد مقتل الامير عماد الدين زنكي

كانت الايادي الخفية التي دبرت مقتل عماد الدين زنكي بعد ما يئست من التغلب عليه في ميادين القتال تبغي من وراء ذلك غرضين الاول هو التخلص من هذا المجاهد الذي نذر نفسه لحركة الجهاد وقادة الجبهة الاسلامية من نصر الى نصر حتى اصبح اسمه يرعب الصليبيين ، والثاني ان الحركة الصليبية كانت تتوقع حدوث انشقاق داخلي كبير في امارته التي بناها بجهاده وكفاحه وبذلك سوف تضعف جبهة الجهاد الاسلامية وتتخلص الحركة الصليبية من الضغط الشديد الذي كان يمارسه عليها هذا المجاهد الكبير . الا ان الاقدار خدمت حركة الجهاد الاسلامية بايجاد نخبة من الرجال المخلصين الذين تربوا في مدرسة عماد الدين وعلى رأسهم اولاده الاربعة الذين كانوا يرافقونه في معظم حروبه وتشبعوا بروح الجهاد التي كان يتحلى بها والتي غرسها في نفوسهم من كثرة مرافقتهم له ، وكان ابرزهم مكانة الامير سيف الدين غازي الابن الاكبر لعماد الدين ونور الدين محمود الابن الثاني وهما كما وصفهما الدكتور حسين مؤنس « فالاول كان صاحب سياسة وأناة يزينها إقدام يكف عنه طمع الطامع » « والثاني جياش القلب بالايمان يرى نفسه مجاهداً لم يخلقه الله الا لجمع كلمة المسلمين واخراج الاعداء من ديارهم ، وكانت في طبعه رقة كسبت له نفراً من اعدائه كانوا قد نفروا من عنف ابيه عماد الدين زنكي وكان الى ذلك عنيفاً قنوعاً اذا قرأت سيرته حسبت انك امام مرابط مجاهد بسيط لا امام سلطان له جاه وجيوش »[1] . وكان برفقته تلك **النخبة** من الرجال المخلصين لحركة الجهاد الاسلامية الذين اتفقوا على حفظ امارة عماد الدين[2] ، فكان لهم دور كبير في المحافظة على وحدة البلاد وترابط حركة الجهاد واستمرار اندفاعها وقد اتفق هؤلاء الرجال على ان يختار كل منهم العمل في خدمة واحد من اولاد عماد الدين وعلى هذا الاساس فقد انقسم هذا الفريق الى مجموعتين الاولى ذهبت الى خدمة الامير سيف الدين غازي ومن ابرزهم جمال الدين محمد بن علي والقائد ان صلاح محمد بن ايوب الياغيسياني وعز الدين ابو بكر الدبيسي ، اما المجموعة الثانية فقد ذهبت الى خدمة

الامير نور الدين محمود وكان من ابرزهم القائد سيف الدولة سوار ونجم الدين ايوب واسد الدين شيركو ومجد الدين بن الداية[٣] . وقد اتفق الاميران سيف الدين غازي ونور الدين محمود وبمعاونة هؤلاء الرجال على ان تكون الموصل والمنطقة التي تقع شرق نهر الخابور ـ احد روافد الفرات ـ من حصة الامير سيف الدين غازي وحلب وما يقع غرب نهر الخابور للامير نور الدين محمود .

وبعد ان انتهى الامر على هذه الصورة توجه الامير نور الدين محمود مع قوات امارة حلب التي كانت بقيادة الامير سوار الى مدينة فملكها[٤] . اما بالنسبة للامير سيف الدين غازي فقد كان وجود الملك الب ارسلان بن السلطان محمود السلجوقي برفقة جيش عماد الدين عند قلعة جعبر يعدّ عقبة كبيرة امام توليه امارة الموصل الا ان الوزير جمال الدين محمد بن علي قام بمحاولات كبيرة لابعاد الملك الب ارسلان من الوصول الى مدينة الموصل قبل وصول الامير سيف الدين غازي اليها وتثبيت امارته فيها فقد قام اولاً بتحليف امراء الجيش الذين كانوا معه على الولاء للامير سيف الدين غازي[٥] وبعد ان اخذ المواثيق عليهم كان يسيرهم مع قطعاتهم الى مدينة الموصل حتى لم يبق مع الملك الب ارسلان الا القليل من القطعات ومن ناحية اخرى كان يبعد الملك الب ارسلان عن مدينة الموصل ، وفي الوقت الذي وصل فيه الامير سيف الدين غازي الى مدينة الموصل وتجمعت لديه القطعات الكافية وثبت امارته في الموصل ارسل قوة القت القبض على الملك الب ارسلان الذي وصل في هذا الوقت مدينة بلد[٦] وعبر الى الضفة الشرقية لنهر دجلة واتت به الى الموصل حيث حبس في قلعتها واستقر الامر نهائياً للامير سيف الدين غازي[٧]

النتائج المترتبة على مقتل عماد الدين زنكي

١ ـ بالنسبة للمسلمين :ـ

ان اهم النتائج التي ترتبت على مقتل عماد الدين زنكي بالنسبة للمسلمين هو انقسام امارته الى قسمين يفصل بينهما نهر الخابور ـ الاول مركزه مدينة الموصل ويضم امارة الموصل مايتبعها من اقاليم وقد انشغل هذا القسم بمشاكله المحلية والشرقية[٨] . والثاني مركزه مدينة حلب واقاليمها وتحمل العبء الثقيل في مواجهة الغزو الصليبي ،

وقد ادى انقسام هذه الامارة بالنتيجة الى اضعـاف الجبهة التي كـانت مسؤوله عن الوقوف بوجه الصليبيين . وقد ترتب على ذلك ان تهيأت الفرصـة لاعداء زنكي للظهور على مسرح الاحداث في ساحة حركات بلاد الشام مستغلين الموقف لتحقيق اطماعهم ، فقد قام معين الدين أنر حاكم دمشق بالهجوم على مدينة بعلبك واحتلها كما انه تمكن من اخضاع اميري حمص وحماه لنفوذه ، وقد قام الاراتقـة بعمليات قتـالية استعـادوا نتيجتها جميع الحصون والقلاع الواقعة في منطقة ديار بكر والتي سبق ان استولى عليها عماد الدين منهم[٩] .

٢ ـ بالنسبة للصليبيين

آ ـ اما بالنسبة للصليبيين فقد قام رايموند بواتيه امير انطاكية بعد مقتل عماد الدين بغارات على المناطق الاسلامية حتى وصلت قواته اسوار مدينة حلب الا انه لم يستطع ان يحقق مكاسب اقليمية على حساب المناطق الاسلامية .

ب ـ وفي الوقت نفسه قام جوسلين الثاني امير الرها السابق بالاتصال بعملائه من سكان مدينة الرها من الارمن والسريان الذين اخبروه بتأييد السكان له[١٠] وعلى هذا الاساس اتخذ قراراً بالتقدم نحو مدينة الرها واستغلال انشغال المسلمين بمشاكلهم بعد مقتل عماد الدين زنكي لاستعادة امارته وقد انضم اليه امير مرعش وكيسوم مع قواته بينما رفض رايموند بواتيه امير انطاكية مساعدته[١١] .

الهجوم الصليبي على مدينة الرها

كانت خطة جوسلين الثاني لمهاجمة مدينة الرها تستند على عاملي السرعة والمباغتة واستغلال انشغال الجهات الاسلامية المعنية بمشاكلها الداخلية بعد مقتل عماد الدين وانشغال قوات مدينة حلب في هذا الوقت بالذات مع قوات امارة انطاكية التي اخذت تهاجم اقليم حلب .

تقدير القوات

القوات الصليبية تألفت من :

١ ـ قوات امارة باشر الصليبية التي كانت تابعة لامارة الرها وهي تترواح بين الثلاثة الآف الى الخمسة الآف مقاتل .

٢ ـ قوات امارة مرعش وكيسوم بقيادة اميرها المدعو بولدوين ولصغر شأن هذه الامارة فان قواتها لاتتعدى الالف مقاتل .

٣ ـ مقاتلين من السكان المحليين في مدينة الرها تطوعوا للقتال مع القوات الصليبية وبالنظر لقلة سكان مدينة الرها بعد احتلالها من قبل المسلمين وبعد القضاء على المؤامرة التي ادت الى قيام عماد الدين بطرد المتأمرين من المدينة فان تقدير هؤلاء المتطوعين لابد وانه قليلاً ولايزيد عن الالف مقاتل باي حال من الاحوال .

وعليه فان مجموع القوات الصليبية تترواح بين الخمسة الآف والسبعة الآف مقاتل .

القوات الاسلامية تألفت من :

١ ـ قوات امارة حلب بقيادة نور الدين محمود وتقدر بعشرة الآف فارس[١٢] .

٢ ـ الحامية الاسلامية التي تركها عماد الدين زنكي للدفاع عن مدينة الرها عند اللزوم وهي تتراوح بين الالفين والثلاثة الاف مقاتل على اقل تقدير .

وعليه فان القوات الاسلامية تتراوح بين الاثني عشر الف والثلاثة الف مقاتل وبذلك فانها متفوقة على القوات الصليبية بنسبة اثنين الى واحد كحد ادنى .

سير المعركة

تقدمت القوات الصليبية يوم ٢٥ تشرين اول ١١٤٦ميلادية ـ ٥٤١ هجرية بحركة سريعة وتمكنت من دخول المدينة يوم ٢٧ تشرين اول ١١٤٦ ميلادية ٥٤١ هجرية بمعاونة السكان المحليين من الارمن والسريان[١٣] وبعد اصطدامها مع قوات الحامية

الاسلامية اجبرت هذه الحامية على التراجع والتمركز في قلعه المدينه تم قامت القوات الصليبية بقتل كل من كان في المدينة من المسلمين الا ان القوات الصليبية لم تتمكن من اقتحام دفاعات القلعة فبقيت محتارة لاتدري ماذا تفعل(١٤) .

وبعد وصول اخبار هذا الهجوم الى الامير نور الدين محمود الذي كان على رأس قواته يدافع قوات امارة انطاكية عن حدود امارة حلب قام بما يأتي :ـ

١ ـ ارسل الرسل الى الامارات الاسلامية الموجودة في المنطقة يعلمها المؤقف في مدنية الرها ويطلب منها النجدات لعدم تكامل قواته ولانشغاله مع العدو على جبهة انطاكية ولاستلامه الامارة في مدينة حلب حديثاً .

٢ ـ وبالنظر لاهمية مدينة الرها وتقديره بان استعادة الصليبيين لها في الوقت الحاضر سيصيب حركة الجهاد الاسلامية بنكسة كبيرة وقد قدر اهمية النتائج التي حصل عليها الجانب الاسلامي عندما استولى على هذه المدينة وازال اولى الامارات الصليبية من الوجود وللمحافظة على هذه النتائج قرر القيام بحركة سريعة للسيطرة على الموقف في مدينة الرها فامر قواته فوراً بقطع التماس مع قوات امارة انطاكية واتوجه الى مدينة الرها(١٥) .

تقدمت القوات الاسلامية بقيادة نور الدين محمود قاصدة مدينة الرها وكان الامير سوار يقود مقدمة القطعات وكان تقدمها سريعاً بحيث ظهرت امام مدينة الرها يوم ٢ تشرين ثاني عام ١١٤٦ ميلادية ـ ٥٤١ هجرية اي بعد ستة ايام من دخول قوات جوسلين الثاني الى المدينة ولم تتمكن لحد الآن من الاستيلاء على قلعتها وهكذا ضاعت الفرصة على القوات الصليبية التي رأت نفسها محصورة داخل مدينة الرها التي اصبحت بين القوات الاسلامية التي تحتل القلعة والقوات الاسلامية التي تحاصر مدينة الرها(١٦) . وبعد ان اسقط بيد القوات الصليبية التي كانت داخل مدينة الرهاوشاهدت نفسها محاصرة من الداخل والخارج تحينت الفرصة للهروب من داخل المدينة فتسللت ليلاً الى خارج المدينة واتخذت طريقها باتجاه نهر الفرات وقد رافقها اعداد كبيرة من السكان الذين تعاونوا معهم ولم تتركهم القوات الاسلامية فقامت بمطاردتهم باتجاه الغرب حتى حاصرتهم امام نهر الفرات فاجبرت القوات الصليبية تجاه هذا الموقف على

التصدي للقوات الاسلامية فقامت بهجوم مقابل لدفع القوات الاسـلامية الى الخلف لغرض الحصول على فرصة تتمكن من خلالها من قطع التماس بالقوات الاسلامية تتمكن من خلالها بعبور نهر الفرات دون تدخل القطعات الاسلامية ، الا ان هجومها هذا باء بالفشل وتمكنت القوات الاسلامية من القضاء على معظم مقاتليها وتعقبت فلولها الهاربة وكان الامير بولدوين امير مرعش من بين القتلى كما ان جوسلين الثاني نفسه اصيب بجروح الّا انه تمكن من الهرب مع حرسه الخاص باتجاه مدينة سميساط[18] وقد لحق به اسقف السريان باسيل اما اسقف الارمن فقد وقع في الاسر وجلب الى مدينة حلب ، وبعد ان قضت القوات الاسلامية على القوات الصليبية ومن رافقها من السكان المحليـين المقاتلين عادت الى مدينة الرها وبعد ان دخلتها اوقعت العقاب العـادل باهـاليها من المسيحيين جزاء غدرهم وخيانتهم[19] .

وعندما وصل خبر دخول القوات الصليبية الى مدينة الرها الى الامير سيف الدين غازي امير الموصل قام بتجهيز جيشه على الفور وارسله باتجاهها وبعد ان وصلت اخبار دخول قوات الامير نور الدين محمود المدينة وطرد الصليبيين منها الى هذه القوات وهي متقدمة عادت الى الموصل[20] .

هوامش الفصل السادس عشر

١ ـ د. حسين مؤنس نور الدين محمود / ٢٠٣

٢ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٩/ ١٣

٣ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٨٥

٤ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ٢/٥٩٧

٥ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٩/ ١٤

٦ ـ ياقوت معجم البلدان ـ بلد او بلط . هي مدينة قديمة تقع على نهر دجلة شمال مدينة الموصل الحالية بسبعة فراسخ ولاجود لها الآن .

٧ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٩/ ١٤

٨ ـ د حسين مؤنس نور الدين محمود / ٢٠٣

٩ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/ ٣٨٦

١٠ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٨٦

١١ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٨٧

١٢ ـ ابن قاضي شهبة ـ الكواكب الدرية في السيرة النورية / ١٢٣

١٣ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ٢/٥٩٨

١٤ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٨٧

١٥ ـ ابن الاثير ـ التاريخ الباهر / ٨٧

١٦ ـ رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ٢/٣٨٧

١٧ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٩/ ١٤

١٨ ـ عاشور ـ الحركة الصليبية ٢/٥٩٩

١٩ ـ ابن قاضي شهبة ـ الكواكب الدرية في السيرة النورية / ١٢٣

٢٠ ـ ابن الاثير ـ الكامل ٩/ ١٤

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

١ ـ العلامة غريغوريوس ابي الفرج الطبيب الملطي المعروف بابن العبري المتوفي عام ١٢٨٦م ٦٨٥ هجرية ـ تاريخ مختصر الدول الطبعة الاولى حققه الاب انطوان صالحاني اليسوعي ـ المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت ١٨٩٠م

٢ ـ نظمي زادة مرتضى افندي المتوفي ١١٣٦ هجرية ـ كلشن خلفا نقله الى العربية موسى كاظم نورس ـ مطبعة الاداب النجف الاشرف ١٩٧١

٣ ـ E.B دائرة المعارف البريطانية ـ الجزء السادس لندن ١٩٥١

٤ ـ يوحنا افندي ابكاريوس ـ قطف الزهور في تاريخ الدهور بيروت ١٩١٢

٥ ـ صفي الدين عبد المؤمن ـ مراصد الاطلاع على اسماء البقاع القاهرة ١٩٥٤

٦ ـ ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ليبزك ١٨٦٦

٧ ـ ابي يعلي حمزة ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق بيروت ١٩٠٨

٨ ـ اسامة بن منقذ الشيزري ـ كتاب الاعتبار جامعة برنستون ١٩٣٠

٩ ـ الامام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني ـ تاريخ دولة آل سلجوق بيروت ١٩٨٠ دار الافاق الجديدة

١٠ ـ المولى الصاحب كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله ابن العديم ـ زبدة الحلب في تاريخ حلب دمشق ١٩٥٤

١١ ـ الشيخ العلامة عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المتوفي سنة ٦٣٠ هجرية ـ الكامل في التاريخ داخل الفكر بيروت ١٩٧٨ م ـ ١٣٩٨ هجرية

١٢ ـ الشيخ العلامة عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المتوفي سنة ٦٣٠ ـ التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية في الموصل القاهرة ١٩٦٣

١٣ ـ جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة القاهرة ١٩٥٦

١٤ ـ بدر الدين ابن قاضي شهبة ـ الكواكب الدرية في السيرة النورية القاهرة ١٩٥٩

١٥ ـ شهاب الدين ابي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي الشافعي ـ الروضتين في اخبار الدولتين دار الجيل بيروت دار الجيل

١٦ ـ صنفه بالموارثة في مائة وخمس عشرة سنة ستة من اهل الاندلس عبد الله بن ابراهيم الحجاري ـ احمد بن عبد الملك موسى بن محمد ـ عبد الملك بن سعيد محمد بن عبد الملك ـ لي بن موسى النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ـ القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب القاهرة ١٩٧٠

١٧ ـ الجنرال فون كلادزفيتز الوجيز في الحرب ترجمة اكرم ديري والهيثم الايوبي بيروت ١٩٧٤

١٨ ـ المقدسي المعروف بالبشاري احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ليدن ١٩٠٦

١٩ ـ جمال الدين محمد بن سالم بن واصل ـ مفرج الكروب في اخبار بني ايوب تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٥٧

٢٠ ـ الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ابي الفدا صاحب حماه المختصر في اخبار البشر بيروت دار الكتاب اللبناني

٢١ ـ نهاد الدين بن شداد ـ النوادر السلطانية تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٦٤

٢٢ ـ المقريزي ـ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك القاهرة ١٩٥٦

٢٣ ـ ابي عبد الله محمد بن محمد الشهير بعماد الدين الكاتب الاصفهاني الفتح القدسي في الفتح القدسي طبع مصطفى فهمي الكتبي القاهرة

المراجع

١ ـ د. حسين مؤنس نور الدين محمود القاهرة ١٩٥٦
٢ ـ شاكر احمد ابو بدر الحروب الصليبية والاسرة الزنكية بيروت ١٩٧٢
٣ ـ د. عبد الجبار الجومرد يزيد بن مزيد بيروت ١٩٦١
٤ ـ د. حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي القاهرة ١٩٥٥
٥ ـ محمد العروسي المطوي الحروب الصليبية في المشرق والمغرب تونس ١٩٥٤
٦ ـ محمد عمارة معارك العرب ضد الغزاة بيروت ١٩٧٢
٧ ـ هاملتون أ. رجب صلاح الدين الايوبي بيروت ١٩٧٣
٨ ـ اندريه بوفر الردع والاستراتيجية ترجمة اكرم ديري بيروت ١٩٧٠
٩ ـ اندريه بوفر مدخل الى الاستراتيجية العسكرية ترجمة اكرم ديري والهيثم الايوبي بيروت ١٩٦٧
١٠ ـ ج . ل ليدل هارت الاستراتيجية وتاريخها في العالم ترجمة الهيثم الايوبي بيروت
١١ ـ ليفي بروفنسال حضارة العرب في الاندلس ترجمة ذوقان قرقوط بيروت
١٢ ـ جواهر لال نهرو لمحات من تاريخ العالم ترجمة لجنة من اساتذة الجامعة بيروت ١٩٥٧
١٣ ـ ابو زيد شلبي تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي القاهرة ١٩٦٤
١٤ ـ د. سعيد عبد الفتاح عاشور تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في القرون الوسطى القاهرة ١٩٧٦
١٥ ـ سيد قطب في ظلال القرآن القاهرة
١٦ ـ جوزيف جاي دبس الزنديق الاعظم ترجمة نجيب هاشم القاهرة ١٩١٢
١٧ ـ د. احمد سوسة العرب واليهود في التاريخ بغداد ١٩٧٢

١٨ ـ د. سعيد عبد الفتاح عاشور الحركة الصليبية القاهرة ١٩٦٣
١٩ ـ د. عليه عبد السميع الخبزوري امارة الرها الصليبية القاهرة ١٩٧٥
٢٠ ـ محمد اسد الطريق الى مكة تعريب عفيف البعلبكي
٢١ ـ ستيفن رنسيمان تاريخ الحروب الصليبية ترجمة السيد الباز العريني بيروت ١٩٦٩
٢٢ ـ حسن فوزي النجار السياسة والاستراتيجية في الشرق الاوسط القاهرة ١٩٥٣
٢٣ ـ ارنست باكر الحروب الصليبية تعريب السيد الباز العريني بيروت ١٩٦٧
٢٤ ـ ر. سي سميل الحروب الصليبية ترجمة سامي هاشم بيروت ١٩٨٢
٢٥ ـ د. خاشع المعاضيدي وآخرين الوطن العربي والغزو الصليبي الموصل ١٩٨١
٢٦ ـ هارولد لامب شعلة الاسلام ترجمة محمود عبد الله يعقوب بغداد ١٩٦٧
٢٧ ـ د. محمد حمدي المناوي الوزارة والوزراء في العهد الفاطمي القاهرة ١٩٧٠
٢٨ ـ احمد رضا بك الجيبة الادبية للسياسة الغربية في الشرق تونس ١٩٧٧
٢٨ ـ احمد رضا بك الجيبة الادبية للسياسة الغربية في الشرق تونس ١٩٧٧
٢٩ ـ د. عماد الدين خليل عماد الدين زنكي الموصل ١٩٨٥
٣٠ ـ د. رشيد عبد الله الجميلي امارة الموصل في العصر السلجوقي بغداد ١٩٨٠
٣١ ـ د. محسن محمد حسين الجيش الايوبي في عهد صلاح الدين
٣٢ ـ د. سعيد عبد الفتاح عاشور اضواء جديدة على الحرب الصليبية القاهرة ١٩٦٤
٣٣ ـ عمر ابو النصر صلاح الدين الايوبي في حطين بيروت ١٩٦٨
٣٤ ـ د. سهيل زكار مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية بيروت ١٩٧٣
٣٥ ـ انتوني ويست الحروب الصليبية ترجمة شكري محمود نديم بغداد ١٩٦٧
٣٦ ـ محمود ياسين التكريتي الايوبيون في شمال الشام والجزيرة بغداد ١٩٨١

٣٧ ـ هـ . أ . فيشر تاريخ العصور الوسطى ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني القاهرة ١٩٧٦

٣٨ ـ اللواء محمد محمود الرساوي من روائع التاريخ العسكري يوم حطين القاهرة

٣٩ ـ صبحي عبد الحميد معارك العرب الحاسمة الكويت ١٩٦٧

٤٠ ـ الهيثم الايوبي وغيره الموسوعة العسكرية بيروت ١٩٧٧

٤١ ـ د. جوزيف نسيم يوسف العرب والروم واللاتين بيروت ١٩٨١

٤٢ ـ د. جوزيف نسيم يوسف العدوان الصليبي على مصر بيروت ١٩٨١

٤٣ ـ د. جوزيف نسيم يوسف العدوان الصليبي على بلاد الشام بيروت ١٩٨١

٤٤ ـ مجلة المورد ـ عدد خاص المجلد العاشر العدد الرابع غزو الفرنجة للاراضي العربية وزارة الثقافة والاعلام العراقية بغداد ١٩٨٧

٤٥ ـ د. دريد عبد القادر مركز البحوث والمعلومات الفكر العسكري لصلاح الدين معركة حطين بغداد ١٩٨٦

٤٦ ـ اللواء الركن المتقاعد طارق توفيق معركة حطين مركز البحوث والمعلومات بغداد ١٩٨٦

٤٧ ـ د. عادل محي الدين الالوسي حصار انطاكية ٤٩١ هجرية ١٠٩٧ ميلادية مجلة آداب المستنصرية العدد ١٣ بغداد ١٩٨٦

٤٨ ـ فليد مارشال مونتجمري الحرب عبر التاريخ تعريب العميد فتحي عبد الله النمر القاهرة ١٩٧١

٤٩ ـ انتوني نتنك العرب قصة تاريخية لندن ١٩٦٤

٥٠ ـ الجنرال فلر معارك العالم الغربي الحاسمة لندن ١٩٥٩

٥١ ـ احمد بهاء الدين مجلة العربي العدد ٢١٣ آب ١٩٧٦ الصفحة ١١ الكويت ١٩٧٦

الفهرست

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٧١٩ لسنة ١٩٩٠

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

الحروب الصليبية

اختص هذا الجزء من الكتاب بالفترة التي اعقبت بدايات الغزو الصليبي في الامارات التي اسسوها شرق البحر الابيض المتوسط وقد اختص بايضاح حركة الجهاد التي تمسك بها المسلمون الذين كانوا مسؤولين عن الاوضاع في شمال العراق وبلاد الشام واتخذوا من هذا المبدأ المسلك الصحيح الذي قادهم في نهاية الى القضاء على الامارات الصليبية وطرد فلول الغزاة من البلاد العربية والقضاء على احلامهم التي جاءوا لتحقيقها على حساب الامتين العربية والاسلامية

لقد تمكنت المصالح الكبيرة للدول الغربية في البلاد العربية من زرع الكيان الصهيوني في قلب البلاد العربية وقد انكشفت اهدافه وغاياته على فكرة الاحتلال وهذا الكتاب رؤية تاريخية عبر حركات الجهاد في الوطن العربي

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
الغلاف: رياض عبد الكريم
بغداد ـ ١٩٩١
طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة